شاكر اليساَوي

في بعض المفاهيم والأفكار

في بعض المفاهيم والأفكار

دار الينابيع
«للطباعة والنشر والتوزيع»
دمشق ص.ب 6348
☎ 3324914

التوزيع في لبنان:
دار الفارابي
بيروت ـ ص.ب: 11/3181
☎ 305520

التوزيع في مصر
دار النهر
20ـ ش الطوبجي ـ خلف مرور الجيزة
ـ ت ـ فاكس 3489018

- تصميم الغلاف: الفنانة أليسا زيلينوفا
- الإخراج الفني: مي مكارم

مقدمة

تتردد في الكتب والدراسات والمقالات الكثير من المقولات والاصطلاحات والصيغ التي في غالب الأحيان تحتاج إلى معرفة مسبقة بمعناها ومضمونها أو مراجعة بعض القواميس، وإلا فإن القارىء سيضطر إلى القفز من فوقها، مما يتسبب في ضياع المغزى المطلوب.

لذا رأينا في سبيل المزيد من الوضوح أن نفسر ونشرح بعض هذه المفاهيم والأفكار والمصطلحات التي تفيد في تحديد المعاني وكسب الفائدة اللازمة.

ومن هذه المفاهيم والأفكار ما هو فلسفي واجتماعي وتاريخي، ومنها ما هو سياسي واقتصادي. وقد آثرت ترتيبها حسب مجالاتها العلمية أو توافقها في مبادئها المعرفية، دون تبويب كما هو في الكتب، أو ترتيب حسب الأحرف الابجدية كما هو معروف في القواميس، لأن عملي المتواضع هذا لا تتوفر له سمات الكتاب التي تحتاج إلى تبويب ولا سمات القاموس التي تحمل على الترتيب حسب الحروف الأبجدية والعمل الموسوعي الكبير، وإنما هو مسعى متواضع استهدف مفاهيم ومقولات قليلة في مجالات متفرقة ولكنها مهمة. وقد

اعتمدت في دراسة هذه المفاهيم والافكار على عشرات المصادر وكل ما كان في متناول يدي من مراجع تثري المعرفة في هذا المجال. ولعلي في جهدي البسيط أكون قد حققت بعض الفائدة لما فيه خير الأمة والوطن. سيما وان الكتب المتخصصة في ميدان التعريفات قليلة في المكتبة العربية.

شاكر اليساوي

«السياسة»

ما هي السياسة؟ السياسة هي مشاركة المواطن في تقرير الشؤون العامة. (وهي فن وعلم عملي بتحريك البشر والأشياء).[1]

«إن الفن السياسي هوبصورة رئيسية فن القرار، بمعنى أنه يتطلب التمتع بملكة الحدس، حدس التدبير الذي يبدو أكثر ملائمة،كما يتطلب الشعور بالمسؤولية قبل مايتصدى للدفاع عنه»[2]

السياسة عند ميكافيلي فن عقلاني «يتجلى في القدرة على استثمار وتوظيف وحشد طاقات الأمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والطبيعية من أجل بناء مجتمع متقدم. والسياسة في مفهوم ميكافيلي فن وضعي كذلك، بمعنى أنها ترفض كل مناقشة حول القيم والغايات.

عند ميكافيلي أصبحت السياسة معلنة واكثر ازدراء لحكم الكهنة والسلطة الزمنية للكرسي المقدس. طرد كل ميتافيزياء من السياسة، وفصل فصلاً جذرياً بين (مدينة الله وبين مدينة البشر).[3]

السياسة علم عملي إذ هناك صلة بين المعرفة والسلطة إلى توحيد غاياتهما عن طريق الاعتراف الاجتماعي بالحقية العلمية. (إن الصلة الاجرائية للعلم الحديث تجعل

---

(1) ـ اللاعقلانية في السياسة ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ص23 ـ ط 1975

(2) ـ ما هي السياسة ـ جوليان فروند ـ مطبوعات وزارة الثقافة السورية ـ ص 12 ـ ط1981

(3) ـ تاريخ الأفكار السياسية ـ جان توشار ـ مطبوعات وزارة الثقافة السورية ص 370 ـ 373 ط 1984

لغته النظرية لغة سياسة... إن العلم وسيلة من وسائل السلطة، إلا أن السلطة أيضاً وسيلة العلم في ازدهاره... ولكي تحوز غايات العلم على دعم الدولة يجب أن تتماثل مع غايات المجتمع.(1)

السياسة لا تعني العمل الدبلوماسي المجرد، أو التكتكة أو الخلقة الآنية لتحقيق غاية عارضة أو مكسب مؤقت، وإنما هي فن الحشد والتنسيق، وحسن التدبير وإقامة التوازن على صعيد التطور في كل مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والحضارية والاستفادة من البشر والأشياء والمواد وذلك بتوجيهها توجيهاً دقيقاً يدفع عجلة التقدم إلى الأمام.

السياسة تعني تدبير شؤون الأمة، أو هي الشكل الذي يتحقق فيه تاريخ أمة، بين تعددية من أمم، وهي الفن العظيم للحفاظ على الأمة (في شكل لائق) داخلياً — استعداداً للأحداث الخارجية، وهذه هي العلاقة الطبيعية بين السياسة الداخلية والخارجية.(2)

إن السياسة هي عملية الفعل في الواقع أو الموضوع، فالمطلوب من السياسة معرفة الواقع ولمسه حسياً، ثم تناوله كموضوع وهدف للعمل من أجل تغييره أو اصلاحه، أو تناوله بيد الهدم بهدف اعادة بنائه من جديد على ضوء ما تتطلبه ظروف التطور والتحول في كل مرحلة من مراحل التاريخ.

السياسة تشكل فعالية مستقلة نسبياً عن الاقتصاد، إذ هناك علاقة جدلية بين البنى التحتية والسقف السياسي، فالسقف السياسي ليس افرازاً ميكانيكياً للبنى التحتية، وانما هو حصيلة تفاعل خلاق بين الطبقة السياسية وقاعدتها المادية، لأن السياسة في المحصلة

---

(1) ـ العلم والسياسة ـ جان جاك سلمون ـ مطبوعات وزارة الثقافة السورية ص 112 ـ 114 ـ ط 1977.

(2) ـ تدهور الحضارة الغربية ـ اشوالد اشبليخر ـ ترجمة أحمد شيباني ـ الجزء الثالث ـ ص240.

الأخيرة قوة تسعى لقلب البنى القديمة التي تعيق عملية التطور، فبدون طبقة سياسية أو نخبة ثورية لا يمكن أن يحصل تقدم نحو فتح طريق لسيرورة ثورة قومية ديمراطية.

فالتطور الموضوعي سوف يكون بطيئاً دون تدخل الذات الثورية التي تسرع في وتيرة اتخاذ أي قرار عظيم.

كذلك السياسة أداة حاسمة للتحرير رغم أن للعلم والدين والفن والاقتصاد مثل هذا الادعاء.

إن السياسة كما علم لينين «هي العلاقة بين الطبقات، هي الاشتراك في شؤون الدولة، وتحديد أشكال ومضمون الدولة ويجب أن تصبح السياسة حسب لينين قضية الطبقة العاملة، قضية الشعب بأسره».

السياسة قدرة على استثمار الزمن، وحشد الإمكانات وإثارة اليقظة والوعي لدى الشعب وتصليب إرادته وحثه على الانضباط والتنظيم، والسياسة ليس العمليات الحسابية البسيطة، بل هي الرياضيات العليا «الجبر». كما أن السياسة تكثيف لجماع حركة المجتمع وتوازناته وميوله وايديولوجياه والمصالح التي تصطرع فيه. ولا تكون السياسة تقدمية إلا إذا استهدفت تحريك وتوعية القوى الساحقة الواسعة من الشعب كالعمال والفلاحين والمرأة. ولقد كان لينين على صواب حين قال «السياسة تبدأ هناك حيث توجد الملايين لا حيث توجد الآلاف.. فهناك حيث توجد الملايين، هناك فقط، تبدأ الجدية.

مع ميكافيلي بدأ معنى للسياسة بالمفهوم الحديث، وبعد أن كان مصدر السياسة اللاهوت ومكبلة بكل القيود التي تمليها الاعتبارات القروسطيه وتفرضها مصلحة الاقطاع. وحده ميكافيلي كسر القضبان التي تحتجز السياسة الحديثة، هذه السياسة ترتكز «أولاً على المصلحة القومية، وليس العقيدة الدينية، ثانياً على التمييز بين الحقيقة

الواقعية والمعتقد، أي سياسة ترى من الأنسب الذهاب إلى الحقيقة الفعلية بدلاً من الألتقاء بتخيله (ميكافيلي)، ثالثاً على مبدأ سيادة الأمة. تحديث السياسة بدأ مع ميكافيلي وتتابعت بعده، ارتكزت ولا شك على نمو المدن وتشوء المجتمع الصناعي وتطوره، إلا أنها ارتكزت وبنفس النسبة على تظاهرة مواكبة أخرى، أي صعود النزعة القومية وبناء الدولة البرجوازية المتحرر من سلطان الكنيسة، اللذين أرسيا، بتضافر عوامل أخرى علمنة وعقلنة المجتمع العربي.[1] وهكذا فإن السياسة لم تصبح حديثة إلا بالعلمانية والعقلانية.

السياسة ليس الحقد ولا الرياء ولا التزلف ولا الكذب ولا طمس الحقائق ولا تزوير التاريخ ولا قلب الابيض أسود، ولا الانفراد بالسلطة وتسويغ القمع ومصادرة الحريات والغاء التعددية في الرأي، بل إن السياسة هي الحوار العقلاني والايجابي مع كل الفرقاء والمعارضين، هي المعارضة والصدق والتواضع، والاعتراف بنسبية الحقائق وايثار المصلحة العامة الوطنية والقومية على المصلحة الخاصة، وهي الثقة المتبادلة بين الحاكم وبين المحكوم القائمة على احترام الشعب والرأي العام والنزول عند اللزوم إلى جانبه والاستجابة لإرادته.

* * *

(1) ـ اللاعقلانية في السياسة ص 12 ـ 13. مصدر سابق.

«السياسوية»

السياسوية هي العفوية في وعي بعض الظواهر السياسية. وهي إدراك كاريكاتوري وحيد الجانب للفعل السياسي. وبمعنى آخر هي نزعة جزئية تنصب على عداء الدولة أو الحكم أو المخططات والمؤامرات بوصفها السبب والنتيجة. هذه النزعة ترى أن التأخر العربي يتعلق بالسقف السياسي فقط، وليس تأخراً تاريخياً شاملاً في جميع أركان العمارة العربية، الاجتماعية، الاقتصادية ـ السياسية، الفكرية...الخ كما ترى الهزائم العربية بمنظار رومانسي على أنها نتيجة مؤمرات وحظوظ عاثرة.

* * *

أهم المناهج «السياسية»

هناك العديد من المناهج التي تستخدم في دراسة العلوم السياسية كالمنهج الفلسفي، والمنهج القانوني، وهناك الطريقة الاحصائية، والكن أهم المناهج ثلاثة.

1ـ المنهج التاريخي: ويهتم هذا المنهج.

آ ـ بعامل الزمن فهو يدخله في جميع مجريات التحليل، إذ يتم تحديد مختلف الظواهر تبعاً لاختلاف عامل الزمن.

ب ـ استبعاد الاسلوب التجريدي في التحليل والعناية بدراسة الاحداث والوقائع.

جـ ـ يرتبط أسلوب البحث التاريخي بفكرة التطور، وقد تأثر وأثر كل منهما بالآخر.

د ـ ليس من الضرورة للمنهج التاريخي اللجوء إلى المنهج المقارن.

2ـ المنهج الوظيفي:

هذا المنهج يتناول وظيفة النظام السياسي، ويعتمد على أن بقاء ووجود وتطور النظام السياسي مرتبط بآداء وظائف محددة.

بين من نادى بهذا المنهج «غابرييل ألموند» و «جيمس كولمان» اللذان اتبعا ما يطلق عليه المنهج التركيبي الوظيفي.

3ـ المنهج السلوكي:

يعتمد هذا المنهج على دراسة السلوك السياسي باعتباره الأساس كوحدة للتحليل. وهو يجعل التحليل خاضعاً للملاحظة المباشرة ويستعين في ذلك بالأدوات المستخدمة في الدراسات النفسية، وهو يركز على أن علم السياسة هو أحد العلوم الاجتماعية أو الانسانية التي تشترك في أنها جميعاً علوم سلوكية. ويكون علم السياسة تبعاً لذلك هو علم السلوك السياسي، حيث يعطى أعظم الاهتمام لتفاعل الفرد مع الآخرين داخل الجماعة، وهذا المنهج قد يكون أنفضل المناهج التي يمكن أن تفتح آفاقاً عديدة وجديدة في الدراسة العلمية للسياسة.*

* * *

*ـ للتوسع انظر ـ دراسات في العلوم السياسية ـ د، محمود اسماعيل ـ مكتبة الامارات العين 1984 ـ ص 64 ـ 75.

«علم الاجتماع السياسي»

هو دراسة العلاقة المتبادلة بين الدولة والمجتمع، واستكشاف النتائج المترتبة على هذه العلاقة سواء على مستوى الأفراد وأنماط السلوك أو الجماعات والتنظيمات الاجتماعية ومن رواد هذا التيار ـ مونتسكيو ـ روسو ـ آدم فيرجسون ـ سان سيمون. وقد عرف «لورد لنجز» علم الاجتماع السياسي من منظور سوسيولوجي شامل.

ويعتبر عبد الرحمن بن خلدون أبو العلم الاجتماعي السياسي، حيث نظر إلى الظواهر السياسية نظرة واقعية، واستخدم المنهج التاريخي للوصول إلى قوانين عامة تفسر الظواهر السياسية.

يهتم التحليل السوسيولوجي للظواهر السياسية ــ مثل القوى السياسية والاجتماعية ـ جماعات الضغط ـ وسائل الاعلام أو الرأي العام ــ وكذلك العمليات السياسية، كالمنافسة والصراع والتعاون والتوافق والتغيير السياسي. وهذه أهم الموضوعات التي يركز عليها علم الاجتماع السياسي.

* * *

«النقد السياسي»

في المفهوم الثوري يتطابق النقد دائماً مع المظاهر التي يحاكمها فهو لهذا السبب يعني وعي الواقع وتحليله والمقدرة على اعادة تركيبه وعدم الخلط بين القوانين الثابتة

والظواهر المتغيرة. النقد السياسي يعني النقد الشامل المستند إلى وعي الواقع الذي يزلـزل المجتمع الراكد كمجتمعنا العربي، حيث لا يمكن تجاوز شيء دون نقده لذا فـإن عمليـة نقد صارمة يجب أن نتناول المجتمع، لا، السقف السياسي فقط، أفقيـاً وعموديـاً، طـولاً وعرضاً، دون هوادة. هل نملك نحن العرب مفهوماً علمياً للنقد الذاتي والموضوعـي، أو للنقد السياسي قومياً ودولياً؟ إن الوعي السياسي لدى معظم الاحزاب والمثقفين العـرب وعي كاريكاتوري وحيد الجانب استهدف في النقد السطح السياسي والمظاهر والنتائج وتجنب نقد الاسباب وترك المجتمع واسسه وعلاقاته وذهنيته وثقافته المفوتـة بمنجـاة عـن النقد. عندنا نحن العرب النقد يعني التشنيع ورصد المزالق. كثيرون هـم الذيـن يفهمـون من كلمة النقد إما إدانة الظاهرة المدروسة أو فصل ما هو جيد عمـا هـو رديء وهـذه أحط فكرة عن النقد. فنقدنا للهزائم التي لحقت بنا كان نقداً مسـطحاً، تبريريـاً، قطعيـاً صورها عقلنا مجرد خيانات وفسرها البعض الآخر تفسـيراً اخلاقيـاً كـالبعد عـن الديـن ونقدنا للامبريالية كان عبارة عن شتم ومهاترات. برايئا أن النقد موقف فكـري وتعبـير عن ايديولوجية معينة وثقافة خاصة وهـو أمانـة ومسـؤولية لأنـه يقيـم أفكـار الآخريـن وممارساتهم كالدولة واجهزتها والاحزاب السياسية والهيئات الفكرية لذا لا بد للنقد أن يقترن بالموضوعية والمنهجية إذ بدون الاستناد إلى منهج يصبح النقـد السياسي والادبي مجرد انطباعات شخصية حيث يبتعد عن الحقيقة، النقد لا يكون مجدياً إلا إذا استهدف في طموحاته خلق مجتمع تسوده العلاقات الانسانية المتكافئة بما يكفل مزيداً من التطـور حيث الغاية من النقد تحديث الأمة والارتقاء بطاقات الفرد والمجتمع إلى مستوى إيجابي. النقد نظرة شمولية تتناول العام والخاص ويطرق الابواب الموصدة وهذا النوع مـن النقـد هو مرحلة نضوج العقل وتفتحه على حقيقة العالم والوجود. واخيراً النقد السياسي هو محور مركزي في ايديولوجيـا الطليعـة الثوريـة، حيـث الوعـي النقـدي هـو وعـي قتـالي

بطبيعته لأنه وحده القادر على النفاذ إلى جذر المشاكل المستعصية في بنية المجتمع الآسن وعمارته الواهنة.

* * *

«الوعي السياسي»

الوعي هو إدراك الأمور والمسائل بشكل عام وتفصيلي بناء على خلفية ايديولوجية معينة وفهم وإدراك الحقائق والحوادث والاشياء على أساس علمي. والوعي مسألة تختص بطبيعة فهم الانسان لموقعه ودوره في الحياة. فالوعي السياسي الواقعي والموضوعي والمطابق يعتمد على الادراك لعناصر الواقع ومركباته المعاصرة، وتفاني يستند على الاحساس بالمسؤولية اتجاه الأمة والثقافة السياسية تختلف عن الوعي السياسي فإذا كانت الثقافة السياسية هي المعرفة على أساس يمثل الالمام والاحاطة بما يدور في العالم من أحداث، فان الوعي السياسي هو إدراك الانسان لمسؤولياته على أسس ايديولوجية علمية، فهو يحيط بالاحداث من أجل فهمها واستيعابها أولاً، ومن أجل تجسيد هذه المعرفة عملاً واقعياً وصحيحاً ثانياً. لذا فالثقافة السياسية تتبلور من خلال الفهم الصحيح والمعرفة الواعية للوقائع والاشياء. أما الوعي السياسي فترجمته الحقيقة المبادرة والعمل لتحقيق ما يمكن تحقيقه في ظل ظروف محلولة أو معقدة. وهكذا يبدو أن الوعي السياسي أكثر إحاطة وشمولاً من الثقافة السياسية. وكما يقول فلاسفة المنطق. إن النسبة بينهما نسبة العموم والخصوص مطلقاً، وتقديرنا أن الفرد الواعي سياسياً لا يصح وعيه إذا كان يقول ما حفظ نظرياً ويعمل بخلافه أو يرى رأياً مصيباً ولا يتفانى في تطبيقه، إن الوعي السياسي بمبدأ

أو فكرة أو نظرية معياره الافعال وليس الخطابات والثرثرة الفارغة. إن أهم ما يؤكد الوعي هو التطبيق والممارسة واقتحام المخاطر. ما نحتاجه هو الوعي السياسي القومي والعالمي وعي يستند إلى عقلنة وخلفية ثقافية متحررة من قيود التقليد، وعي نقدي لا يعرف المحرمات والتابوات.

* * *

«الثقافة السياسية»

الثقافة السياسية هي أحد فروع الثقافة الشاملة للمجتمع، إنها ثقافة ثانوية تخضع لتأثير الثقافة ككل. الثقافة السياسية هي الإحاطة بما يحصل في العالم، وهي تتيح للفرد المشاركة في الشؤون العامة. كما أنها وجهة نظر ينطلق الانسان منها في تفسير الأحداث والظواهر الاجتماعية من زاوية واقعية مادية وجدلية. الثقافة السياسية التي نحن بحاجة لها ثقافة تقدمية نقدية بآفاق كونية تشمل معرفة أسس الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وأسس الواقع في دول العالم والدول الكبرى ذات التأثير في مجريات السياسة في العالم. إن المعرفة السياسية ليست فهلوية ولا بلاغة كلامية ولا حفظ الاخبار ونقلها، وإنما هي معرفة علمية تستند إلى منهج في النظر والعمل قادرة على تحليل الأحداث وربطها بعضها بالبعض الآخر. وتشمل الموضوعات السياسية. تلك الاجزاء المكونة للنظام السياسي مثل «السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية، الاحزاب السياسية ـ جماعات الضغط ـ تصورات الأفراد الذاتية لأنفسهم كفاعلين سياسيين، وتصوراته وآرائه نحو الآخرين. ومن هنا يمكن تصور الثقافة السياسية على

أنها نمط كتوزيع شامل لتوجيهات واتجاهات المواطنين نحو الموضوعات السياسية»[1].

واخيراً الثقافة السياسية هي انعكاس للايديولوجيا بشكل عام، لذا يمكن أن تكون الثقافة السياسية، رجعية محافظة، أو اصلاحية توفيقية، أو ثورية هدفها التغيير الثوري لبنية المجتمع.

* * *

«سمات القائد السياسي»

السياسة عمل متداخل ومعقد، وهي عمل بشري يختص به الانسان دون غيره من الكائنات، فالكائنات الحية قد تكون اجتماعية إلا أنها باستثناء الانسان غير سياسية، لأن الانسان وحده هو العاقل ـ المفكر ـ العارف ـ صانع الحياة، هو المعني بالتدخل في الشؤون العامة، أي ما يتعلق بحياة الناس ومصالحهم، والحفاظ على المجتمع من التفكك والانهيار ـ وليس كل من يتدخل في الشؤون العامة يمكن أن يكون سياسياً، فهناك أعداد غفيرة من الناس تتحدث بالصمت أو العلن عن التقصير أو السلبيات التي تمارسها سلطة ما ضد المواطنين، وربما يحيط البعض بثقافة سياسية عامة تؤهله للحديث عن كل الثغرات والمظالم وطموحات الناس وحاجاتهم، إلا أنه لا يصنف في عداد رجال السياسة إذا رفض العمل المؤطر وغابت عنه تفاصيل القضايا المتعلقة بأمن البلاد ومصيرها.

فالسياسة في وجهها الحاسم عمل منظم وواعي ـ ضمن أطر تنظيمية، وعمل واعي،

---

(1) ـ السياسة ـ دراسة سوسيولوجية /د ناجي شراب ـ مكتبة الامارات ص 152 ـ ط 1984

أي واعي ليس للعموميات، بل للخصوصيات أيضاً، ويحيط ويتعمق باعظم المبادئ والنظريات والتيارات المعاصرة وصولاً إلى القضايا الصغيرة والأقل شأناً، وهذه احدى ميزات العقل العلمي.

هناك فرق بين الفرد المثقف سياسياً وبين الفرد الواعي سياسياً. فالمثقف سياسياً هو شخصية لها اهتمامات وإحاطة بما يجري محلياً وقومياً وعالمياً، ولكن ليس بالضرورة أن يمتلك وعياً سياسياً، أي ليس بالضرورة أن يكون منظماً ويعرف تفاصيل الوقائع والاحداث، أو يضع معارفه وثقافته هدفاً لتجسيدها في عمل. بينما الفرد الواعي سياسياً، فضلاً أن يكون منظماً ويعمل لتجسيد أهدافه، بالضرورة يجب أن يكون منظماً ويعمل لتجسيد أهدافه، بالضرورة يجب ان يكون مثقفاً سياسياً ومحيطاً بقسط غير قليل في فروع العلوم الانسانية والطبيعية، لكي لا يقع في خطأ جسيم حين يحزم أمره على اتخاذ قرار سياسي، فالسياسة فن عملي أكثر مما هي تدبيج عبارات نظرية. وحسبنا أن نعدد بعض سمات القائد السياسي الانقلابي وتتلخص:

1ـ الموضوعية: إن الميل إلى الموضوعية والبعد عن الذاتية أحد الشروط الهامة للعمل السياسي الناجح. فالقائد السياسي الحصيف هو الذي يدرك ما يدور على أرض الواقع كما هو دون وهم ذاتي يعطيه صورة وردية تجعله يهون البلايا الموضوعية التي هي من عمل الآخرين وراكمتها ظروف خارجة عن إرادة القائد السياسي قللت فرص تحقيق البرنامج أو الهدف التكتيكي والاستراتيجي الذي يرنو إلى تحقيقه، وبنفس الوقت حين تتعثر مشاريعه يجب أن لا يلقي اللوم على الموضوع، أي يعتبر الخطأ مؤسساً في الواقع الموضوعي، بل يجب أن يعالج سوء التقدير الذاتي والشطح الايديولوجي وجهل طبيعة المرحلة التي يتصدى لها. إن الموضوعية تعني معالجة المشاكل من خلال واقعها مهما كان نوعه أو شكله.

فطبيعة المسائل والمشكلات هي التي تقدم الصورة السليمة لطرق معالجتها وحلها دون أن نقحم تصوراتنا ورغباتنا بديلاً عن الحلول الواقعية، فالرغبة والمشاعر لا تعوض عن الحقيقة والواقع، فالقائد المجرب هو الذي يخرج رأسه من الواقع مهما كانت مرارته، ويبتعد عن خلق واقع تصوره له أحلامه.

2ـ العقلانية: لا تعني أن يكون القائد السياسي رجلاً عاقلاً بالمفهوم البسيط، بل تعني أن يكون نهجه خاضعاً أو متفقاً مع مبادىء العقل والمنطق بصورتهما العلمية، ويبتعد ما بوسعه عن المسبقات والمطلقات والمواقف السلفية التي تميل إلى التحجر وضيق الأفق والتي تحجب مدى الرؤية السياسية الصائبة، فالموقف الحاقد أسوأ موجه للسياسي لأنه يعمي بصيرته ويضفي على القرارات طابع الارتجال، فالسياسي الحق لا يحب ولا يكره، بل يعقل، أي لا يغلب عواطفه على الوقائع الموضوعية، ويجب أن تعتمد قراراته مبادىء العلم، من دراسة وتجربة وتحليل ومقارنة لتكون أكثر تلاؤماً أو تطابقاً مع الواقع المراد التغلب على صعوباته ومن ثم انجازه. وعلى القائد السياسي حين يتنطح لحل قضية ما، أن يكون لقراره السياسي أكثر من معنى وأكثر من وجه وأكثر من تفسير، نظراً لتعدد الاحتمالات وتشابك شروط انجاز الحل.

3ـ الوعي السياسي: إن الوعي السياسي ليس مصدره الكتب فقط، وإنما مصدره الحياة وما يدور فيها من أحداث وتناقضات وتناحرات بين طبقات المجتمع المختلفة. فالوعي السياسي عملية مكتسبة من مصادر نظرية وعملية واقعية، يزيدها عمقاً إذا توفر لدى القائد السياسي الذكاء والخبرة، فالقائد السياسي بالضرورة يجب أن لا يكون غبياً وإلا عرض نفسه وحزبه للمطبات المميتة. وحين نتحدث عن الوعي السياسي فإننا نتحدث عن وعي مؤطر ضمن مؤسسات وهيئات حزبية ومنظمات شعبية أخرى، إذ لا معنى للوعي السياسي دون أن نضع المبادىء والبرامج أهدافاً للعمل السياسي المباشر

وهذا ما يميز الشخص الواعي سياسياً عن الشخص المطلع أو الملم بالاحداث السياسية، فالاخير يتكلم عن معلومات نظرية من باب الاطلاع أو الترف الثقافي دون أن يكلف نفسه مشقة الانخراط في اطار عمل لتجسيد هذه المعلومات والمعارف وتحويلها إلى قوة مادية، لذا فان السلطات في العالم الثالث خاصة لا تقيم وزناً لعشرات الألوف من المثقفين طالما أنهم غير واعين سياسياً، أي غير مؤطرين في هيئات وتنظيمات جماعية لتطبيق أفكارهم وشعاراتهم بصورة عملية، بينما تحسب هذه السلطات ألف حساب لقلة من الافراد المنظمين بوحي خط سياسي، لأن هؤلاء يمثلون بؤرة استقطاب جماهيري راهن على المدى المرئي والمتوسط والبعيد، بينما أولئك المثقفون رغم كثرتهم لا يشكلون مصدر خطر على السلطات رغم ثقافتهم الحديثة والتقدمية. ولا يفوتنا في هذا المجال أن ننوه، أنه ليس كل فرد منظم في حزب يعتبر واعياً سياسياً بالضرورة، لأن الكثير من المنظمين في أحزاب وخاصة الاحزاب السلطوية الرسمية تنظموا لسبب أو آخر. إما بدافع معيشي أو بدافع وجاهة أو بدافع الوصول إلى مركز اجتماعي أو وظيفة أو بدوافع وطنية محددة، أو لأسباب عشائرية أو عائلية .. وهؤلاء لا يشملهم بحثنا لأن عضويتهم الحزبية أشبه بعضوية النادي الرياضي أو عضوية شرف في جمعية خيرية.

بينما الوعي السياسي عملية متكاملة من جميع الوجوه لا تتجزأ، لذا فالقادة الواعون سياسياً في ظل الأنظمة الشمولية حين يتطلب منهم أن يحددوا خياراتهم بين التخلي عن مبادئهم وطلب السلامة والتوبة، وبين الاعدام فانهم يفضلون الاعدام على الانقلاب عن مواقفهم السياسية المعلنة.

4ـ التواضع: هو أحد أبرز الصفات التي تلازم العلماء ودهاة رجال السياسة والمثقفين المتعمقين بشؤون الحياة. إن السياسي الثوري المتواضع بالطبع يدرك ان

استقطاب الجماهير وجذبها إلى ساحة العمل السياسي لا يكون بالصدود عنها ولا بالمكابرة وعشق الذات والتعنت بالرأي وممارسة منطق المعلم الفارغ ازاءهم، بل يتم استقطابهم بالتواضع الجم، ورحابة الصدر، واتساع الأفق، والقبول بالآراء المخالفة بكل احترام، والاعتراف بنسبية الحقائق، والتعلم من الشعب وتعليمه بذات الوقت. فالتواضع سمة الانسان الواعي لأنه يعيش الحياة بكل أبعادها بعمق شديد، بينما العناد والمكابرة والتمترس وراء الرأي المسبق سمة الانسان الجاهل المسطح الثقافة حتى لو كان على قسط من التعلم أو الثقافة.

فالفكر الصلب العنيد دون مبررات منطقية يعتبر من الناحية السياسية فكراً فاشلاً وقاصراً، لأنه أحادي البعد وقطعي الأحكام ويتخيل أنه والحقيقة شيء واحد، لذا نراه يدعي العصمة من الوقوع في المزالق والوهاد، ويقذف الآخرين الذين لا يوافقونه تصوراته بالجهل والقصور وعدم الوعي، وهكذا عقل متحجر إن وجد في حزب، وخاصة في موقع مسؤول، فلا شك أنه سينفر ويطفش الحزبيين الأكثر وعياً للتعددية والديمقراطية والنسبية، وعلى المدى المتوسط والبعيد سيطفشهم حيث لا يجد الحزبي مفراً من الهرب خارج الحزب في غيبة العمل الجماعي الديمقراطي الذي يتقبل الآراء الصحيحة من أي حزبي ويعكسها في خطة السياسي. إن إصغاء السياسي إلى آراء رفاقه والاصدقاء والمواطنين وعدم الأخذ بها بعد انتهاء المناقشة، والتصلب بما يدور في رأسه من أفكار مسبقة على أنها هي الحقيقة والصواب يعتبر صنمية فكرية وميل نحو الفردية ومصادرة الحرية، يناقض مبدأ الديمقراطية في العمل المنظم، ويسقط عن هذا السياسي سمة الثورية في مجال الممارسة. فالتواضع سمة الانسان العالم ــ العارف العصري ــ الحصيف، بينما الصلف والصلابة الفكرية واتخاذ المواقف المسبقة والقطعية هي أحد مؤشرات وأعراض العقل المتخلف مهما إدعى ظاهرياً من عقلانية.

5ـ **القائد السياسي الناجح** مزيج من المبدئية والمرونة، ويجب أن تتوفر فيه مجموعة من الصفات كالصلابة عند المحن وقوة المراس ورباطة الجأش، والصدق في التعامل وتطابق الأقوال مع الأفعال، المرونة وليس التلون في الحوار والمساجلات السياسية الانصاف في تقييمه لرفاقه وللقوى الوطنية الأخرى، ووضوح الرؤيا، القدرة على الاقناع والبراعة في تطبيق فن توظيف المتناقضات لصالح خطه السياسي والجماهير الشعبية ـ الانضباط التنظيمي ودقة المواعيد واحترام الوقت المخصص للمصلحة العامة، والاحساس بقيمة الزمن في حياته العادية وشؤونه الخاصة كعامل له معنى ووزن يجب توظيفه والاستفادة منه، والتزام الاخلاق الاشتراكية في سلوكه والالمام بثقافة وطنية ديمقراطية والاطلاع على الثقافة العالمية، وما يعتريها من تيارات تقدمية أو رجعية في هذا العصر فوق التقنلوجي، عصر الفضاء والذرة.

* * *

«الفكر السياسي»

يعني كل الارث الايديولوجي من معتقدات وتصورات وأفكار لشعب أو أمة أو حزب أو مفكر سياسي، فيما يتعلق بالشؤون العامة في زمن محدد. ولكل مرحلة في التاريخ فكرها السياسي، وكل فكر سياسي له خلفية ايديولوجية وثقافية. فالفكر السياسي الرجعي ينطلق من ايديولوجية رجعية محافظة. والفكر التقدمي الثوري ـ الانقلابي ينطلق من ايديولوجية تقدمية علمية تستهدف تغيير الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة نحو الأفضل ومنحازة إلى جانب الكتلة الهامدة والفقيرة من الشعب على عكس الايديولوجية الأولى المنحازة لفئة قليلة محتكرة من الناس تهدف

المحافظة على الاوضاع القائمة والتحكم برقاب البشر واستغلالها. أما الفكر السياسي الاصلاحي فيرتكز على ايديولوجية اصلاحية توفيقية غايته لجم الفكر التقدمي وايقاف عجلة الثورة بواسطة حلول ترقيعية.

إن الفكر السياسي والتفكير السياسي هما اللذان يستخدمها الانسان لحل مشاكله وازاحة العقبات التي تعترض تطور المجتمع وتعرقل إزدهاره. والفكر السياسي ليس هدية مجانية تهبط على بعض الأفراد أو الجماعات وإنما هو جهد متواصل ومعاناة تستند إلى دقة الملاحظة، ونقصد بذلك أن يكون المفكر السياسي شديد الانتباه يقظاً ازاء ما يحدث حوله وما يدور في العالم.

* * *

«الطليعة»

هي فئة اجتماعية متقدمة على غيرها من فئات المجتمع في مجالات الثقافة والتنظيم والوعي السياسي والتاريخي والالتزام بأهداف الشعب الطليعة لا تكون فعالة ومجدية إلا إذا انتظمت ضمن أطر كفاحية تتيح لها وضع أفكارها وتطلعاتها هدفاً للعمل وهي ذات وعي نقدي وتاريخي ذات وعي نقدي تاريخي وكوني تبحث دائماً عن الجديد، وأنماط الحياة العصرية في مختلف اتجاهاتها العقلانية.

أما في آفاقها الفكرية والايديولوجية والسياسية، تنهج طريقاً يؤكد خط العلم بكل ما تحمله مقولة العلم من دلالة البحث والتحليل والاختبار والمقارنة والتجربة والخيال الواقعي والموضوعية، كما تعكس في ممارساتها خط الجماهير الشعبية وتعبر عن ارادتها، وتهتم بالكم والكيف، وكيف تحول الكم إلى حالة نوعية، وتحاول أن ترتقي

به إلى درجة مؤثرة وايجابية. وفي خطواتها العملية تريد اجتثاث القديم بسبب تعطشها إلى بناء الجديد، وشغفها في تدعيم مرتكزاته. «إن الطليعة لا يمكن أن تكون طليعة فعلاً إلا إذا كانت حاضرة في قلب جماهير الطبقة وعلى رأسها، إلا إذا كانت تعيش في تفاعل صميمي معها».

* * *

«النخبة»

النخبة تختلف عن الطليعة في المفهوم، لأنها موضوعياً تضع نفسها فوق المجتمع وبعزلة عنه. وهي فئة أقل تمسكاً بالمبادىء واكثر التزاماً بالشعارات، وذات تفكير طوباوئي وضبابي، تسعى إلى الغاء الفكر التاريخي النقدي وطمس الوعي الكوني، وتنشر الفكر المثالي الامتثالي، وتجسد صنمية السلطة وعبادة الفرد، وتسير في مؤخرة الاحداث، وتعيش في عالم خاص مزيج من الغموض والرومانسية والبراغماتية، وعقليتها مثالية كثيراً ما تدفعها إلى الاذعان والتبعية وذات مواقف متلونة ومفاجآت غير متوقعة، كالارتداد مثلاً «عن مبادىء القومية والوحدة العربية إلى الانفصال والاستماتة في الدفاع عنه وعن الاستقاع الاقليمي» وحسب مقتضيات الحال.

إن الثقافة النخبوية والخطاب النخبوي لم يكن خطاباً عقلانياً أو موضوعياً، بل خطاب يسعى إلى تحريك العواطف سريعة التأثر وسطحية التأثير بعيدة عن المحاكمة والشك وسلوك خط العلم. لذا فان تسييس الجماهير وتوعيتها وتربيتها نضالياً وتأطيرها ثورياً، ليس وارداً في أهداف النخبة وبرامجها أو أفعالها، بل إن تجهيل الناس وقمعهم هو السلوك الطبيعي لهذا النموذج من الفكر القيادي. إن أهم سمات العمل النخبوي على

صعيد الممارسة هو تغييب دور الشعب، واحادية القرار، واقفال باب النقد. إن الخطاب النخبوي لا يهتم إلا بالنخبة وبمصالحها بصفة عامة، وإن وجه إلى الجماهير العريضة أحياناً فقد وجه بدافع الحاجة إلى الجماهير من أجل كسب أصواتها في المعارك الانتخابية وهذه الظاهرة قديمة تكاد تكون القاسم المشترك بين كل الاحزاب النخبوية لأن النخبة تعتبر نفسها بديلاً عن الشعب أو وصياً عليه. ويتهيأ للعقل النخبوي أنه المؤهل الأكثر حظاً في صنع التقدم والحضارة إلى حد الهوس. كما تراود النخبة أحلام مفادها أنها هي التي تؤسس لتغييرات نوعية ترفد التراكم المادي للنشاط البشري الذي تبذله القوى والفعاليات الكادحة لدى أمة من الأمم.

«وغالباً ما تعمل النخبة على تنشئة أبنائها في أحضان الثقافة الغربية وليس تعليمهم اللغة الأجنبية على النحو الضروري المألوف فقط، فهذا يعني أن ثمة خوفاً مزدوجاً لديها، متمثل في انعدام الثقة بما يمكن لوطنها أن يقدمه لها، وهو خوف على الأبناء من أن يقتصر تلقيتهم للعلم على ما تقدمه الثقافة الغربية المعاصرة، وهو لا يؤهلهم للوصول إلى مراتب عليا في السلم الاقتصادي الاجتماعي».(1)

إن النخبة تأخذ اكثر مما تعطي وتأكل أكثر مما تنتج، وتشعر بالغبن في قرارة نفسها بانها وجدت وخلقت للأعمال ذات الشأن العظيم وان ما تحصل عليه من امتيازات أقل مما تستحق. ويراود النخبة شعور بالذعر من مجتمعها بالذات فالخوف من المجتمع هو هاجسها اللصيق لها، لأنه قد يلفظها في أي لحظة لسبب لا علاقة له بالثقافة والتقدم، بل بسبب ازدواجية الانتماء الذي أدى إلى زعزعة العلاقة بين النخبة العربية ووطنها. فريق منها تأورب، وفريق آخر أبقى على علاقة بخيوط عنكبوتية لوطنه ليوهم

(1) - النخبة العربية والاغتراب ـ د/هاني الراهب ـ مجلة العربي العدد 355 ـ تموز 1988

نفسه بأنه ليس مقتلع بعد.

«لقد نشأ عن هذا المسار نوع من الازدواجية في الانتماء، فانك تسمع أحـاديث النخبة ومناقشاتها للأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية فتلمس عقولاً نيرة وقلوبـاً شغوفة جميعها متألمة لأجله، لكنك عندما تتبع خط حياتها تجد اضطراراً قاسـياً لاعطـاء الاولوية للأمن المعيشي علـى حسـاب المجـالات الأخـرى للحيـاة. والمشـكلة أن الحـس بالأمن هذا لا يقف عند حد معـين، فـالمزيد يغـدو ضروريـاً، ثـم يسـتيقظ نـداء الـثروة وتستيقظ معه رغبات جديدة».[1]

* * *

«البيروقراطية»

كلمة من الفرنسية bureau تعني مكتب ديوان ـ ومـن اليونانيـة Kratos وتعـني ـ قوة ـ سلطة ـ سيادة. من الناحية السياسية والاجتماعية، تعني البيروقراطية تحقيق السلطة من قبل أفراد مميزين تختارهم الطبقة السائدة. كما أن البيروقراطية تعـني الادارة وطريقـة تعريفها بواسطة جهاز من الموظفين المعزول عن الشعب ويقف فوقه تترافق البيروقراطيـة مع بروز الطبقات وانقسام المجتمع، ومع نشوء الدولة حين تصور الطبقة المتحكمـة الـتي استولت على السلطة السياسية أن مصالحها هي مصالح المجتمع.

أهم سمات البيروقراطية هي ـ الانفصال عن المجتمع ـ الانطواء علـى الـذات ـ تعطيل الطاقات المبدعة ـ التمسـك الشـكلي بـالنصوص ـ محاربـة أي تقـدم علمـي

---

(1) ـ المصدر السابق.

جديد في أسلوب الادارة والانتاج ـ عدم الاحساس بأهمية الزمن في حياة الناس. لقد كتب ماركس حول البيروقراطية (تجعل) أهدافها الشكلية مضموناً لها....وفي كل مكان تدخل في نزاع مع الاهداف الفعلية) (تتحول مهمات الدولة إلى مهمات دواوينية أو تتحول للدواوينية إلى مهمات الدولة) وقد عبر عنها ماركس ببلاغة أنها (ضمنية السلطة). تشتد البيروقراطية على الاخص في عهد الامبريالية عندما يمتزج جهاز الدولة مع الاحتكارات وتتحد بالتالي مع بيروقراطية الدولة لهذا أكد لينين «أن البيروقراطية، سواء من حيث مصدرها المعاصر أم من حيث غاياتها، مؤسسة برجوازية تماماً وبوجه الحصر..»«المؤلفات الكاملة المجلد الاول ص 440».

إن البيروقراطية والقضاء عليها مسألة صعبة لأن لكل دولة جهازها الاداري، ولكن الحد من غلوائها وسلطانها يأتي مع قيام الثورة الديمقراطية الاشتراكية إلى حد بعيد.

* * *

«الراديكالية»

كلمة مشتقة من أصل لاتيني ومن الكلمة الفرنسية راديكال بمعني جذرية أو قطعية. وتعبير راديكالية» يطلق على المتطرفين دون تمييز سواء نحو اليسار أو نحو اليمين.

وأول ما استخدم المصطلح كان يطلق على المتطرفين إلى اليمين. ولقد ظهرت الكلمة للمرة الأولى في ثورة (1797) في انكلترا حينما استخدمها «جيمس توكس» مطالباً بإصلاح راديكالي. في اطار الفلسفة السياسية اطلق المصطلح على النظرية

الفلسفية والسياسية والاقتصادية التي تؤمن بالحرية في كل أشكالها وقوامها الاقتصاد الحر والعقلانية والنفعية وحرية الفرد. وكان من أشهر فلاسفة هذه النظرية ـ جريمي بنتهام ـ جون ستيوارت ميل ـ هنري جيمس ـ وهكذا عبرت نشأة هذا المصطلح فلسفياً عن اتجاهات أقصى اليمين السياسي.

وقد شاع المصطلح كتعبير عن الدعوة في اصطلاحات عميقة في المجتمع اعتباراً من عصر الثورة الصناعية. ولقد انتهى الأمر الى الحد الذي وقف فيه الراديكاليون إلى جانب الثورة الامريكية عندما نشبت حرب الاستقلال ـ الانجلو ـ أمريكية. ولقد ساهمت أفكار الثورة الفرنسية 1789 وثورة 1830 في تحول استخدام المصطلح من تعبير عن اليمين السياسي في بريطانيا بواسطة جريدتها «حامي الفقير» في سبيل اصلاح دستوري واجتماعي وسياسي، وصل إلى حد خروج العمال في مظاهرات دامية الأمر الذي أدى إلى تدخل الجيش لقمع الثورة، وعرفت هذه الثورة بثورة الراديكالية التي أسفرت عن قانون الاصلاح العظيم في تموز (1832). وتعد تجربة الراديكالية في فرنسا دليل الذين يرون أن الراديكالية هم اليساريون واعلن تشكيل حزب الراديكاليين عام 1901 وشن حملة على نفوذ رجال الدين.

ومن الراديكاليين الفرنسيين في التاريخ المعاصر ـ منديس فرنسي ـ والجنرال ديغول 1958 ـ وهكذا نجد التحول في مضمون المصطلح فقد بدأ كتعبير عن قوى اليمين ثم تحول إلى التعبير عن قوى السياسية اليسارية التي تسعى إلى التغيير الجذري كعلاج للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

* * *

«الليبرالية»

من الكلمة الفرنسية ليبرته أي الحرية. ظهرت الحركة الليبرالية في أوروبا في القرن «19م» بقيادة الطبقة البرجوازية. وهي نظام اقتصادي ونظام حكم أيضاً. ويعتبر القانون الاساسي للنظام الليبرالي في الحكم وفي الاقتصاد هو المنافسة الحرة). المنافسة الحرة بين الآراء لاقناع الافراد والمناقشة الحرة بين الأفراد لتشكيل الاحزاب والمناقشة بين الاحزاب للوصول إلى الحكم. هذا على المستوى السياسي.

أما على المستوى الاقتصادي فالمنافسة الحرة بين الناس للوصول إلى الربح والمنافسة الحرة فيما بين الرابحين للوصول إلى الاحتكار... في مواجهة المنافسة الحرة بين العمال والحصول على عمل. المجتمع الليبرالي سوق للمال والبشر تحكمها المنافسة ويفوز فيها الاقوى اقتصادياً. والترجمة الدستورية هو عدم تدخل الدولة في الاقتصاد. «حرية التملك ـ حرية التصرف ـ حرية التعاقد ـ وليغتني من يغتني، وليمت من يمت). وعدم تدخل الدولة في السياسة «حرية الرأي ـ حرية الصحافة ـ حرية الأحزاب ـ حرية الترشيح ـ حرية الانتخاب ـ وكل واحد ومقدرته».

في النظام الليبرالي لكل شخص أن يمتلك أغلى السلع والادوات حتى لقمة العيش. ولكل شخص أن يتصرف فيما يتملك، ولكن لا أحد يضمن له ألا يغبن. ولكل شخص أن يعمل ولكن لا أحد يضمن له العمل أو البقاء فيه... لكل شخص حرية الرأي ولكن لا يضمن له أحد وسائل المعرفة التي يكون منها رأيه.. ولكل جماعة أن تشكل حزباً، ولكن لا احد يضمن لها فرصة متكافئة في مناقشة

بقية الاحزاب.[1]

عند ماركس ولينين تتميز الليبرالية (البرجوازية) عن الديمقراطية (الاشتراكية البروليتارية) وعن الديمقراطية (البرجوازية الصغيرة الفلاحية الشعبية). والليبرالية تستخدم أيضاً للدلالة على الانقلاب التنظيمي في الحزب الثوري. (انظر ماوتسي تونغ) (ضد الليبرالية).

إن أزمة الليبرالية تكمن في الخلل بين الحرية السياسية والحرية الاقتصادية. فهي تمنح الفرد الحرية السياسية وتسلبه الحرية الاقتصادية من طرف آخر.

* * *

«الامبريالية»

من أمبير، امبراطورية، السياسة الامبريالية هي سياسة التوسع ويقصد إقامة امبراطورية بهذا نتكلم عن الامبريالية القديمة.[2]

الامبريالية مجموعة سياسات معقدة (اقتصادية - سياسية - عسكرية - ثقافية) الغاية منها فرض الهيمنة على شعوب العالم ونهب ثرواتها. وقد نشأت الامبريالية كظاهرة سياسية مع عصر التحول الصناعي والاكتشافات العالمية في بداية القرن (18) تقريباً. فلقد صاحب هذه الفترة زيادة عدد السكان وزيادة الانتاج، والحاجة إلى مواد خام ووقود، وفي نفس الوقت الحاجة إلى أسواق لتصدير فائض الانتاج. وقد مرت

---

(1) - الأحزاب ومشكلة الديمقراطية في مصر - عصمت سيف الدولة - فصل الليبرالية - دار المسيرة لبنان.

(2) - للتوسع في مقولة الامبريالية انظر - الامبراطورية الامريكية - كلود جوليان - مطبوعات وزارة الثقافة دمشق ص 10 - 22 - 35

الامبريالية كظاهرة سياسية أفرزها النظام الرأسمالي العالمي بثلاث مراحل:

1 ـ **مرحلة الانطلاق:** وهي مرحلة الامبراطوريات والشركات الاحتكارية وبروز الهيمنة السياسيةوالاقتصادية والعسكرية على المستعمرات، وتمتد هذه الفترة من القرن (18م) حتى الحرب العالميةالاولى.

2 ـ **مرحلة الامبريالية التقليدية**، وقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية التي خرج منهاالحلفاء منتصرين، فتم اقتسام مستعمرات ألمانيا اوايطاليا، ثم ما لبثت الولايات المتحدة الأمريكية ان ورثت الامبراطورية البريطانية والفرنسية.

3 ـ **ظهور الامبريالية الجديدة**، وهذه مرحلة تزعمتها الولايات المتحدة الامريكية وحاولت ان تستفيد من تجارب الماضي والتكيف مع الواقع الجديد للعالم، فاستعاضت عن الاحتلال العسكري بتوسيع نطاق الاحتكارات والسيطرة، وتغلغلت الشركات الاحتكارية في اقتصاديات البلدان النامية واقترن الاحتكار الاقتصادي بالضغط السياسي لابقاء الدول النامية صغيرة وتابعة، وسلكت الامبريالية طريق اغراق هذه الدول بالديون وتشغيل الفائض. وعلى الرغم من هذا الاسلوب الجديد في العلاقة فان الامبرياليةالجديدة لا تردد في ممارسة القوة العسكرية إذا ما تعرضت مصالحها للخطر، وعلى نفس الدرجة مارست المؤسسات الامبريالية غزواً ثقافياً للعالم النامي تمثل في تقديم أعمال فنية وثقافية هابطة تشجع عليها.

كما تشجع الامبريالية هجرة العقول من العالم النامي إلى العالم الغربي. وعلى الرغم من معارضة هذه الاتجاهات التقدمية ونضالاتها ضد الامبريالية، فان الامبريالية ما زالت ظاهرة العصر الذي نعيش فيه، فهي قد استخدمت البندقية إلى جانب السلعة والاعلان الجذاب منذ أوائل القرن العشرين، وأول من اطلق تسمية امبريالية ـ هوبس ـ

وهيلفر دنغ ولينين للدلالة على المرحلة الجديدة في تطور الرأسمالية[1]. ومنذ الانهيارات المتسارعة للمعسكر الاشتراكي وفي مقدمته الاتحاد السوفييتي تعمل الامبريالية الامريكية ما بوسعها منفردة للسيطرة على العالم وشعوبه وتصريف الشؤون الدولية وفق مصالحها الخاصة وكبح أي محاولة من جانب أي شعب للافلات من شباكها. وبالنسبة للأمة العربية مازالت الامبريالية الامريكية مستمرة في عدائها لها وتقف ضد وحدتها وتقدمها وتنحاز إلى العدو الصهيوني في كل الميادين.

* * *

«البرجوازية»

هي الطبقة التقدمية في اوروبا التي خاضت أشرف المعارك لمدة أربعة قرون من القرن (16 ـ 19م) ضد الاقطاع وتسلط طبقة رجال الدين والقوى الرجعية، وحملت عبء النهضة على كتفيها، فحققت الوحدة القومية والمجتمع الدولة، وبرزت الامم الاوروبية، وأرست قواعد عصر العقل، وفصل الدين عن الدولة، وتحقيق العلمانية والديمقراطية واعتبارهما وجهان لحقيقة واحدة حيث لا تكون الدولة عصرية أو حديثة بغيابها واهتمت بالانسان واتخذته مركزاً ومحوراً، فهو جزء من الطبيعة والطبيعة جسده الخارجي...الخ ومع نهاية النصف الاول من القرن (19)م وصلت البرجوازية إلى الحكم في معظم بلدان اوروبا الغربية، وفي الولايات المتحدة الامريكية. وهذه البرجوازية هي التي أنتجت وأبدعت أسلوب الانتاج الرأسمالي الذي كان أسلوباً أكثر تقدماً من

---

(1) ـ للتوسع في مقولة الامبريالية انظر ـ الامبراطورية الامريكية ـ كلودجوليان ـ مطبوعات وزارة الثقافية ـ دمشق ص 10 ـ 22 ـ 35.

أسلوب الانتاج الرأسمالي الذي كان أسلوباً أكثر تقدماً من أسلوب العلاقة الاقطاعية. وتحولت البرجوازية من طبقة تقدمية إلى طبقة رجعية إستغلالية ومسيطرة في المجتمع الرأسمالي «يفهم بالبرجوازية طبقة الرأسماليين المعاصرين، مالكي وسائل الانتاج الاجتماعي الذين يطبقون العمل المأجور» بتعميقها التفاوت الطبقي واستغلالها لشقاء العمال وحرمانهم من المساواة الاجتماعية. كما تطلعت خارج حدودها لفرض سياستها ونظامها على الشعوب الاخرى خارج اطار الأسرة الاوروبية فغزت العديد من بلدان العالم في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وفرضت حكومات موالية لها، ونهبت ثرواتها الطبيعية وربطتها بعجلة التبعية الاقتصادية والسياسية فأصبحت طبقة مستعدية ـ غازية ـ استعمارية. لكن علينا أن نفرق بعقلانية بين التراث الفكري والحضاري للغرب البرجوازي كفتح انساني تقدمي تمثل في عصر النهضة ـ الانوار ـ العقل ـ الثورة الصناعية ـ تأكيد القيم الانسانية ـ الحرية ـ المساواة ـ العلمانية ـ الديمقراطية ـ وبين السطوة ـ الهيمنة السياسية والعسكرية على العالم التي تقودها الامبريالية في هذا العصر.

ترى الماركسية ـ اللينية، أن النظام البرجوازي الرأسمالي يحمل بذور فنائه من الداخل، أي من داخله، فحيث أن البرجوازيين والرأسماليين يسعون إلى زيادة ثروتهم باستغلالهم جهود العمال فإنهم في نفس اللحظة يزيدون من تنامي واتساع أرضية الطبقة العاملة، وتصبح بالتالي كل مفاتيح القوة الانتاجية في يدها، ومع الوعي الذي يتكون لدى الطبقة العاملة نتيجة لتناقضات البرجوازية فإن هذين السببين: تكثيف الثروة من جهة، والوعي من جهة ثانية، سيؤديان إلى ثورة الطبقة الكادحة والاطاحة بالطبقة البرجوازية.

«البرجوازية الوطنية»

طبقة تمثل أصحاب الفعاليات والعمل المحلية. وهذه البرجوازية تنشأ في البلدان النامية ذات التطور البطيء أو البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة أو المتحررة شكلاً، ولها مصلحه في تطور بلادها السياسي والاقتصادي المستقل.

«يواجه تطور الرأسمال الوطني في ميادين النشاط الاقتصادي على الدوام تقريباً العقبات بصورة تحكم الرأسمال الأجنبي والعلاقات السابقة الرأسمالية التي يحافظ عليها المستعمرون. وهذا ما يؤدي إلى نشوء تناقض بين البرجوازية الوطنية والبرجوازية الامبريالية - وهكذا يكون موقع البرجوازية الوطنية في الخط المعادي للامبريالية». وقد كتب لينين بمعرض الحديث عن الامكانات والطاقات الثورية الكامنة لدى البرجوازية الوطنية في «أوروبا الراقية» ليس من طبقة راقية غير البروليتاريا. أما البرجوازية الحية، فهي على استعداد لاقتراف كل عمل وحشي اجرامي آثم لكيما تذود عن العبودية الرأسمالية السائرة الى الموت... ولقد كانت البرجوازية الوطنية احدى القوى الرئيسية التي قادت نضال الشعوب السياسي ضد الاستعمار والامبريالية. وبرز من بين صفوفها زعماء سياسيون ساهموا في حركة التحرر الوطني.

للبرجوازية الوطنية عقلية مزدوجة نابعة من ازدواجية طبيعتها الاجتماعية، فمن جهة تعاني من نير الاحتكارات الأمبريالية، ومن جهة أخرى تستغتل هي نفسها الجماهير الشعبية المسحوقة، كما تتميز بحلولها التوفيقية لذا نراها دائما عاجزة عن تجذير التحولات الديمقراطية العامة رغم أنها مفيدة لها. تسعى البرجوازية الوطنية الى استغلال

ثروات البلد الطبيعية والبشرية بلا مشاركة من أي طبقة اخرى، وتميل إلى حل تناقضاتها مع الاحتكارات الأجنبية عن طريق المصالحة والمساومة. وايديولوجيا البرجوازية الوطنية اصلاحية وغير ثورية، فهي لا تقدم على تصفية المؤسسات الاقطاعية بصورة حاسمة لأن ذلك حسب منطقها يعتبر اعتداء على الملكية الخاصة التي هي حق مقدس. في سبيل مصالحها الطبقية تسعى البرجوازية الوطنية إلى دفع البلاد في الطريق الرأسمالي الذي يتناقض مع ميول التطور الاجتماعي المعادي للامبريالية ومصالح الكادحين، ويحمل الجماهير الانصراف عن البرجوازية الوطنية لثورة التحرر الوطني - وبالتالي تقدم البرجوازية بصورة اوضح على الالتقاء مع الامبريالية والرجعية الداخلية، وبالتالي ينتهي بها المطاف إلى قمع الحركة الوطنية من عمال وفلاحين ومثقفين ديمقراطيين. وفي سبيل تأمين مواقفها الطبقية تظلل نفسها بشعارات تحت راية القومية والنضال القومي. ويتضح ذلك كلما نضجت التناقضات الطبقية.

البرجوازية الوطنية العربية لا تحمل من سمات البرجوازية إلا الاسم وميولها رجعية ولا تلعب دوراً تقدمياً، ويمكن أن نقول ليس هناك برجوازية وطنية عربية بالمعنى ا الطبقي، لأن نشوء هكذا برجوازية مرهون بشروط أهمها بناء صناعة وطنية عربية يقوم ببنائها وملكيتها مجموعة من الناس، وليس الدولة لهم مصالح تودي للصدام مع الامبريالية، وهذا ليس موجوداً. فالصناعات التي أنشأتها البرجوازية الوطنية العربية صناعات تدور في عجلة الاقتصاد الامبريالي ومتممة للصناعات الاحتكارية الكبرى، وليست صناعات متحررة قائمة بذاتها، وهي صناعات قامت في مناخ التواطؤ والمصالحة مع الامبريالية وليس في ظل التناحر معها. وبالتالي الأمل ضعيف في أن تلعب البرجوازية العربية دوراً مهماً في الصراع الوطني والقومي، إن مشاركة بعض الافراد

الوطنيين من البرجوازية مع الجماهير الشعبية حقيقة واقعية ولكن هؤلاء ليسوا البرجوازية الوطنية[1] .

* * *

البرجوازية الصغيرة

البرجوازية الصغيرة طبقة واسعة غير متجانسة ومذبذبة ومتفاوتة المصالح. تشمل البرجوازية الصغيرة الحرفين واصحاب المهن الحرة وصغار التجار والموظفين الصغار واوساط المثقفين. كما تشمل على صعيد الريف ذوي الدخل المتوسط كقائدة لحركة الثورة العربية نتيجة لأسباب موضوعية منها ضعف التطور الاقتصادي الرأسمالي، ومحدودية وجود الملكية الخاصة، وسيادة نمط الاقتصاد الصناعي الصغير. هذه القاعدة الاقتصادية والمتخلفة كانت الاساس العضوي لقوة البرجوازية السياسية، وكثرتها العددية، كما أن هناك بعض عوامل ساعدت البرجوازية الصغيرة على الصعود، هو عجز البرجوازية الوطنية عن تحقيق الثورة الديمقراطية، في وقت لم تنم فيه الطبقة العاملة النمو الكافي الذي يتيح لها ممارسة دور قيادي في الثورة العربية. إن ضعف التصنيع انعكس في ضعف سياسي بالغ عانته البرجوازية الوطنية، وفي ضعف الطبقة العاملة أيضاً. لا شك ان قسماً كبيراً من البرجوازية الصغيرة وخاصة وذوي الهوى اليساري مع الثورة والتقدم من الناحية الموضوعية على الأقل ـ يقول لينين عن البرجوازية الصغيرة

---

(1) ـ في تعريف مصطلح البرجوازية الوطنية استخلصنا:

آ ـ مقالة الأستاذ ناجي علوش ـ مجلة دراسات عربية ـ صيف ـ 1993.

ب ـ اطروحات سياسية ـ ياسين الحافظ ـ 1975.

«بدون اشتراكهم هذا يستحيل كل نضال جماهيري وتستحيل أية ثورة، ومن المؤكد أنهم سيحملون معهم إلى الحركة أوهامهم وأضاليلهم وتحليلاتهم الغربية الرجعية ونواقصهم واخطاءهم ولكنهم موضوعياً سيهاجمون الرأسمال».(1)

إن البرجوازية الصغيرة هي التي تتولى فعلياً في هذه المرحلة قيادة الثورة العربية لأن ظروف الصراع في الوطن العربي وتوزيع القوى الاجتماعية هي التي أهلت البرجوازية الصغيرة لهذا الدور. إلا أن البرجوازية الصغيرة فشلت معظم قياداتها وشرائحها المسؤولية عن قيادة حركة الثورةالعربية ولكن البرجوازية كطبقة لم تسقط، إذ أن سقوط بعض شرائحها لا يعني بأي شكل سقوطها كقوة طبقية ما تزال ترفد حركة النضال العربي بطاقات وطنية تقدمية، في التصنيف يمكن اعتبار البرجوازية الصغيرة طبقة وسيطة، وهذا الاعتبار لا يحول بينها وبين أن تكون طبقة قائدة لمرحلة تاريخية كاملة. إن القيادة البرجوازية الصغيرة هي بماهيتها قيادة انتقالية، لأن الاقتصاد البرجوازي هو بالأساس، اقتصاد انتقالي، هو مرحلة قد تطول وقد تقصر، ولكنها مرحلة انتقالية عابرة في التطور التاريخي على كل حال. ومن هنا فان المجهود الاساسي في تقييم البرجوازية الصغيرة يجب أن يرتكز على نسبية، وعلى نسبية مفاهيمها وتصوراتها وادواتها النضالية. وبكلمة إن تقييم دور البرجوازية الصغيرة لا بد أن ينطلق من معايير خارجية عنها، إما بدلالة علاقاتها بالبرجوازية الكبيرة واما بدلالة صلتها بالطبقة العاملة، ولكن صعود البرجوازية الصغيرة لا يشكل في حد ذاته أفقا لمرحلة تاريخية كاملة، إن ما يشكل هذا الأفق التاريخي الكامل هو صعود الطبقة العاملة المتحالفة مع الطبقة الفلاحية فقط(2) .

---

(1) ـ انظر لينين ـ حركة شعوب الشرق الوطنية التحررية ـ ص 276.

(2) ـ للتوسع انظر ـ أزمة الثورة العربية ـ ياسين الحافظ ـ ص 128 ـ 131.

الانتهازية

يفهم الكثيرون أن الانتهازية مقولة تعني اقتناص الفـرص أو تحين الزمـن المناسـب للوصـول إلى بعـض الاغـراض، أو هـي التلـون وفـق مقتضيـات الظـروف الـتي يراهـا الانتهازي مؤاتية لبلوغ مراميه. واغراض الانتهازي مؤقتة وغير ثابتة لأنها ترتبط بالزمان والمكان وطبيعة النظام السياسي والاجتماعي الذي يعيش في ظله هذا النموذج البشري.

الانتهازية بمفهومها السياسي والموضوعي والعملي هي تحريف المبـادىء الأساسـية الايديولوجية والسياسية للطبقة العاملـة وافسـادها بالشـعارات المجـردة ومحاولـة تكييفهـا لمصـالح الطبقـات غـير المنتجـة أو الطبقـات المستغلة. تظهـر الانتهازيـة في المجتمعـات والأحزاب أيام الأزمات والمحن وتنتعش وقت الفوضى على الصعيد العملي ولا تعيـش الانتهازية وسط مجتمع منظم، وتنكـر الانتهازيـة الاسـاليب الثوريـة للكفـاح وتسـير في الاتجاه التوفيقي والتلفيقي المتصالح مع البرجوازية مما يؤدي في نهاية المطـاف إلى التخلـي عن النضال في سبيل الحريات الديمقراطية والاشتراكية. وهناك انتهازيـة يمينيـة وانتهازيـة «يسارية»، فالانتهازية اليمينيـة نهـج يعـارض التغيـير الجـذري للصراعـات الاجتماعيـة الرأسماليـة وتدعـم الاصـلاح، وتسـعى إلى ايجـاد مواقـع مؤثـرة لهـا في ظـل الرأسماليـة والاستغلال الطبقي، وتعكس مصالح الفئات البرجوازية الصغيرة «والقسم المتبرجز مـن الطبقـة العاملـة» وأقصـى مطالبهـا الاصلاحـات الاقتصاديـة. إن النسـغ الـذي ينعـش الانتهازية اليمينية هي فترات الهمود وشحوب المناخ الثوري.

يقول لينين عن الانتهازية: تظهر في بادىء الأمر بوصفها مزاجاً ثم بوصفها اتجاهاً

وأخيراً بوصفها جماعة أو فئة من البيروقراطية ورفاق الطريق البرجوازيين الصغار).[1]

أما الانتهازية اليسارية : من الناحية الشكلية هي الوجه النقيض للانتهازية اليمينية. فهي متطرفة في شعاراتها وثوريتها، ترفض المنطق التوفيقي والحلول الوسط، وتصر على الهدم الجذري للاوضاع الفاسدة كما ترفض المصالحة أو التعاون مع المنظمات الاصلاحية دون مراعاة للمرحلة وطبيعتها ومهامها، وتعكس ايديولوجيا ونهج قسم كبير من البرجوازيين الصغار. والانتهازية اليسارية تشبه الانتهازية اليمينية تقفز فوق الواقع الموضوعي وتحرف النظرية الثورية وتدفع حركة الثورة نحو المغامرات والاساليب البلانكية. «وتبرهن التجربة على أن انتعاش نشاط العناصر الانتهازية اليسارية يحصل عادة في مرحلة احتدام الصراع الطبقي وتزايد المصاعب والحرمانات».[2]

* * *

«الدوغمائية»

الدوغمائية هي فصل المفهوم عن الواقع ومعطياته، وتقديس الكتب والكتابات النظرية، وتكذيب الواقع والحياة، وتغليب العقائدية والمذهبية على النظرية العلمية وحصر المبادىء في قوالب جاهزة وانكار ديمومة حركة الواقع كتدفق لا يعرف التوقف. وفي الوطن العربي تعرض الفكر التقدمي لمرض الدوغمائية وخاصة الفكر الماركسي ـ اللينيني في كل الاحزاب الشيوعية العربية بسبب تحويل الماركسية من منهج

---

(1) ـ انظر المؤلفات الكاملة ـ لينين ـ دار التقدم ـ المجلد ـ 27 ـ ص 118 .

(2) ـ المصدر السابق ص 30.

علمي ذي طرائق متعددة التطبيق حسب الخصائص التاريخية لكل بلد، إلى لاهوت صالح لكل زمان ومكان، مما أدى إلى نسخ الماركسية من نظرية مدعومة بأسس علمية وواقعية، إلى عقيدة اسطورية ثابتة وهو ما يناقض جوهر الماركسية التي تستلزم الواقع الدائم التغير والحركة وتتعامل معه وتلاحقه من هذا المبدأ الاساسي. كما أن الدوغمائية نظرة عفوية لأنها تحفظ حلولاً نظرية عن واقع الامم والشعوب الاخرى وتحاول أن تسقط هذه الحلول على واقع مخالف لواقعها ذي السمات الموضوعية والذاتية الخاصة، من خلال فكر جاهز لا علاقة له بهذا الواقع. واشكالية النهج الدوغمائي كانت وما زالت تكمن في المحاولات التلفيقية القائمة بين سلامة هذا الفكر كاطار نظري، وحشر واقع بصورة قسرية في اطار يختلف معه بهذا القدر أو ذاك، أي البعد عن معرفته العلمية «ووجدنا الحل لهذه الصعوبة في نظرية التطبيق فهذا المنهج يؤدي في نهاية الأمر إلى معالجة الواقع نظرياً. أي معرفته وادخاله بالقسر في ثنايا الفكر المتبلور المتكون المتلائم لواقع الآخرين.

ولقد برز خطر الدوغمائية فاقعاً في معالجاتنا لأخطر القضايا وهي القضية القومية العربية، حيث وقعنا أسرى الصيغ الجاهزة، فعقدنا مقارنات غير صحيحة بين نشوء وتطور القوميات في اوروبا، وبين نشوء وتطور القومية العربية، فإذا كانت البرجوازيات الاوروبية نشأت كتعبير عن مطامع البرجوازية الصاعدة واكتسبت طابعاً تقدمياً تحول إلى عكسه مع تحول الرأسمالية المزاحمة الحرة إلى مرحلة الاحتكارات والامبريالية وقهرت من جراء ذلك الشعوب، بينما نشأت القومية العربية في ظروف امتهان وخضوع للاحتلال الاجنبي وبذلك اكتسبت منذ تكوينها ونشأتها طابعاً وطنياً تقدمياً لأن هدف كفاحها أصبح حرية بلادهم واستقلالها وتخليصها من النير الأجنبي.

«الحرية»

الحرية مقولة ينشدها الانسان منذ فجر التاريخ ولقد بدأ الانسان يناضل من أجل الحصول عليها منذ ظهور الملكية الخاصة وانقسام المجتمع إلى طبقات.

في الفكر الماركسي: الحرية هي التحرر الاقتصادي أولاً، فلقد قال ماركس «الانسان الذي يعمل لانسان آخر لا يمكن أن يكون حراً مهما منح من حقوق دستورية».

الحرية مفهومة بمعناها العلمي الذي حددته الماركسية بأنه «ليس الاستقلال عن القوانين الطبيعية، وإنما هو معرفة هذه القوانين والامكانية التي تقدمها لتجعلها تعمل بطريقة مستقلة من أجل غايات محددة.

تعرف الماركسية الحرية على أنها إدراك الضرورة، لكنها تشير أيضاً إلى أن إدراك الضرورة، دون امكانية تطبيقها عملياً ليس إلا وهماً بالحرية الحقيقية. فالحرية إذن، هي قدرة الانسان على الوعي والاستيعاب والتفهم طبقاً لاهدافه ومصالحه استناداً إلى معرفة الضرورة الموضوعية. إن دور الاحزاب الانقلابية هو تحويل الادراك والوعي إلى واقع ملموس يمكن تحقيقه وانجازه بتحقيق الديمقراطية لكل العاملين بسواعدهم وأدمغتهم عبر القضاء على بؤر الاستغلال.

يقول انجلز «يأتي التعريف الماركسي للحرية بصفتها الضرورة المدركة وحسب هذا التعريف الماركسي للخرية بصفتها الضرورة المدركة وحسب هذا التعريف، الحرية الفردية والجماعية، حرية الطبقة، حرية المجتمع، تتمثل بمجملها ليس في الاستقلالية

الوهمية عن القوانين الموضوعية بل القدرة على الاختيار واتخاذ القرارات بمعرفة الواقع».

كثيرون من يفهمون الحرية بشكل جزئي ويحصرها في مجال الحرية السياسية في تقرير المصير أو معارضة الحكومة ونقدها وهذا يرجع إلى ملابسات تاريخية، منها القمع التاريخي ومصادرة الحريات العامة، ومنها الصراع ضد الاستعمار والمطالبة بالاستقلال.

إن الحرية موقف شمولي من الانسان له أصوله الفلسفية والاخلاقية، وهي قيمة بنيانية مرتبطة بالتصور العام للإنسان وطبيعته وعلاقاته. إن انتهاك الحرية في العالم الثالث سببه أن مفهوم الحرية لم يرتبط بعد في سلسلة القيم البنيانية والمبدئية في حياة الناس كأفراد وجماعات.

إن الحرية قيمة تتنافى مع احتلال اوطان الآخرين، وتجافي ممارسة الارهاب، وهي قيمة كاملة لا تقبل التجزئة ولا تنفي نفسها ولا تناقضها، لأنها قيمة تمثل طموح الانسان لان يمارس حياته في نطاق حرية الآخرين بإرادة تامة لأن الارادة ملازمة للحرية وشرطها الضروري، فلا مستقبل حضاري لأي شعب دون إرادة واعية فاعلة.

* * *

«الديمقراطية»

الديمقراطية مصطلح يوناني يعود تاريخه إلى دولتي اسبارطة وأثينا. يتألف هذا المصطلح من كلمتين «شعب وحكم» أي حكم الشعب، أو كما عبر عنه لنكولن «حكم الشعب لصالح الشعب بواسطة الشعب» أي اختيار الشعب لحكومته.

ويرجع تعبير الديمقراطية إلى نظم الحكم القديمة، وأقدمها ديمقراطيات المدن الاغريقية مثل «أثينا».

لقد اكتسب هذا المصطلح مدلالولاً سياسياً فقط، ولكن حركة التاريخ الصاعدة والتراكمات التي خلقها التطور واسهامات مفكري العلوم السياسية والقانون عقب ذلك هي التي عمقت المصطلح وأكسبته طابع الشمولية والاتساع حتى أصبح يدل على النظام السياسي والاجتماعي. وتختلف المدارس الفكرية في مفهومها ورؤيتها إلى الديمقراطية. في النظام الاثيني هي ديمقراطية يتمتع بها الأحرار، وليست ديمقراطية العبيد.

في النظام الراسمالي هي حرية أصحاب رؤوس الأموال والبيوتات المالية وأصحاب الفعاليات الاقتصادية في الفرص للسيطرة على الدولة واخضاعها لمصالحهم واحتكار القرار السياسي والاجتماعي - والديمقراطية في هذا النظام تستخدم من قبل أقلية من الناس بهدف تدعيم النظام الاقتصادي وتدعيم آليته. يقول هارولد لاسكي «إن الراسمالية لا تسمح بالديمقراطية إلا إذا كانت الراسمالية في حالة أزدهار ونمو، وعندئذ لا تمانع في منح الشعب بعض الحقوق السياسية، ولكن إذا كانت الراسمالية تمر بانكماش وكساد فإنها لا تتردد كما فعلت في أزمة عام 1929/1930 أن تسحب تلك الحقوق الديمقراطية وتشهر الديكتاتورية سلاحاً في وجه الشعب.

أما الاشتراكية فتوجه العديد من الانتقادات إلى الديمقراطية الليبرالية وترى أن أهم عيوب الديمقراطية الليبرالية هو الفصل بين الحقوق السياسية والعدل الاجتماعي، ومن هنا ظهرت الديمقراطية الاجتماعية، وهي التي تطالب بحقوق المواطنين السياسية متوازنة مع تحقيق العدل الاجتماعي، فالغاء الاستغلال والتأميم الشامل لوسائل الانتاج هو الذي وحده يكفل المساواة والعدل الاجتماعي، وربط أنصار هذا الاتجاه بين الحرة السياسية لمجموع الشعب، وبين التقدم الاجتماعي.

الديمقراطية ليست مجرد دستور لأن أي دستور يمكن أن يصبح حبرا على ورق. وهي ليست مجرد مجلس نيابي لأن أي مجلس يمكن أن يتحول إلى ساحة نفاق ورياء

لتبرير ممارسات السلطات الحاكمة والموافقة الاجماعية برفع الايدي أو التصفيق.

وبرأينا أن الديمقراطية محصلة سياسية لنتائج اقتصادية اجتماعية وفكرية حققها نضال طويل خاضته مجتمعات البلدان المتقدمة.

لأن الديمقراطية لا يمكن أن تتحقق إلا في مناخ يسمح بحل المشاكل عن طريق المناقشة الحرة، أي الحوار الديمقراطي.

الديمقراطية لها دعامتان: أحدهما سياسي ويعني حرية تشكيل الأحزاب والكتابة والرأي والمعتقد ـ حرية الاقتراع واختيار ممثلي الشعب دون اكراه. أما الدعامة الثانية فهي اجتماعية وتتضمن تقديم حقوق مادية للفرد من غذاء وكساء وسكن وتعليم وخدمات صحية واجازات ترفيه..الخ.

إذا قرأنا الواقع العربي بموضوعية نستنتج أن المواطن العربي محروم من الديمقراطية بفرعيها السياسي والاجتماعي.

* * *

«اليسار واليمين»

هما مصطلحان سياسيان، يرجع أصل المصطلحين في السياسة إلى حادثة شهيرة. عندما اجتمع البرلمان الفرنسي لأخذ موافقة النواب في مسألة لها ارتباط خطير في شؤون الدولة، فاعترض عدد من النواب لأن الموضوع المطروح كان ضد المصلحة العامة للمجتمع، فجلسوا على اليسار وظل الآخرون الذين يصرون على تنفيذ الموضوع رغم تأثيره على مصلحة المجتمع في أماكنهم على يمين قاعة المجلس. ومن هذا الوقت شاع المصطلحج وتداول بين المفكرين والمثقفين والسياسيين أولكتاب.

وأخذ المصطلح يتطور بالتدريج مع مرور الزمن، فأصبح مصطلح اليمين في السياسة يعني الرجعيين والمحافظين والمثبطين لارادة المجتمع وكل من يقف في وجه الحركة التاريخية الصاعدة.

أما اليسار فيعني الوطنيين والتقدميين والديمقراطيين والثوريين وكل دعاة التغيير والتطور ونقل المجتمع إلى درجة أرقى في سلم التقدم. وعلى هذا، فمعنى اليمين في الفكر السياسي هو الامتثالية والجمود العقائدي والرجعية والمحافظة على الاوضاع القائمة لمصلحة فئة مستغلة، أوطبقة احتماعية متعالية هدفها ابقاء الجهل والمرض والفقر والتخلف. يخيم على المجتمع، وابقاء الشعب يتخبط في الوهم والخرافات وخداع الناس ومحاولة أقلية من الناس الاثراء على حساب المجتمع.أما اليسار في الفكر السياسي أصبح يعني الثورة والتقدم وتعميم قيم العمل والانتاج والعدالة الاجتماعية ونشر الوعي السياسي ومحاربة الاستعمار بكل أشكاله القديمة والجديدة. واليسار اليوم كتيار فكري وسياسي يسعى إلى بناء انسان حر، واع ـ عاقل ـ وبناء مجتمع إنساني يظلله الرخاء والازدهار والحرية والسلام، ويناهض العدوان والعنصرية والتعصب القومي، ويشجب كل اشكال الحروب السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والنفسية.

إنه ثورة ضد الظلم والهمجية واحتلال أوطان الآخرين.

وقد أضحى اليسار واليمين خطين سياسيين وفكريين يشملان جميع دول العالم وشعوبه. معسكر اليسار الذي يمثل السلام والدعوة إلى التعايش السلمي والحد من سباق التسلح وتدمير الاسلحة النووية ووقف إنتاجها، واخماد بؤر التوتر في العالم وينضوي تحت راية هذا المعسكر كل قوى التقدم والسلام والحرية والديمقراطية والاشتراكية في العالم. أما اليمين فيشمل معسكر الحرب والعدوان والرجعية والتمييز الطبقي والعنصري

وتمثل هذا المعسكر القوى الاستعمارية والامبريالية والصهيونية والرجعية، ويهدد مصير الانسانية بالدمار والفناء.

* * *

«الماركسية ـ اللينينية»

الماركسية ـ اللينينية فلسفة ذات براهين علمية، وحصيلة لتجارب واقعية في كافة الميادين الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. وهي سلاح نظري لمعرفة العالم وامكانية تحويله باتجاه ثوري ومعرفة قوانين تطور المجتمع والطبيعة والتفكير البشري، وهي ايديولوجيا الطبقة العاملة.

ظهرت الماركسية في الاربعينات من القرن (19)م كرد على جشع النظام الرأسمالي الاستغلالي، وصاغ هذه الفلسفة العلمية الجديدة العملاقان كارل ماركس ـ وفريدريك انجلز.

ثم جاء لينين العظيم وتعمق في تطويرها، وبدأ نشاطه العلمي والثوري في أواخر القرن التاسع عشر والقرن العشرين في عهد الرأسمالية ومرحلتها المتقدمة الامبريالية، ورفع الماركسية على الصعيد النظري وحولها إلى سلاح فعال نوعياً في مجال التطبيق.

إن نشوء الماركسية ـ اللينية هي في الوقت ذاته استمرار مباشر لتطورات الفكر الاجتماعي ومنجزاته في ميادين الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية، وهي عبارة عنمنهج معرفي ـ مادي جدلي تاريخي تنطوي على الاقسام المكونة الرئيسية الثلاثة.

أ ـ الفلسفة المادية الديالكتيكية والتاريخية.

ب ـ الاقتصاد السياسي.

جـ ـ الشيوعية العلمية.

وكل من عناصر الماركسية ينقسم بدوره إلى عدد من المـواد المستقلةالتي تتحـول بالتدريج إلى علوم مستقلة مثل «الاقتصاد السياسي للاشتراكية».

ـ إن الماركسية سلاح معـرفي ومنهـج مـادي جـدلي وتـاريخي بعيـد عـن العقائدية أو المذهبية لأنها لو تحولت إلى عقيدة كما يحلو لبعض الماركسيين أن يصوروهـا لأصبح مـن المتعذر على المؤمن بها أن يخضعها اخضاعاً منطقياً وعقلانياً لمنـاهج البحـث العلمـي والنقـد العلمي، لذا نرى جميع الاقسام المكونة للماركسية ـ اللينية الحقة يلازمها روح نقدية ـ ثورية ـ نفاذه ذات طابع خلاق مبدع.

فالماركسية ليست نصوصاً لاهوتية خارج الزمان تحمل في طياتهـا قـدرة سـحرية عجائبية على تجاوز العصر والتاريخ، بل هي منهج حي يتصل أوثـق الاتصـال بعصرهـا وعلوم ذلك العصر، وتلك خطيئة الستالينية حين تغـاضت عـن المنهـج النـابض بالحيـاة للماركسية والتفتت إلى القوانـين التفصيلية بمعزل عـن ظروفهـا التارخيـة وحولتهـا إلى أقانيم متيبسة.

إن الماركسية ليست دليـلاً في النشـاط التطبيقـي الهـادف إلى تحويـل المجتمـع نحـو الأفضل فقط، بل هـي أيضـاً سـلاح نظـري في مجـال التطبيـق وفي مجـال معرفـة العـالم وقوانينه معرفة صحيحة، وهي تقدم للانسان مرشـداً حياتيـاً قويمـاً وتسـاعده في معرفـة دوره ومكانه في العالم، والعلاقة بينه وبين الطبيعة من جهة، وبينه وبين النـاس مـن جهـة أخرى، كما ترسم خطاً سلوكياً يتمـيز بـالفهم العميـق للواقـع والقـدرة الفكريـة على الاقناع والصلابة السياسية، والمواقـف المبدئيـة والنزعـة الانسـانية النبيلـة. لقـد اجتـازت الماركسية طريقاً شاقاً من التحول والتطور ناهز قرن ونصف القرن من الزمان. وكانت المرحلة الاولى نشوء الطبقة العاملة ونموها في بعض البلدان وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي

سابقاً، وتأسيس الاحزاب العمالية الماركسية، لقد ولدت الافكار الماركسية وتطورت في ظل الرأسمالية حين كانت القوى والطبقات المستغلة الحاكمة تحتكر كل وسائل التنوير ومقومات الحركة العلمية.

كانت الماركسية سائدة في الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية السابقة، وهي دليل العمل لملايين البشر في مختلف أصقاع العالم.

إن الماركسية ليست نظرية قومية، بل نظرية أممية حيث توجهها وطابعها العام، وهي تتنافى مع الدعوة إلى التعصب والشوفينية والعنصرية، وقوانينها تتسم بأهمية شمولية، وهي منظومة فكرية تتسم بعمق النظر ودقة التحليل، لذا لا يمكن تطبيق أحكامها تلقائياً وميكانيكياً في كل زمان ومكان، إذ لا بد من دراسة الخصائص الوطنية والقومية والتاريخية...الخ بدقة وعناية فائقتين، وتحليل الواقع المادي الملموس بكل عناصره ومركباته تحليلاً عميقاً، لأن الماركسية ليست نصوصاً جامدة ولا عقائد متيبسة يكفي حفظها وتكرارها عن ظهر قلب ثم رسم خط سياسي عليها.

فالماركسية الحقة تعادي كل المسبقات والافكار التقريريةالجاهزة والاساليب التبريرية الفاسدة، وبالتالي تنافي كل أشكال الصنمية والامتثال والجمود العقائدي.

* * *

«الستالينية»

إن الستالينية بكل ما تمثله من اجابات نهائية يقينية حولت الماركسية إلى عقيدة جاهزة جامدة يختفي منها دور الانسان ومبادرة الجماهير الخلاقة. يقول هنري لوفيفر «أهم أمر في نظر ستالين أن الماركسية منذ بداياتها الأولى مذهب ومذهب تام

وناجز». إن ثمة فرقاً كبيراً بين اتخاذ ماركس ولينين كاجابات مقدسة عن كل زمان ومكان، وبين اعتبارها طريقاً عبقرياً لتساؤلات عصريهما وجواباً علمياً دقيقاً عنها، هو الفرق بين ابتذال الماركسية بتحويلها إلى «دوغما» وبين احيائها وتطويرها وتعميقها باعتبارها «نهجاً».

إن اكتشاف ماركس لفضل القيمة وفائض القيمة في المجتمع الرأسمالي، تنبع أهميته القصوى من كونه منهجاً في التحليل التاريخي لا لكونه قانوناً اقتصادياً فحسب. وكذلك كان جدل الطبيعة عند انجلز منهجاً في التحليل العلمي وصياغة فلسفية لمجموعة من القوانين ـ فالأساس والاساسي جداً عند ستالين أن الوعي يتأخر، فالمعرفة تأتي بعد الواقعة فهي لا تغير منها، والواقعة على هذا النحو تكون مستقلة عن معرفة الانسان وتدخله، ويرى لوفيفر أن نظرية تأخر الوعي هي «مفتاح التأويل الستاليني للماركسية وخطؤها الأساسي في نظرية المعرفة». إن التبرير الستاليني وتأويلاته من أجل تسويغ هيمنة الدولة التي تناسبها العقائد الجامدة لسد الطريق على مبادرة الجماهير وستالين كرجل دولة قد أدرك ذلك «لكي تتحقق الضرورة التاريخية، ولكي تحل القضايا لذا ينبغي ايجاد تأويل خارج تماماً عن الجماهير ومبادهتها التلقائية، وهذا التأويل اللازم هو الدولة»[1]

لقد حول ستالين الماركسية من منهج في النقد والتحليل إلى نظرية ذات طابع إمتثالي وصنمي وألغى كل مظاهر الديمقراطية. وخطيئة الستالينية أنها أهملت المنهج» الحي في الماركسية والتفتت إلى القوانين التفصيلية بمعزل عن ظروفها التاريخية وحولتها الى نصوص لاهوتية وتعاليم سلفية مقدسة.

---

(1) ـ انظر مسائل ماركسية معاصرة ـ هنري لوفيفر ـ ص 131.

«الثورة»

هي أسلوب للانتقال من تشكيلة اجتماعية اقتصادية معينة إلى تشكيلة جديدة أكثر تقدماً تتم عبر السيطرة على السلطة السياسية التي تستخدم فيما بعد كمرتكز لاعادة بناء النظام الاجتماعي بأسره لصالح الطبقة التي تمثلها القوى الثائرة. إن المقدمة الضرورية الموضوعية لأي ثورة هي التغيرات الجذرية الطارئة على أسلوب الانتاج وعلاقات الانتاج في المجتمع ما قبل الثورة.

الثورة عمل قوامه ـ الوعي ـ الارادة ـ التنظيم، كما هي تخطيط دقيق وبرمجة علمية تخضع تحت مجهرها قوى المجتمع وتوازناته لدراسة معمقة لرصد ميول الواقع وحركته ومزاج الشعب وتطلعاته، والاولويات التي يناضل من أجلها.

الثورة بشكل عام هي عملية هدم وبناء، وهي الانتقال إلى تشكيلة جديدة. وقد تحدث الثورة في أوقات مختلفة وبلدان مختلفة بقدر نضوج الظروف والمقدمات لها. كما أن الثورة تمثل انعطافاً حاسماً تطول المفاصل والانساق البنيوية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية...الخ وتستهدف بناء علاقات انسانية جديدة وخلق انسان جديد في فكره وعاداته وتقاليده ونظرته إلى الطبيعة وقوانينها. تختلف الثورة عن الفورة والهبة والهيجان، من حيث الشكل والمضمون.

فالثورة تستند إلى العمق في النظرة والتحليل العلمي لكل المشكلات. وتتسم بالصبر والأناة والنفس الطويل والهدم الجذري لبنى المجتمع، وتعتمد على الواقعية الثورية والعقلانية في تعاملها مع الاحداث والقوى الحليفة أو القوى المضادة للثورة، وتعرف

وقت التراجع كما تعرف وقت الهجوم، وتفرق بين الصديق والحليف وبين العدو. بينما الفورات أو الهبات هي عمل دعائي أو تبشيري، سريع ومتهور يهدم أكثر مما يصلح، كما أنه سطحي في تناوله لعلاج المشكلات.

الثورة غير الانقلاب العسكري ــ الثورة عملية تراكم واختمار شعبي قاعدي تعمل مسبقاً وفق برنامج يستهدف هيكلية الواقع المتخلف بمشاركة جماهيرية فعالة، لها مضمون اجتماعي حيث يسير في ركابها سواد الشعب الفقير لأنها تمثل مصالحه وآماله في الحرية والعدالة الاجتماعية. أما الانقلاب العسكري. فهو عملية سطو على السلطة من وراء ظهر الشعب ودون مشاركة منه مسبقة أو لاحقة.

الانقلاب العسكري عمل سياسوي يستهدف الحكم والتسلط في معظم الاحيان، على عكس الثورة فهي عمل سياسي ثوري يعتبر السلطة وسيلة لا غاية في سبيل تطبيق المبادىء والأهداف، بينما الانقلاب يحمل شعارات براقة غالباً ما يتراجع عنها عند الامتحان، بينما الثورة ذات مبادىء جدية تقاتل من أجلها حتى نهاية الطريق.

وفي الغالب يفضي الانقلاب إلى القمع والاستبداد لاعتماده على الاسلوب الامني ومصادرة الحريات الديمقراطية، وضيق قاعدته الجماهيرية. الأنقلاب العسكري عمل بوليسي مغلق يسير من أزمة إلى أخرى وطريقه مسدود، بينما الثورة عمل مستمر وطريق المستقبل أمامها مفتوح. في الثورة تحكم مؤسسات وهيئات تشريعيةوشرعية، بينما ترجع السلطة الانقلابية العسكرية إلى فرد واحد أو عصبة معزولة تقتتل على كرسي الحكم. إن إسم الثورة وحدودها ومراميها ترتبط بنوعية النظام الاجتماعي والقوى الفاعلة فيه.

هناك ثورة برجوازية مثل الثورة الفرنسية التي انفجرت أواخر القرن الثامن عشر

1789م»، وثورة اشتراكية مثل الثورة الروسية 1917 بقيادة البلاشفة وعلى راسهم لينين، وهناك الثورة الصينية التي قادها ماو تسي تونغ في النصف الأول من القرن العشرين، وكذلك الثورة الفيتنامية التي قادها هوشي مينة. ولكل هذه الثورات أهدافها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والطبقية.

الثورة عملية استنهاض لكل معاناة الانسان خلال عصور من الاضطهاد والعبودية وتوظيفها لكي ينقذ نفسه منها. لذلك يجب أن تستمر الثورة بشكل دائم خشية ظهور طبقات أو أنظمة جديدة تحت لافتات «تقدمية» جديدة.

* * *

«الثورة المضادة»

عمل معاكس منظم تقوم به القوى الامبريالية والرجعية وكل أعداء التقدم بغرض اعادة الانظمة القديمة التي تجاوزها التاريخ، كالانظمة الرجعية والعنصرية بواسطة التآمر الانقلابي أو الحروب الأهلية ضد الانظمة التي تسلك طريق التقدم الاجتماعي والديمقراطي الاشتراكي. الثورة المضادة غالباً ما يكون دعاتها من الايديولوجين المحافظين والرجعيين والامبرياليين.

وهي رد فعل مخطط على الثورة ذات المضمون التقدمي، وبعث الانظمة التي عفا عليها الزمن. كل ثورة لها نقيضها الثورة المضادة وهي كما قال ماركس «إن الثورة تنجب بحكم تطورها ذاته الثورة المضادة. ومرد ذلك إلى أن الطبقات السائدة المرتبطة بنظام علاقات الانتاج الذي ولى زمانه. لا تتنازل أبداً عن سلطتها طوعاً، وتبدي مقاومة عنيدة في وجه النظام الجديد». «انظر ماركس ـ انجلز ـ المؤلفات ـ المجلد (7)».

إن القاعدة الاجتماعية للثورة المضــادة هــي الطبقــات الاســتغلالية والطفيليــة الــتي تفقد السلطة والامتيازات نتيجـة الثـورة وتستميل إلى جانبهـا فئـات السـكان المختلفـة سياسياً وثقافياً والمتذبذبة، وتسعى إلى احداث الانشقاق في الصف الوطني وبين الفئـات والطبقات المقهورة بهـدف خلـق قـاعدة جماهيريـة لمقاومـة الثـورة. إن القـوى المضـادة للثورة تعتمد عادة في النضال ضد الثورة، محلياً على التخلف الداخلي للمجتمع، ودولياً على الرجعية العالمية.

* * *

«الناصرية»

نسبة إلى الرئيس الوطني جمال عبد الناصر الذي قاد ثـورة تمـوز في القطـر العربـي المصري (1952 - 1970). الناصرية ليست نظرية ولا عقيدة، وانما حركـة سياسـية عمليـة تجريبية بعيدة عن المساجلات النظرية المجردة. لقد كانت الناصرية حركة تجريبية إلى حد كبير، أي لم تسترشد بدليل نظري يسدد خطاها ويحصنها من المزالق التي كـان بعضهـا مؤثراً. إلا أن هذه التجريبيـة كـانت أفضـل مـن معظـم نظريـات الانظمـة والحركـات السياسية الموجودة على الساحة العربية آنذاك، هذه الأنظمة التي حاربت الوحدة العربية التي قامت بين مصر وسوريا عام 1958، وطرحت شعارات مجـردة لا تتطـابق مـع واقـع الأمـة وشـروط نهضتهـا. وقـد أثبتـت التجربـة أن الناصريـة كـانت تطـرح مبــادىء، لا شعارات حين قاتلت ضد الانفصال بين القطرين واغتيال الجمهورية العربيـة المتحـدة عام «1961».

لقد كانت الناصرية صحوة عربية وتلمساً لبداية الطريـق القومـي النهضـوي مـن

أجل التحرر العربي، إلا أن أداتها لتجسيد هذه المبادئ كانت قاصرة ودون الطموحات بكثير. لقد أراد عبد الناصر الوحدة العربية والقومية العربية على أرضية غير مؤطرة وغير واعية كي تكون درعاً يحمي الوحدة من القتل، كما لم يرق في هذه الجماهير قدرة خلاقة وأداة مباشرة للتدخل بل تعامل مع الجماهير بعقلية أبوية ورأى فيها ما يشبه السياج أو الحارس بلا سلاح، أي أنه لم يثق بوعي الجماهير وطاقاتها التاريخية الهائلة، على الرغم من الخطوات الهامة التي اتخذها لتمثيل العمال والفلاحين في المجالس التشريعية. كما أن حل الأحزاب والاكتفاء بتنظيم وحيد تقوده السلطة أوقف ديناميكية الحياة السياسية والاجتماعية مما أدى إلى نمو الروح الاتكالية والبيروقراطية على الصعد الادارية والسياسية والاجتماعية والانتاجية.

إن المأثرة التاريخية للناصرية تتمثل.

1 ـ القدرة الرائعة على تحريك الجماهير والهاب مشاعرها واستنفار حسها الوطني والقومي. لقد كان لخطب عبد الناصر أثراً سياسياً ونفسياً على الجماهير العربية لم تستطع الحركات السياسية المتواجدة في ميدان العمل الوطني أن تصل في مجموعها حتى إلى جزء منه.

وبرأينا أن السبب يعود إلى أن عبد الناصر كان يعكس في خطه السياسي تطلعات الأمة ومشاعر الجماهير، لذا رأت صورتها في المرآة الناصرية أكثر وضوحاً وتطابقاً من أي حركة سياسية أخرى فاستجابت لها.

2 ـ الاصرار الناصري على المسألة القومية. فالمسألة القومية في الفكر الناصري كانت أساسية لأن عبد الناصر رأى أن مسألة التحرر العربي والتقدم والاشتراكية مرتبطة بشرط أساسي هو تحقيق الوحدة العربية، وأن لا تحرر ولا إستقلال حقيقي لمصر دون القضاء على الاستعمار الجديد وأعوانه في مصر أولاً، وعلى صعيد الوطن

العربي ثانياً، لذلك نراه قاتل في الجزائر، أي دعـم الثورة الجزائرية ضـد الفرنسـيين بكل ما أوتي من قوة، وقاتل النظام الظلامي في اليمـن، وقـاتل الانكليز في عـدن، وكذلك فعل في العراق عام 1958 وما تلاه ضد حكم عبد الكريـم قاسـم، ودعـم كل تحرك شعبي ضد النظم العربية الرجعية.

3 ـ عروبة عبد الناصر: لقـد كـان عبد النـاصر يحمـل على كتفيـه رأسـاً عربيـاً قوميـاً استطاع أن يشد الثقل المصري بالحركة القومية العربيـة في بقيـة الاقطـار، في وقـت ارتفعت أصوات تنادي أن مصر أمة قائمة بذاتها «مصر الفرعوعنيـة» وهـذا التيـار ليس ضعيفاً. فكان اصرار عبد الناصر قوميـاً وعروبيـاً، فهـذا ليـس معنـاه عرقيـة أو شوفينية كما يدعي بعض الماركسيين التقليديـين، أو بعـض الاقليـات الطائفيـة الـتي تعادي الناصرية لسبب أو آخر، لأن العروبة ليست عرقاً بل ثقافة ـ حضارة ـ عمل وطـني وقومـي، وبالتـالي هـي مواقـف وليسـت ثرثرة عقيمـة، كمـا أن هـؤلاء لم يستوعبوا عصر الامبريالية القائم على تفتيت الامم وتذرير الشعوب.

4 ـ لقد استطاع عبد الناصر ولأول مرة في تـاريخ العـرب المعـاصر أن يرتقـي بـالعمل السياسي نقلة نوعيـة، مخلصـه مـن الفهلويـة والاوهـام وطبعـه بالواقعيـة الراديكاليـة والحساب الدقيق مقترباً في ممارسـاته السياسـية مـن العقلانيـة حـين خلـص العمـل السياسي من الاعتبارات الايديولوجيةالدينيةوالمعتقديةوأخضعه للحسابات المصلحية والواقعية، فلم يضع في سياساته الخارجية أي اعتبار عقائدي فقد كان معظم أعدائه من المسلمين، أما اصدقاؤه فـأغلبهم مـن الملحدين والمسيحين والمجوس والبوذيـين والهندوس. وكذلك كان الحال في تعامله مع مشاريع الحلول الأمريكية «للسـلام» وخاصة مشروع روزجز اثنـاء حـرب عـام 1967 ومـا بعدهـا تـدل علـى حصافـة سياسية واقعية افتقرت إليها مفردات السياسة العربية بعد رحيل عبد الناصر.

والسؤال هل للناصرية أخطاء؟ طبعاً لكل حركة سياسية أخطاءها «ومنابع أخطاء الحركة الناصرية وأسباب عجزها، عديدة وتتمثل في «فقرها الايديولوجي، تناقضاتها الطبقية، وعدم وجود حركة طليعية بالتالي»[1] .

* * *

«القومية والقومية العربية»

إن عصر القوميات هو عصر نهوض البرجوازية الاوروبية وصعودها، ونشوء وتطور الصناعة الضخمة، وتكالب الرأسماليين على فتح أسواق عالمية لتصريف منتجاتهم، ونهب ثروات الأمم والشعوب الاخرى واخضاعها اقتصادياً وسياسياً. ومن هنا اكتسبت القوميات الاوروبية طابع الاستعلاء والشوفينية والنصرية والاستعمار.

القومية ظاهرة حديثة برزت بحدة في القرن التاسع عشر، الذي يعتبر عصر القوميات الاوربية، وتختلف عن الظواهر السابقة عليها لأنها تتضمن مفهوم «الدولة القومية» التي تمثل التجسيد الكامل للمشاعر القومية. وإن فكرة القومية مرتبطة برباط لا ينفصم بمسيرة تعميم المواطنية. ويفهم عادة من كلمة قومية: مجموع بشري، يشعر فيه الأفراد بأنهم متحدون، بعضهم مع بعض، بروابط مادية، كما أنها روحية في الوقت نفسه، كالتاريخ واللغة والمشاعر المشتركة والأرض والمصالح والآمال والتطلعات.

وقد حدد ستالين وجود الأمة والقومية بأربعة شروط ـ الأرض ـ اللغة ـ التاريخ ـ والمصالح المشتركة ـ الاقتصاد الواحد. هذا التعريف فيه قسر وقولبة لوجود العديد من

---

(1) ـ الهزيمة والايديولوجية المهزومة ـ ياسين الحافظ ـ ص 150 ـ 160

الأمم ومنها الأمة العربية التي قسمت بفعل الهيمنة الاستعمارية ففقدت بعض مقومات الأمة وخاصة الاقتصاد الواحد حسب نظرية ستالين.

إن نشوء فكرة القومية العربية، بمعناها الدقيق، قد بدأ في البلاد العربية، مع بداية النهضة الاوروبية الحديثة، سواء على صعيد التاريخ أو السياسة أو الاقتصاد أو الثقافة والفكر والدين أو العادات، لأن الحياة العربية في عصر الجاهلية كانت حياة قبلية وغير قومية، بل أقوامية.

إن القومية العربية يجب أن تكون دعوة علمانية ذات طابع إنساني موضوعي بعيداً عن التأسيس على أي خلفية عنصرية.

إن الشعور القومي العربي قد بدأ بوحي عدد من الحوافز السلبية «خارجية وداخلية» فهناك تحديات خارجية تفرض الوحدة العربية تتمثل في الاستعمار والصهيونية.

أما الحوافز الداخلية فقد نشأت عن الاحساس الكبير بالتخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وعن الشعور بضياع حرية الفرد العربي وكرامته، وبالظلم الاجتماعي الفادح الذي بات يشكل قانون الحياة في المجتمع العربي والقوى الرجعية التي تقف عثرة في وجه التقدم.

إن الوحدة العربية هي الاختبار الحقيقي للحركة القومية باعتبارها التجسيد العملي لفكرة القومية العربية.

إن مضمون الثورة العربية القومية ثوري وتقدمي يتحدد محتواه المعادي للامبريالية والراسمالية باستنادها أساساً من الناحية الاجتماعية على الطبقات والفئات الهامدة المضطهدة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً.

الحركة القومية العزبية ليست ردة برجوازية أو شوفينية، كما تدعي بعض الكتابات الماركسوية أو الاقليمية في الثورة العربية الجانب القومي كبير، فهناك استعمار

استيطاني صهيوني زاحف، كما أن هناك أراض عربية سلخت من الوطن الأم بقوة الحراب الامبريالية واقتسام مناطق النفوذ بعد الحرب العالمية الثانية «لواء اسكندرون ـ عربستان».

نحن على يقين أنه طالما للامبريالية وجود وأحلاف في الوطن العربي فان القضية القومية تشكل مسألة مركزية في أولويات نضالنا الديمقراطي والاجتماعي والتحرري.

«الثوري الحق ـ القومي العربي ـ الحديث ـ المستقبلي، يريد أن ينتقل «وسينتقل» بهذا الوجود العربي المهدد أن يبقى سماداً للعالم المتقدم وموضوعات لسياسات الدول الكبرى، «وكذلك اسرائيل» إلى العصر ـ من هنا فان القومي العربي المستقبلي، الذي وعى تأخرنا وتقدم سوانا، ليس بحاجة إلى مهيجات ثوراوية ولا فيتامينات قوماوية تتنكر للحقيقة الواقعية والحقيقة التاريخية اللتين لا يمكن التقدم إلا إذا جرى وعيهما وعياً مطابقاً بلا رغبة ولا شعور».[1]

إن الجانب الثوري في الحركة القومية والتيار القومي العربي يتمثل في تأكيده واصراره على الوحدة العربية.

«إن الوحدة العربية هي الشرط اللازم لا الكافي لدخول العصر»

إن الثورة القومية الديمقراطية، هي الشرط الذي لا بد منه للتحول إلى الثورة الاشتراكية في عصر الامبريالية.

«إن كل ثورة قومية في بلد متأخر عليها أن تحسم المسألتين الأساسيتين.

الأولى: هي مسألة القطيعة مع المجتمع القائم ونقده من الجذور.

---

(1) ـ الهزيمة والايديولوجيا المهزومة ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ص 306.

الثانية: مسألة التأخر واستلهام مناهج ودروب البلدان الغربية الاكثر تقدماً، أي القطع مع كل نزعة ماضوية وتقليدية في تصور مستقبل تطور البلاد».[1]

إن وجهي القومية والثورة القومية التقدميين هما الديمقراطية والعلمانية.

* * *

«العروبة»

ليست العروبة عرقاً لجماعة معينة من البشر تختص بدم واحد أو سمات فيزيولوجية محددة فلا وجود لدماء نقية بين العرب أو غير العرب من شعوب الأرض، بسبب الفتوحات والحروب أو الجوار والمصاهرة أو الهجرات. العرب أمة كانت تعيش في الجزيرة العربية و لم تبق متقوقعة أو منزوية فيها. وكانت الجزيرة العربية هي القاعدة التي أنطلق الاسلام منها إلى سائر أرجاء المعمورة. فقد كان العرب هم مادة الاسلام وأداته.

ولكن العرب لم يعودوا سكان الجزيرة العربية الذين انطلقوا منها فقط. إذ مع تقدم الفتوحات وانتشار الاسلام خارج الجزيرة العربية انخرطت أقوام أخرى في العروبة. فالمغرب العربي عرقياً، ليس عربياً، إنه بربري ولكنه ثقافياً عربي في الصميم. السودان كذلك ليس عربياً وإنما هو زنجي من صلب أفريقيا، ولكنه عربي في لسانه وثقافته وحضارته. وبعض الشخصيات التي كان لها دور في التاريخ العربي و لم يكونوا أصلاً من العرب مثل صلاح الدين الأيوبي ـ جمال الدين الافغاني ـ أمير الشعراء أحمد

---

(1) ـ نفس المصدر السابق ص 306 ـ 308.

شوقي، فلقد كان صلاح الدين وأحمد شوقي من الاكراد ـ والافغاني من ايران ـ فارسي الأصل ـ ومع ذلك لا يمكن لأحد أن يدور في خلده أن هذه الشخصيات غير عربية».

إننا نعتبر هذه الشخصيات عربية من الناحيتين الثقافية والحضارية والروحية والعلمية. فصلاح الدين عربي كان له دور حاسم في التاريخ العربي بابعاده خطر الصليبيين عن الوطن العربي وتجسيده وحده الأرض والشعب.

والأفغاني خدم العروبة وقدم لها أكثر من محمد عبده. فالعروبة ليست الدين وحده، بل هي اللغة التي ننطق بها، وهي العادات والتقاليد والقيم والمثل الخلقية والجمالية والابداعية وإرادة العيش المشترك التي تزاوجت وتثاقفت بين الفاتحين العرب المسلمين وبين الأقوام التي أسلمت وتفاعلت ثقافتها مع ثقافة العرب في بوتقة إسمها العروبة.

* * *

«الأصالة والمعاصرة»

الأصالة ليست التعلق بأهداب الماضي أو العودة إلى التراث وتحنيطه وتقديسه. قد تكون العودة إلى التراث بعقل نقدي ووعي كوني أحد عناصرها، لكن الاصالة ليست الهروب إلى الماضي والاحتماء به فقط. الاصالة الحقيقية تعني قدرة الأمة على بناء ذاتها حضارياً وثقافياً من الداخل والقدرة على التجدد والابداع الدائمين من أجل المحافظة على الهوية من التبدد والضياع تحت مستجدات العصر وضغوطه ومستلزماته وحماية الشعب من التخلف والانهيارات المتلاحقة من أجل بناء المستقبل العربي.

والاصالة فحص الماضي وما يحتويه من تراث - ديني - ثقافي - ادبي - نصوص ففهية - حركة التاريخ ومساره بموضوعية وعقل علمي نقدي مطابق للواقع وقراءة التاريخ بعيون شاخصة إلى الأمام متمثلة ومستوعبة كل المعاني والدروس والمعطيات الايجابية لهذا التراث في سبيل المحافظة على الهوية الوطنية والقومية من الالحاق والتبعية وصيانتها من التآكل والانقراض.

أما المعاصرة فلا تعني أن تأخذ من تراث الغرب وحضارته ما يلزمنا ونترك الباقي، ولا تعني أن نرتمي في أحضانه مستسلمين تابعين لعاداته، لأن المعاصرة ليست التمغرب (تقليد الغرب) لأن الغرب أشاد صرحه الحضاري على أرضية واقع مغاير لعناصر الواقع العربي. إن تقليد النموذج الغربي لا يعني المعاصرة، وإنما يعني القبول بسلفية جديدة معاصرة لا تمت إلى واقع البلد المقلد بصلة ذاتية وإلى حد كبير بصلة موضوعية.

«التلفيقيون الذين يقولون بالاصالة والمعاصرة بشطارة وفهلوية يكتفون بالقول: إن علينا أن نأخذ من الغرب ما يصلح، وأن تنبني بعد ذلك نموذجنا الحضاري. والتلفيقية تريد أن تجمع بين الماضي وبين العصر على سطح واحد وتجزىء التراث الغربي وتنتقي منه ما يريد، وما تريده التلفيقية من التراث الغربي هو ابعاد كل فكر اقتحامي، أو فتح ثقافي جديد، وانتقاء كل ما يجعل حالة المصالحة مع الواقع القائم المتخلف أمراً مقبولاً».[1]

لذا فالتلفيقية هروب وانهزامية، بسبب أن التراث الغربي سيرورة تراكمية متكاملة، له واقعه ومقوماته، وآلية عمله، فإما أن ندرسها ونتمثلها وتستوعبها، وإما أن تدير ظهرها لنا وتهرب منا».[2]

---

(1) - الهزيمة والايديولوجيا المزومة - ياسين الحافظ - ص 214 - 217.

(2) - المصدر السابق ص 212.

إن المعاصرة تعني من الناحية الثقافية التواصل وعدم الانقطاع عما يدور في العالم من تطورات وتفاعلات، والتواحد في العصر، أي الاستمرارية والانفتاح على آخر منجزات العلوم والمعارف الطبيعية والانسانية والتمثل والاقتباس الخلاق من أجل بناء نموذج حضاري مستقبلي مركب، عناصره منسجمة ومتوازنة من الوطني والقومي والعالمي.

فالاصالة والمعاصرة مقولتان بمنتهى الروعة لو اجتمعنا بالمعنى الجدلي والديناميكي، وهي ليست عملية اصطفاف أو رصف لنماذج انتقائية، بل عملية تلاقح حضاري مركبة، أكثر مما هي عملية توليفية، هي عملية استيعاب لتراثنا وتراث الغرب، يلتقيان في بوتقة تفاعل وإنصهار مادته بمجموعة من العناصر والمقومات لينتج في النهاية نموذجنا الثقافي العصري المتميز.

* * *

«الاستراتيجية»

كلمة واحدة تعطي مفاهيم مختلفة. تنحدر من اليونانية الكلاسيكية وهي تعني الاهداف البعيدة الثابتة نسبياً. وتعني «قيادة جيوش المدينة» و «المفهوم العملياتي» لهذه القيادة.

وقد اكتسبت بالتدريج معنى أكثر دقة تمشياً مع اتساع الحروب والحاجة للدراسات حول الطريقة التي يجب أن تتم بموجبها إدارة الحروب على أحسن وجه.

بالنسبة للدول الغربية ومعظم المثقفين والمفكرين تعتبر الاستراتيجية فناً لأنها تطبق بمجموعة من المعارف النظرية والتقنية لانجاز شيء عملي. إن فن الاستراتيجية لا يفتقر للعقلانية لأن الاستراتيجية تحتاج إلى تحليل نقدي مسبق للاوضاع القائمة والاوضاع المحتملة في المستقبل - والاستراتيجية كفن ترتبط بـ «الفكر المرهف» أكثر من ارتباطها بـ (العقل الهندوسي) كما عرفها باسكال. وحسب المفهوم الغربي فان

الاستراتيجية احتمالية لذلك لا يمكن أن تـأخذ طـابع الاستمرارية حتـى ولـو كـانت غاياتها وأهدافها محددة بوضوح من قبل السياسة[1] .

أما مفهوم الاتحاد السوفييتي سابقا للاستراتيجية فيستند إلى قوانين حددت صفاتهـا بشكل دقيق، وعلى هـذا فإنهـا أقل عرضة للتغيير كمـا هـي الحـال عنـد الاوروبيين الغربيين. ولهذا لا يمكن القول بأن الاستراتيجية السوفيتية تتمتع بطابع الاستمرارية[2].

وبعد الحرب العالمية الثانية شمل هذا الاصطلاح مجالات عديـدة بعيـدة كـل البعد عن ميادينه الأصلية وأصبح من الضروري ارفاق كلمة الاستراتيجية بالصفة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية لكي ينطبق الاصطلاح على المعنى المقصود منه دون غموض أو تحريف. وبرأينا أن الاستراتيجية هي القواعد الثابتة والمستمرة لاهداف بعيدة المدى نسبياً يسعى مجتمع ما لتحقيقها على مراحل محددة وبأساليب علمية.

* * *

«التاكتيك»

قد يتبادر إلى الذهن أن التاكتيك ليس أكثر من فهلوية وسـرعة في التلـون وتغيير المواقف أو نطنطه وانتهازية وتحريف. «بالطبع ليس هذا».

التاكتيك هو مجموعة الاعمال المدروسـة بدقـة علميـة مـن أجـل خدمـة الهـدف الاستراتيجي العام، وهو مجمل النشاطات الفرعية التي تجسد خط العمل العام، كما أنه نشاط بشري ديناميكي ـ مرن يتصف بالعقلانية والموضوعية على أسُس واقعية وثوريـة،

(1) ـ انظر كتاب «استراتيجيتان» اصدار دار طلاس ـ دمشق ص 8-22 .

(2) ـ المصدر السابق ص 8-22.

فالتاكتيك عمل واعي انقلابي يخضع لمستلزمات وقوانين الاستراتيجية في كل مرحلة أو في فترة المفاوضات والهدوء والسلم على حد سواء.

* * *

«العقلانية»

يعتبر القرن (18م) عصر العقل. والعقلانية تعني العقلانية الحديثة ممثلة بـ (عصر الانوار) التي جاءت نقيضاً للتقليدوية، استناداً إلى بعض الاكتشافات التي حققها علم الطبيعة، وبخاصة اكتشافات نيوتن. انطلقت هذه الحركة الفكرية لترسي قيم ومناهج العالم الحديث. إن العقلانية الجديدة، وهي الليبرالية على الصعيد المعرفي، تؤمن بالاكتشاف التدريجي للحقيقة سواء في الطبيعة أم في المجتمع، بواسطة العقل وحده، تحت رقابة التجربة. لذلك يمكن القول إن العقلانية مفهوم تاريخي، أي مفهوم متطور. والفعل العقلاني له مرجعية واحدة هي الانسان المجرب فقط.

لذا فهي ترفض الميتافيزياء، المسبقات، المطلقات ـ المعتقد الايماني ـ الوحي التي كانت تستند إليه مناهج المعرفة الوسطوية.

بدون هذه العقلانية ما كان للعلوم أن تتقدم هذا التقدم المذهل، وبالتالي لا يمكن لمجتمع أن يتقدم ولا يمكن للعلم أن يتقدم حين ترفض هذه العقلانية . مع هذه الحركة الفكرية انخرط المجتمع والدولة البورجوازيان في طريق العقلنة.

المجتمع الاشتراكي والدولة الاشتراكية يدفعان إلى الأمام هذه العقلنة ويخلصانها من تناقضاتها وثغراتها.(1)

---

(1) التجربة الفيتنامية ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة ـ بيروت 1979 ـ ص 23.

إن العقلانية صفة خلق متجانسة، أي ما هو عقلاني في ميـدان معين، عقلاني على الارجح في الميادين الاخرى.

وينبغي تمييز العقلانية المفهومة على هذه الصورة عن المذهب العقلي، الـذي يعتبر عقيدة أو مبدأ يريد أن يفهم عالم الاحساس والتجربة بـالفكر أو العقـل، على نقيض الانفعال أو الحدس، أو طريقة التصور فوق الحسي.

على هذا النحو نضجت العقلانية نهجاً في صنع الاشياء، وتطبيق مبادىء المذهب العقلاني على العمل. مع ذلك يمكن تماماً أن يتصرف الانسان عقلانياً، اي أن يكيـف الوسائل مع الغايات، دون أن يلـتزم صراحـة أو عمـداً بعقـائد المذهـب العقلـي. بتعبير آخر، يمكن أن يعمل الانسان عملاً عقلانياً دون أن يكون فيلسوفاً.(1)

* * *

«العلمانية»

لغوياً، مشتقة من العلم «أي العالم»، وهي بخلاف الديني والكهنوتي في الغـرب، فكانت العلمنة إحدى الظاهرات الفرعية لعقلنة المجتمع، المنخرط في نضال للتحـرر مـن سلطان التقليد وتحقيق استقلال الدولة والمؤسسة عن الكنيسة التي منحـت نفسـها حـق توجيه سائر أشكال الحياة الفردية والاجتماعيـة. العلمانيـة تحـترم مختلـف الاراء الدينيـة، ولكنها لا تحابي أي واحد منهـا، لـذا بقـدر مـا تعقلـن الايديولوجيـا الدينيـة بقـدر مـا يتضاءل تناقضها أو اصطلاحها مـع مبـدأ العلمنـة. انبثقـت العقلنـة العلمانيـة مـن ثقافـة

---

(1) ـ انظر أوروبة التقنية ـ دافيدرس لاند ـ مطبوعات وزارة الثقافة السورية ـ ص43.

ديمقراطية وصراع في سبيل التقدم وكرامة الانسان، وجاءت بمثابة تأكيد على قدرته على تنظيم شؤونه بلا قبليات تنظيماً عقلانياً. لذا فالمبدأ الاساسي في العلمنة يؤكد أن الدين أمر شخصي، وينبغي، بالتالي فصله عن الدولة والمدرسة والاحوال الشخصيه. في البلدان متعددة الديانات أو المذاهب، العلمنة بالدور الذي تلعبه في عملية تجديد الايديولوجيا القومية، وبالتالي، اسهاماً في تصفية تناثر الأمة، إلى طوائف وفي استئصال أسباب الفرقة والتمييز بينها وتفنيد الايديولوجيات الطائفية، تشكل مفتاح حل مسألة تقدم الأمة التي تعاني تأخراً تارخياً.

العلمانية رائز حداثة أي حركة أو ايديولوجيا قومية ومحك محتواها الديمقراطي.(1)

* * *

«العقل العلمي»

العقل العلمي عقل منفتح ونشيط، لا يقبل الاحكام المطلقة ولا النظريات الجاهزة المسبقة، يميل إلى التجربة والتحليل والخيال الواقعي والنقد والوعي النقدي. وهو كثير الشك والتساؤلات وبعيد عن الانغلاق واليقينية وآفاقه تاريخية وكونية.

العقل العلمي يفسر عالم الكليات تفسيراً عقلانياً ويبحث في عالم الجزئيات وقضايا الواقع اليومي المتعلقة بالسياسة والمجتمع والاقتصاد والوطن والوطنية...الخ لأنها تتعلق بمفاهيم القانون العلمي، لأن هذا القانون يحتمل، الملاحظة والتجربة والتجريب، ويدرس الظواهر ويحللها ويقبل بفكرة التطور والتاريخ والتغيير، ويثق بالعقل المنهجي

(1) انظر التجربة التاريخية الفيتنامية ـ ياسين الحافظ ـ ص 23 ـ 24.

ويركن إلى دروس المعرفة الانسانية ويقبل الاحتكام إلى قواعدها.

العقل العلمي على عكس العقل الغيبي، فالأخير يركن الى فلسفة الايمان واليقين ولا يتعامل إلا مع الكليات والمطلقات ـ الكون ـ الروح ـ السماوات ـ واللامتناهي ـ ويرفض التعامل مع الخاص والجزئي لأنها من وجهة نظره قضايا تافهة، واحكامه تستند إلى خلفية مؤلفة من الحدس والغريزة والوجدانيات، وهذه قضايا أمور ليس لها ميزان علمي ملموس. إنه عقل يجافي بلايا الأرض والدنيا والحياة ويتعلق بتلابيب السماء.

«وبكلمة العقل العلمي هو الذي يستطيع أن يقترب أكثر فأكثر من الواقع وان يصبح العقل أكثر مطابقة للعالم الذي يحيط بنا ونحن جزء منه، بغية فهمه أولاً، ثم الانتقال إلى التنبؤ أو التوقع ومن بعد إلى الفعل»[1] .

* * *

«الايديولوجيا»

كان دستوت دي تراس «1754 ـ 1836» أول من استعمل كلمة ايديولوجيا وعرفها بأنها «العلم الذي يرمي لدراسة الأفكار على أنها وقائع الوعي وتكتشف قوانينها وخصائصها وعلاقاتها بالاشارات التي تعبر عنها وتتبع أصلها. وأخذ يتطور معناها فوصف انجلز في كتاب الايديولوجيا الالمانية «بأنها مجموعة من الافكار تحيا حياة مستقلة، وتخضع لقوانينها الذاتية. ويجهل الايديولوجيون أن أحوال الوجود المادية هي التي تقرر العملية الايديولوجية في الدماغ الانساني ولو أدركو هذه الحقيقة، لكان

(1) ـ انظر التجربة التاريخية الفيتنامية ـ ياسين الحافظ ـ ص24-28 .

هذا الادراك نهاية لكل ايديولوجية».

الايدلوجية هي مجموعة من المعتقدات والأفكار والتصورات والقيم المشتركة لجماعة من الناس، سواء من طائفة أو طبقة أو حزب أو أمة. وهي جملة تصورات جماعية تؤكد بها جماعة أو طائفة تفردها عن الجماعات أو الطوائف الأخرى.

فايديولوجيا حزب تعني مثلاً: سجل الأطر الفكرية والثقافية والسياسية والمنهجية التي تميز هذا الحزب.

كما أن الايديولوجيا مغترفة من مستودع التصورات الجماعية الكبير الذي هو ثقافة المجتمع الكلي، أو هي مستعارة من الثقافات الاخرى، أي التناقض مع بعض الشعوب الأجنبية.

الايديولوجيا محددة بزمان ومكان معينين لا تتعداهما. وهي إما رجعية أو اصلاحية أو ثورية. وهي إما أن تكون أداة لتوضيح الحقائق ونشر الوعي الحقيقي والواقعي، وإما أن تنشر وعياً زائفاً للحقائق فتتحول إلى أداة طمس للواقع العياني.

كما أن الدين ايديولوجيا ـ والليبرالية ايديولوجيا ـ والعرقية ايديولوجيا والعنصرية ايديولوجيا ـ والماركسية في أحد وجوهها ايديولوجيا.

* * *

«الصراع الايديولوجي»

هو شكل من اشكال الصراع بين خط تقدمي وخط سياسي محافظ رجعي. وهو شكل للصراع الطبقي بين الطبقة العاملة وبين الطبقة البرجوازية. بين الاشتراكية وبين الرأسمالية في المجتمعات التي أصبحت ناضجة طبقياً ضمن تنظيمات محددة. أما

الصراع الايديولوجي في البلدان المتخلفة فيتجلى بين طبقات معنوية، أي بين شرائح اجتماعية لم تتبلور سيماؤها الطبقية بعد. وهذا الصراع من الناحية الواقعية صراع بين الاغنياء والفقراء، ما لم يستقر في توازن اجتماعي يحدد المصالح الاقتصادية ويجسد الطبقات كمقولة واقعية وليست مقولة إسمية فقط. إن أهداف الايديولوجية البرجوازية يمكن ايجازها بخلود ملكية وسائل الانتاج وأدواته، والملكية الخاصة، وصرف الجماهير عن القضايا الاجتماعية الحادة، ونشر النزعة الفردية والعرقية والشوفينية، وتشويه الايديولوجيا العمالية «الماركسية ـ اللينية». وتشويه نضال الشعوب في سبيل استقلالها واتهام كافة الشعوب التي تعمل من أجل استقلالها بالارهاب. أما أهداف الأيديولوجيا الاشتراكية فهي بناء الانسان الجديد المتحرر من التعصب العرقي والقومي وتحقيق المجتمع الاشتراكي الخالي من الجوع والمرض والفقر والأمية، والحد من سباق التسلح، وتحقيق السلام والتعايش بين كل الانظمة المختلفة في العالم.

* * *

«النقد والنقد الذاتي»

هو أسلوب للعمل الثوري من أجل التقدم، وطاقة دفع لحركة تطوير المجتمع الاشتراكي وكذلك هي أساس يعزز السلوكية المثلى للاخلاق وتربية الناس النفسية والذاتية.

«إن الأساس الموضوعي للنقد والنقد الذاتي هو التناقضات الديالكتيكية الناشئة في سياق التطور التاريخي، والفوارق بين مصالح الطبقات والفئات الاجتماعية والنضال اللازم للتطور في جميع ميادين الحياة الاجتماعية بين الجديد والقديم، بين التقدمي

والمحافظ، في ظل الرأسمالية التي تلازمها التناحرات الطبقية والاجتماعية الحادة.

اعتبر ماركس «سلاح النقد» وسيلة من وسائل نضال البروليتاريا الطبقي. كذلك أشار لينين إلى الأهمية الحيوية التي يرتديها النقد والنقد الذاتي لأجل القيام بالثورة الاشتراكية.

إن مضمون النقد وطابعه وأشكاله وطرائقه في المجتمع تعزى إلى العلاقات الاجتماعيةى ومبادىء الحياة الحزبية الداخلية واهداف التطور الاجتماعي ومهامه، بما أن النقد هو عمل سياسي مسؤول، يمس بهذا القدر أو ذاك المصالح الاجتماعية الواسعة، فإن الموقف منه رهن بالمواقع التي يجري منها، وبالغرض الذي يناضل من أجله وما يسفر عنه، إن النقد الحقيقي هو الذي يسهم في تطوير المجتمع في طريق التقدم، ويساعد على حل المهام التي تواجهه. إن تصفية الخلافات والتناقضات داخل الهيئات والمنظمات يجب أن يتم بواسطة النقد الرفاقي والأخوي الصبور، بواسطة الاقناع وان النقد يقبل ويأخذ بالحسبان بنحو أفضل حين يتسم بطابع ودي.(1) إن الملاحظات النقدية التي تعتمد على وقائع متحقق منها وعلى مقترحات معللة ولبقة من حيث الشكل تتجاوب مع المصالح الاجتماعية. إن تطور النقد والنقد الذاتي رهن بمجمل الظروف الموضوعية والذاتية ـ التوازن الاجتماعي وتبلور المصالح الطبقية ـ حالة البلاد على الصعيد الخارجي ـ وضع البلاد السياسي والاقتصادي ـ طبيعة المرحلة التي تمر بها البلاد ـ مستوى تطور الديمقراطية ـ درجة الوعي السياسي عند القوى الوطنية والديمقراطية وسائر فئات المجتمع إن الموقف من النقد والقدرة على قبوله وتفهمه بنحو صحيح، والتجاوب معه بروح علمية، كل هذا يشكل محكاً لنضوج وعي المناضل الثوري وجميع العاملين في الميدان السياسي. إن الحزب التقدمي

---

(1) بعض قضايا الثورة العربية الراهنة ـ ياسين الحافظ ـ ص 45.

الثوري وجميع العاملين في الميدان السياسي. يشجب قطعاً أولئك الذين يظهرون الصلف والفطرسة وعدم التواضع ويأبون النقد لأنه لا يمكن أن يكون قائداً حزبياً ذلك الذي يفقد القدرة على تقييم نشاطه بعين نقاده وينفصل عن الجماهير»[1]

إن أهمية النقد والنقد الذاتي تصبح جليلة الأهمية في ظل ظروف تعقد المهام الوطنية في التحرر والبناء والتنمية والتقدم. لذا فا النقد يصبح ليس حقاً فقط، بل واجباً وطنياً.[2] في البلاد المتخلفة يتسم معظم النقد والنقد الذذاتي بالتهجم والشتيمة والتجريح وتهميش الافراد والجماعات، والبعد عن الموضوعية مما يجعل النقد عملية بعيدة عن بناء موقف سليم. المطلوب من مثقف ما في بلد متخلف أن يتدرب على تنمية « عقلية نقدية» تتسم بتوازن موضوعي وذاتي ويتسلح بوعي علمي خلاق وثقافة ثورية مستوعبة الافاق التاريخية القومية والعالمية.

* * *

«الثقافة»

«الثقافة في قواميس اللغة العربية تعني صقل الشيء وتقويمه من الاعوجاج والانحراف. وفي كتب الأدب القديم تعني كلمة «أدب» الثقافة. ولكن معنى الثقافة تطور واتسع فلم تعد الثقافة مجرد نتاج فكري وفني وأدبي أو مجرد مقولات وصيغ تدون في الكتب بمعزل عن الحياة والممارسة والتجربة العملية. فالثقافة هي نشاط الانسان وفاعليته ووعيه للذات والموضوع وعلاقته بالواقع الذي يعيش فيه ومدى قدرته

---

(1) ـ انظر معجم الشيوعية العلمية ـ دار التقدم ـ ص 436 ـ 438.

(2) ـ بعض قضايا الثورة العربية ـ مصدر سابق ـ ص 47.

على التأثير واخضاعه لمصلحة الانسان وخدمة تطلعاته وطموحاته. فالثقافة ليست تكرار المقولات والكلمات الموسيقية ولا النقل الآلي للأفكار ولا تقليد الآخرين، ولكنها خلق وابداع وتطوير. إنها علاقة دينامية متبادلة وعاقلة، وموقف مع الحياة ومن الحياة، موقف من الآخر والعالم والاحداث وتطوراتها. ويعرف «ليف كوغات» الثقافة بانها أحد المقومات التنظيمية للحياة الاجتماعية وبأنها حصيلة النشاط الانساني ابتداء بعملية الانتاج الآلي وانتهاء بتجليات الفكر الانساني الرفيعة الذي يتميز بحرية الخلق والابداع».

الثقافة تختلف باختلاف الطبقات والشرائح والافراد التي تنتجها. وإذن هناك ثقافة رجعية تسعى من أجل المحافظة على ما هو قائم تمشياً مع مصالحها الاقتصادية والايديولوجية. وهناك ثقافة اصلاحية تسعى إلى ترقيع الواقع لان التغيير الجذري يغير مواقعها وامتيازاتها. وهناك ثقافة ثورية تستهدف هدم الواقع الفاسد واستبداله بواقع متقدم جديد، ويسعى لخلق انسان جديد في نظرته للطبيعة والحياة. والثقافة جزء من حركة المجتمع ولا ثقافة بدون مجتمع، وان أحد أهداف الثقافة هو توعية الناس وتثويرهم وتنشيط الحراك الاجتماعي من أجل خدمة سياسة الوعي المطلوب وانتشارها على المستويين الافقي والعمودي. وكما قال إ ـ ت ـ س إليوت ذات مرة «إن بالامكان وصف الثقافة ببساطة ذلك الشيء الذي يجعل الحياة جديرة بأن تعاش.»

* * *

«النظرية»

النظرية بناء تصوري ينيه الفكر ليربط بين مباىء ونتائج معينة، وقد يكون هذا البناء التصوري صائباً أو خاطئاً، بحيث لا تصبح النظرية علمية إلا إذا أصبحت ثابتة بالتجربة.

وكل نظرية تأثرت بالواقع وأثرت فيه. وقد أثبت لينين 1870 ـ 1924 ـ لهذه العلاقة الضرورية بين النظرية والواقع وأكد أنه لا تكون ثورة بدون نظرية ثورية.

يعرف كلود برنار «1813 ـ 1878» النظرية «إن النظرية هي الافتراض الاختباري الذي خضع لرقابة العقل وللنقد التجريبي ولا تظل النظرية صحيحة إلا إذا تعدلت على ضوء التقدم العلمي ونقدت نقداً اختبارياً على هدى ما يظهر من وقائع جديدة. وأما إذا اعتبرت النظرية كاملة ووضعت فوق الاختبار العلمي فانها تصبح حينئذ مذهباً.*

النظرية لا تكون صحيحة إلا إذا ثبت مطابقتها للواقع وما نعنيه بالنظرية في مجال التصدي لمعالجة الواقع، هو مجموعة الافتراضات والحلول الفكرية للمشكلات والمعوقات التي يطرحها هذا الواقع الذي يعيشه البشر. فالنظرية في السياسة مثلاً هي حصيلة لتراكم التجارب المحلية والاقليمية والقومية والعالمية على ضوء الادراك والوعي والمعرفة التفصيلية الدقيقة بكل الظروف المحيطة على الصعيدين العام والخاص

---

* ـ انظر المعجم السياسي ـ حسن صعب ـ ص 98 وما بعدها.

بواسطة التحليل العلمي الذي يكشف ميول حركة التاريخ واتجاهاتها، وصياغة بعض الاسس المبدئية التي تتناسب مع طبيعة الظروف التي تمر بها البلدان المعنية بتقديمها. ولا شك أن النظرية السليمة هي التي تستند إلى تجارب وخبرات كل الامم والشعوب، وان العمل الذي لا يستند إلى خط نظري مفهوماً ومعروفاً سوف يضيع الاتجاه الصحيح. فالنظرية هي البوصلة والدليل الذي بواسطته تحدد المسافات الاستراتيجية والتاكتيكية للعمل على هدي الأسلوب العلمي. إن العمل السياسي بلا نظرية يعتبر ثقافة بجردة وعقيمة، وان الالتزام بنظرية استراتيجية دون خط نظري لا يعدو أن يكون التزاماً مظهرياً دون محتوى جوهري لا يمكن الركون إلى سلامته والتخلي عنه في أية لحظة. إن التفكير العلمي والاسلوب العلمي في مجال العمل السياسي يقوم على ثلاثة عناصر متداخلة هي «النظرية ــ الاستراتيجية ــ التاكتيك». فالنظرية هي الاطار العام ــ بينما الاستراتيجية هي الخطة العامة للعمل بعيد المدى، والتاكتيك هو همزة الوصل المتحركة التي تسعى إلى تطبيق الاستراتيجية على مراحل وتحويلها إلى مهمات عمل متواصلة. والنظرية السياسية العلمية سلاح جبار إذا وضعت هدفاً للعمل تصبح قوة لا تقهر.

* * *

«العلاقة بين النظرية والواقع»

النظرية عبارة عن تصور يبنيه الفكر ليربط بين أسباب ونتائج معينة. وقد يكون هذا البناء النظري مصيباً أو خاطئاً وان الامتحان الحقيقي لصواب النظرية هو المحك الواقعي المادي. إن عدم التطابق بين النظرية وبين الواقع الاجتماعي يعود إلى بعض

المسائل وأهمها.

1ـ عدم استخدام منهج تحليلي دقيق في الكشف عن الظواهر.

2ـ تحيز الباحث وعدم موضوعيته في التحليل.

3ـ عدم الادراك العميق لأبعاد الظاهرة موضوع البحث.

فبقدر ما تكون لدينا القدرة على التجريد والتحليل وعدم التحيز بقدر ما تضيق الهوة بين النظرية وبين الواقع، وندرك الابعاد الاساسية للظاهرة المدروسة بما ينسجم مع حقيقة وجودها. ونعني بالتجريد الانقطاع عما هو جزئي إلى ما هو عام وشامل. ففي الانسان مثلاً، ترتفع من عدد كبير من الجزئيات لنصل إلى صورة عامة وشاملة للانسانية كلها، لكنها تفتقر إلى الصفات والأبعاد الجزئية.

ففي التجريد نرى أبعاداً جديدة وصورة مخالفة للرؤية الجزئية، فالجزئيات تعطي تفصيلاً دقيقاً مما قد يطمس الابعاد الرئيسية لكنها بحاجة إلى التجريد من أجل الحصول على مرتكزات رئيسية تصور الابعاد الحقيقية للنظرية الاجتماعية. فإذا كانت المعطيات غير دقيقة كان إدراكنا للواقع مشوهاً.

إن عدم الادراك الحقيقي للواقع يعود إلى عوامل عديدة منها:

ـ التحيز للمصلحة الطبقة ـ القدرة التحليلية. وهذه العوامل قد تشوه صورة الواقع بما لا يتفق مع عناصره الأساسية. فاذا لم يكن هناك نظرية تفصح عن أبعاد الواقع وتمكن الباحث من رؤية هذا الواقع بمنظار سليم، كان هناك انفصال بين النظرية والواقع. إن التفاعل الدائم ما بين النظرية والواقع يمكننا من أمتحان صدق إدراكنا ووعينا المبنية على التجريد النظري في محك الواقع المادي.

فالعلاقة بين النظرية والواقع علاقة جدلية تؤدي إلى تقدم العلم. فالعلم يتقدم

بامتحان النظرية والاستفادة من معطيات الواقع في طرح أبعاد نظرية جديدة.(1)

* * *

«الحزب»

بسبب التطورات المعاصرة أصبحت الأحزاب ظاهرة عالمية. فلا حديث عن الحريات السياسية والديمقراطية والطبقات دون الحديث عن الأحزاب.

فتعريف الحزب من حيث الرؤية القيمية كما يجب أن يكون عليه. فالحزب الثوري كما يقول لينين «هو طليعة الطبقة العاملة ويستوعب خير عناصرها، وأنه «الكتيبة المنظمة» في تلك الطبقة، وهو بتلك الخصائص أداة لديكتاتورية البروليتاريا، سواء لتحقيق هذه الديكتاتورية أو لتكريسها بعد تحقيقها.

والحزب يعبر عن وحدة الارادة العامة بين أعضائه، ويقوى دوماً بتطهير صفوفه من العناصر الانتهازية، واخيراً فانه بتلك السمات يضرب المثل الأعلى لكافة المنظمات العامة الاخرى».

الحزب هو اتحاد طوعي بين مجموعة من الأفراد على أسس فكرية، عريضة وتفصيلية، وهو الجزء الأرقى والاكثر تأثيراً وتنظيماً من طبقة أو شريحة ما. وغالباً ما يرتبط نشوء الأحزاب بالتبلور الطبقي وانقسام المجتمع إلى طبقات، ويعتبر الحزب من. أهم الأدوات التي توظفها الطبقة أو الفئة السياسية للنضال في سبيل مصالحها الطبقية على المستويين المحلي والقومي.

---

(1) - الندوة الدولية حول السكان والتنمية.د.صفوح الاخرس - مطبوعات وزارة الثقافة السورية 1985 - ص 38 - 40.

إن الحزب هو الجزء الفوقي من المجتمع، ويعمل عادة بأساليب الحوار والاقناع والدعاية لأفكاره وتنظيم وتوحيد المؤيدين لها. والحزب السياسي قوة مادية ملموسة تتجسد بالجسم التنظيمي والمالي ووسائل التعبير مثل الصحف، ومن أهم أهداف الحزب السياسي الانقلابي، الثوري تغيير البنى الاجتماعية القديمة على كل الصعد واستبدالها ببنى حديثة على المستويين الأفقي والعمودي وتحقيق النفوذ القيادي في الحياة السياسية، وتنظيم المجتمع والوصول إلى السلطة وممارستها لوضع أهدافه وبرنامجه موضع التطبيق العملي.

في الحياة السياسية هناك أحزاب رجعية وأحزاب اصلاحية واحزاب ثورية. وهذه الأحزاب وتسمياتها تعكس الايديولوجية والافكار والمصالح التي ولدت من أجلها هذه الاحزاب. وينبغي الحكم على حقيقة أي حزب ليس من خلال ــ اسمه وشعاراته، وحتى ليس من خلال ما يعلن من برامج، بل من خلال ممارساته وتصرفاته وتجسيداته العملية الواقعية. ولكي تكون صورة الحزب مكتملة ينبغي أن يقوم على أرضية تتكون من نظرية ثورية، وتنظيم ثوري، وخط سياسي واضح، وبرنامج عمل يستوعب كل مرحلة، ويمكن أن نضيف سبباً مهماً جداً، هو وجود القيادة التاريخية التي يمكن أن تقوم بتحولات تاريخية حاسمة على الصعيد الوطني والعالمي كقيادة لينين للحزب الشيوعي الروسي، وقيادة ماوتسي تونغ للحزب الشيوعي الصيني، وقيادة هوتشي مينه للحزب الشيوعي الفيتنامي.

* * *

«المنهج»

المنهج ترجمة الكلمة methodology ومثيلاتها في اللغات الاوربية الاخرى . وأساس الكلمة يوناني ونرى افلاطون يستخدم كلمة منهج بمعنى البحث أو المعرفة ، ونجده عند أرسطو بعمنى البحث . وكلمة منهج يقصدبها السنن العامة لأي بناء نظري. كما يقصد به مجموعة الأسس المعرفية التي توجه مسار البحث الاجتماعي. وكلمة منهج لم تكتسب معناها المتعارف عليه اليوم أي بمعنى مجموعة الاسس والقواعد العامة الموضوعة من أجل الوصول إلى الحقيقةفي العلم إلامع انطلاقةعصر النهضة الاوروبية في النصف الثاني من القرن السادس عشر على يد راموس الذي قسم المنطق إلى أربعة أقسام «التصور - الحكم - البرهان - المنهج»(1)

وقد تمت الخطوة الحاسمة في سبيل تكوين المنهج عندما كتب بيكون الارجانون الجديد 1620 فصاغ قواعد المنهج التجريبي بكل وضوح. وحاول ديكارت الكشف عن المنهج المؤدي إلى حسن السير بالفعل والبحث عن الحقيقة في العلوم في كتابه «مقال في التاريخ» وأتى أصحاب منطق بورويال فعنوا بتحديد المنهج بكل وضوح وجعلوه القسم الرابع من منطقهم هذا. وقد حدد أصحاب هذا المنطق المنهج بأنه فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الافكار العديدة، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون جاهلين بها أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون

---

(1) ـ مناهج البحث العلمي ـ عبد الرحمن بدوي ـ دار النهضة ـ القاهرة ـ 1963 ـ ص9

جاهلين بها أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون عارفين بها.[1] المنهج منطق عمل وطريق تفكير وهو مقولة تبحث في العناصر الموضوعية ومكوناتها التي تستند إليها طة عمل سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.

المنهج أسلوب عمل ضمن قواعد عامة وقد يكون مضمونه عقلاني أو لا عقلاني، وهو طريقة تحليل واستنباط أيضاً.

* * *

«منهج التجديد»

كلمة التجديد تعني خلق ظروف وشروط البقاء والاستمرار والتواصل، والتجديد المبدئي هو تجديد الفكر والثقافة وملائمة هذا الفكر وهذه الثقافة لحركة صعود الفرد والمجتمع وتطورهما. ومن هذا المبدأ يكون التجديد مسألة حياتية ملحة لأنه يمثل علاقة جدلية وديالكتيكية بين الفكر الانساني وبين الواقع الموضوعي، فإن انقطعت خيوط الارتباط والتواصل بينهما تراجع الفكر وتقهقر دوره في مجال الخلق والابداع.

إن التجديد هو الجسر الذي يحمل الفكرة ويعطيها بعدها الزمني عن طريق ربط تلك الفكرة بالرؤية العلمية الواقعية التي تمنحها القدرة على البقاء والاستمرار ومواجهة التطورات المستجدة التي يبرزها الواقع، فلا استمرار ومواجهة التطورات المستجدة التي يبرزها الواقع، فلا استمرار ولا تواصل بلا حركة تجديد، فالعقل البشري من واجبه أن يمارس مسؤولياته ويستوعب ويفهم مختلف الظواهر الانسانية ويفسرها ويحللها بما يراه

(1) ـ اشكالية المنهج في الفكر الوحدوي ـ جورج المصري ـ مجلة الوحدة العدد 41 شباط 1988.

ويظنه أنه الطريق الصواب إلى التقدم»[1] .

إن التجديد لا يعني الترقيع أو لصق قطع جديدة من القماش على ثوب خلق أو انتقـ ماله بريق مؤقت من أفكار مستحدثة وقطعها عن سياقها التاريخي ورصفها إلى جانب ما يعتقد أنه تقليدي أصيل، فالفكر ينمو ويتعمق ويتوسع بالاستيعاب والتمثل والتفاعل مع الافكار الانسانية الاخرى، ومنهج التجديد هو في الأساس منهج مركب من «الأنا والآخر» أي من الذاتي والموضوعي، وهو منهج ابداع وابتكار لأنه يقدم اضافات جديدة متميزة على ما سبق، لذا فان منهج التجديد منهج عصري وعلمي يتصاقبُ مع آخر لحظات حركة التطور التي لا تعرف الدوران على محور التقليد الكلاسيكي أو التقليد الجديد. فالفكر لا ينمو إذا بقي حبيساً في قوقعة التقليد والماضوية وبقاء الفكر أسير منهج النقل والنسخ والمحاكاة المكرورة تعتبر ظاهرة واضحة على تخلف الأمة وعجزها وقصورها عن المساهمة الفعالة والعطاء الخلاق الذي يثري التجربة الانسانية ويرفدها بما هو حي. إن التجديد له طابع مزدوج يشمل الشكل والمضمون في عملية انسجام خلاق، فتجديد الشكل دون المضمون يعني النقل والابتذال والسطحية، وتجديد المضمون دون الشكل يعني أن هذا التجديد غير متوازن واحادي البعد، لذا يكون التجديد في كلا الحالين هشاً لا يستند على خلفية ثقافية أصيلة تدفع عملية التقدم بكل الاتجاهات».

إن منهج التجديد يجب أن يستند على أرضية ثقافية ثورية أي نظرية علمية أثبتت التجربة التاريخية للشعوب نجاعتها قادرة على تحديث البنى الاساسية، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، لأن منهج التجديد هو منطق وآلية علمية مبنية على حسابات دقيقة عقلانية لكل مرحلة من مراحل التحديث والعصرنة. وبما أن الماركسية

---

(1) ـ مجلة المعرفة الصادرة في تموز 1993.

اللينينية ـ المترجمة عربياً هي أعلى درجات العقلانية في حساباتها وتحليلاتها الواقعية والمطابقة، لذا نعتبر هي النظرية العتيدة لثورة التجديد وقهر التخلف لكل البنى الفوقية والتحتية، الافقية والعمودية، والدليل الأمين لبناء مجتمع موحد ديمقراطي اشتراكي.

* * *

«الديالكتيك»

مشتقة من لفظة يونانية نعني المحاورة، كما اعتبر الديالكتيك فن الاقناع والبرهان. ظهرت معالم الديالكتيك في الفلسفة اليونانية القديمة عند هيراقليطس، كما بدت عناصره في فلسفة ديكارت وسبينوزا وليبتنز وكانت، إلا أن الديالكتيك كمنطق ومنهج فلسفي لدراسة الظواهر عامة بدأ بجورج هيغل (1770 ـ 1838). والواقع أن الديالكتيك الهيغلي هو المنطق الذي كان يقتضي أن يحل محل المنطق الصوري والفلسفة الميتافيزيقية، القائم على نفي التناقض في الفكر والوجود والقائل بفقدان العلامة بين الأشياء، ذلك أن هناك الموضوع، ثم هناك نقيضه أو نفيه، وهناك نقيض النقيض أو نفي النفي. والامر الواقع يثبت التناقضات في كل شيء، ذلك أن كل شيء يحتوي في داخله على جانب ايجابي وآخر سلبي. فالتناقضات تفرض وجود منطق جديد غير المنطق الصوري هو منطق الديالكتيك، الذي يعتبر كل شيء في حالة تغير وحركة وسيرورة. وهكذا يبدأ الديالكتيك عند هيغل بالوجود ثم الماهية ثم بالمركب منهما ويطلق عليه هيغل «الفكرة الكلية». ويعتبر هيغل مؤسس الجدل الحديث وهو فيلسوف مثالي ألماني عاش في القرن (19م).

الفرق بين جدل ماركس وجدل هيغل: يقول ماركس: إنه أخذ من جدل هيغل

النواة العقلية وطرح الغلاف الصوفي. ويقول إن الجدل عند هيغل يسير على رأسه. بينما الجدل الجديد يسير على قدميه. ولكن ما هي الفوارق بين الجدلين؟ مسألة تثير نقاش الماركسيين. في الجدل الماركسي، التاريخ ليس جاهزاً بصورة مسبقة وليس معطى سلفاً. فالواقع - موضوع النظرية - واقع معقد والتاريخ هو تاريخ الممارسة الانسانية. في المقدمة الثانية لكتاب رأس المال المنشور عام 1873 كتب ماركس «لا يختلف منهجي الديالكتيكي في الأساس عن منهج هيغل فحسب، بل هو نقيضه تماماً، ذلك أن هيغل يعتقد أن حركة الفكر يجسدها باسم الفكرة هي مبدعة الواقع الذي ليس إلا الصورة الظاهرية للفكرة. أما أنا فاعتقد على العكس أن حركة الفكرة ليست سوى إنعكاس حركة الواقع وقد انتقلت إلى ذهن الانسان.

* * *

«المادية التاريخية»

هي صراع الانسان ضد الطبيعة لتذليل تحدياتها التي تواجه الانسان من أجل تثبيت وجوده واستمراره كجنس أرقى من الكائنات الأخرى. في كتابه «فلسفة التاريخ» عرف بليخانوف المادية التاريخية «أن الوضع الاقتصادي لشعب ما، هو الذي يحدد وضعه الاجتماعي، والوضع الاجتماعي لهذا الشعب يحدد بدوره الوضع السياسي والديني وهكذا.

أما سبب الوضع الاقتصادي فهو السبب الاساسي لمجموع التطور الاجتماعي وبالتالي لكل حركة تاريخية هو الصراع الذي يخوضه الانسان مع الطبيعة في سبيل وجوده. ويوضح بولتيزر - بيس - كافين في «أصول الفلسفة الماركسية» هذا المفهوم

بتعريف المادية التاريخية بأنها النظرية العامة لطرق الانتاج وان الاقتصاد السياسي هو العلم الخاص بالقوانين الموضوعية التي تسيطر على علاقات الانتاج بين الناس وان موضوع علم التاريخ هو العلاقات التي تتمثل فيها هذه العلاقات للانتاج ولا سيما علاقاتها السياسية.

* * *

«الحداثة»

الحداثة ثمرة أوروبية نمت وترعرعت في ظل الثورة البرجوازية في الغرب، حيث حملت وفجرت البرجوازية الثائرة قيماً انسانية تقدمية وتحررية. فأحد سمات الرأسمالية الحديثه هو طابعها الثوري في راي ماركس، وهو عقلانيتها في رأي فيبر. فالحداثة تقوم على دعامتين، هما الثورة والعقل. فالثورة البرجوازية حسب رأي ماركس هي التي ولدت اكثر خصائص الحداثة ديناميكية وحيوية «الحركية - التغيير» فجعلت كل صلب يلين بل يتبخر.

عند فيبرلا تكمن طاقة التغيير ف يالعلم الثوري، بل في العقلانية، أي العقل العلمي الذي يكون أقرب إلى الواقع، والذي يدرك العلاقة بين الاسباب والنتائج وبين الوسائل والغايات. هناك ثلاث خصائص تميز الحداثة استناداً إلى اطار التجربة الاوروبية منذ القرن الخامس عشر إلى القرن العشرين، حيث يمكن صياغتها على النحو.(1)

1 - الحداثة بنية كلية يقابلها مفهوم الحداثة.

---

(1) - اللاعقلانية في السياسة - ياسين الحافظ - دار الطليعة بيروت 1975 - ص 45.

2 ـ الحداثة بوصفها سياقا شاملاً ويقابلها مفهوم الحداثة.

3 ـ الحداثة بوصفها مفهوماً نوعياً ويقابلها مفهوم النزعة الحداثية، لقد انبثق التحديث في سياق التحولات الجذرية العميقة الاقتصادية والاجتماعية والتقنلوجية وتكامل على مستوى الايديولوجيا والثقافة والعادات ونمط المعيشة اليومية.

والحداثة من الزاوية البنيوية، مجموعة من المقومات والعلاقات التي يتألف منها الكيان الحضاري الموصوف حديثاً، ويتجلى ذلك في كافة الميادين: دولة حديثة ـ تقنية حديثة ـ آداب وفنون حديثة ـ عادات وافكار حديثة. معنى هذا أن النزعة الحداثية، من حيث هي وعي الحداثة؛ تمثل رؤية خاصة تنطوي على تغيير الذات والعالم، وهي رؤية تتعدى مقولتي «العقل والثورة» لتشمل الفلسفة والفن والأدب والقانون ....الخ فالحداثة نموذج حضاري ونمط حياة، تخلصت من الاحكام المسبقة والمطلقات والغيبيات، لأنها تتناقض مع التقليد الذي يتقوقع في صدفة الماضي، وترنوا الى المستقبل لأن الزمن الحديث ليس دوراناً تكرارياً كالعصور الوسطى، بل زمن محسوب ومنضبط، وينبسط وفق خط ماضي ـ حاضر ـ مستقبل. وقد صاغ المجتمع الحديث بنيته صياغة مهمة وحاسمة وحسب مقولة الحداثة: المعرفة تعني / الفكر / العقل ـ الحقيقة ـ /علمية/ نقدية. اللغة/ تحليلية. النظام: /ديمقراطية/ اشتراكية، التركيب الاجتماعي: / الطبقة.[1]

---

[1] ـ التجربة الفيتنامية ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ 1979 ص ـ 18 ـ 20.

«التوليتارية أو الكليانية»

نظام سياسي استبدادي قمعي يرتكز على اخضاع الفرد للدولة وعلى السيطرة الصارمة على جميع مظاهر حياة الأمة وطاقاتها المنتجة وثرواتها، وتنحصر سلطة هذا النظام بيد فرد او بمجموعة من الافراد. أهم السمات العامة لهذا النظام.

1 ـ نظام يرفض التعددية السياسية.

2 ـ نظام عقائدي متماسك مهيمن مثل النازية والفاشية.

3 ـ ممارسة القمع والارهاب كوسيلة لتثبيت الحكم وفرض النظام.

4 ـ السيطرة على الأمن والاعلام وكل قنوات الاتصال الشعبي.

5 ـ فرض حزب جماهيري وحيد يرأسه شخص واحد.

7 ـ السيطرة على كامل مفاصل الاقتصاد وتوجيهه مركزياً.

8 ـ مصادرة الحريات السياسةوالديمقراطية وتعطيل حركة الصراع السياسي.

9 ـ قيام النظام السياسي على اساس التعبئة الشاملة للجماهير.

10 ـ عدم الثقة بوعي الجماهير الشعبية والخوف منها في آن واحد.

«الاوتوقراطية»

هي الحكم المطلق لرجل واحد. وهي تطلق في الأصل على الحكومات الملكية التي يصبح فيها الملك مصدر السلطات كلها. وتعبر عبارة لويس الرابع عشر ملك فرنسا «أنا الدولة» خير مثال لهذا النوع من الحكم، ومن خصائص النظم الاوتوقراطية المعاصرة.

1 ـ احتكار السلطة السياسية وحصرها في النخبة المعاصرة وغالباً ماتكون هذه النخبة عسكرية؟.

2 ـ انغلاق الحياة السياسية وضيق حدود المنافسة والتعددية السياسية .

3 ـ معظم النظم الاوتوقراطية تستند على ايديولوجية قومية.

4 ـ اعتماد القوة كطريق وحيد للاخضاع السياسي.

5 ـ السيطرة على كل وسائل الاعلام ووسائل الاتصال بالشعب.

* * *

«الفدرالية ـ الكونفدرالية»

كلمتان للدلالة على شكل من أشكال الوحدة الكاملة. فالولايات المتحدة الامريكية جمهورية فدرالية اتحادية تضم عدة ولايات. وقد كانت الامبراطورية الألمانية «غليوم الأول والثاني» امبراطورية اتحادية تضم ولايات (دول). والاتحاد السوفييتي قبل انفراطه في بداية التسعينات من هذا القرن كان دولة اتحادية تضم خمسة عشر جمهورية

متحدة على أساس الحقوق والمساواة.

والمانيـة الغربيـة تسـمى اليـوم جمهوريـة المانيـا الفدراليـة، أي الاتحاديـة. والكونفدراسون «وتسمى أحياناً فيدراسيون».

بالطبع يوجد في كل هذه الحالات رئاسة مركزية واحدة، وحكومة مركزية واحدة، ومجلس نواب واحد. ولكن توجد أيضاً حكومات ومجالس في الولايات والجمهوريات أو الدول المكونة للاتحاد والمجلس النيابي المركزي الواحد يتألف من مجلسين تراعى في أحداهما الاجزاء المكونة بصرف النظرعن حجمها وعدد سكانها. وينتخب الآخر في نطاق الاتحاد على أساس الدوائر الانتخابية المتساوية. وقد هاجم ماركس وانجلز ولينين النزعة الفدرالية، واعتبروها نزعة برجوازية صغيرة. فالاقتصاد الحديث يتطلب حيزاً جغرافياً كبيراً ويتطلب مركزية «المركزية لا تعني الاستعباد والديمقراطية ليست الفدرالية». ولكن روسيا السوفيتية المتعددة القوميات اتجهت بقيادة لينين نحو الفدرالية وتأسس اتحاد الجمهوريات المتساوية في الحقوق بناء على اقتراح لينين. أما الفرق بين الفدرالية والكونفدرالية. في الفدرالية تذوب الشخصية السياسية للاقليم أو القطر ولكن تترك له بعض الصلاحيات الملائمة لظروفه الادارية والاجتماعية.

أما في الكونفدرالية فتبقى الشخصية السياسية كما هي، مع وجود قيادة سياسية مشتركة لتحقيق بعض الاغراض التي غالباً ما تكون مؤقتة ومرهونة بظروف معينة.

«التاريخ»

التاريخ ذاكرة البشرية كما عرفه «هيرودوت» المسمى أبو التاريخ كما يعرفه ابن خلدون هو خبر عن حديث. فالحدث الأكبر هو الكون ذاته بما في ذلك نشوء وتكـون المجتمع الانساني. وكل حديث عـن تكـون هـذا الكـون هـو صياغـة لخبر، أي تـاريخ وتنظيم للتاريخ. التاريخ علم لكنه ليـس علـم المـاضي فقـط، وانمـا هـو علـم المسـتقبل. التاريخ زمن والزمن الماضي لا يعود وهـذا مـا يجعلنـا نـردد أن التـاريخ لا يعيـد نفسـه. التاريخ هو التطور والتقدم وهو عطاء مستمر كل يوم ويغير حـدود، وتدفـق لا يعـرف التوقف.

التاريخ يتحدث عن المستقبل بآلية متحركة وهو اسـتمرارية وفعـل، وهـو تراكـم وعمق. التاريخ أبو المعارف الانسانية والبشرية، لذلـك كـان الاهتمـام بـه كبيراً. فهـو يكتب كتابات عديدة ويقوم حوله الخلاف. فتستطيع أن نقول انه في كـل منطقـة مـن العالم ثمة تاريخ «رسمي» يكتبه مؤرخو السلطة السائدة.

كما أنه هناك تاريخ آخر تكتبه المعارضة السياسـية للسـلطة. مـن هنـا كتابـة التـاريخ دائماً مطرحاً للنظر واعادة النظر، وعرضة للاحتمالات. فالحقيقة التاريخية حقيقة صعبة جداً وتكاد تكون مستحيلة، فهـل ثمـة بـالفعل حقيقـة تاريخيـة، أم أن كتابـة التـاريخ هـي كتابـة افتراضـات واحتمـالات وانحيـازات إلى هـذا الموقـع أو ذاك مـن مواقـع الرؤيـة والمصلحـة والايديولوجيا «الاكراه ـ التحوير ـــ التزوير...الخ» الحقيقـة التاريخيـة دائمـاً بنـت الشـك، فالشك جسر المعرفة الحقيقية، وإذا كـان الشـك والتحميـص والاستقراء أساسـاً في المعرفـة

التاريخية الحديثة التي تتوافر لها وسائل أتاحها التقدم العلمي والتقنلوجي للباحثين، فكيف بنا في المعرفة التاريخية للتاريخ القديم الذي كان وثيقة الحفر على الحجر أو الآجر أو على بعض جذوع الشجر. إن شك المؤرخ في كل شيء يجب أن يكون أكبر، والاستنتاجات يجب أن تكون محمولة على محمل الاحتمال أكثر مما هي على محمل اليقين. فإذا كان من الصعب الاحاطة بملابسات حدث يحدث في هذه الأيام في أقرب مكان لنا فينتقل على أكثر من وجه ويحمل من تفسير فكيف يكون الامر مع أحداث وقعت من آلاف السنين.

* * *

«التاريخانية»

التاريخانية اتجاه يؤكد على موضوعية تطور المجتمعات وعلى وجود قانون يحكم تطورها الطبيعي.[1] الفكر التاريخاني يعلم أن الاشتراكية لا يمكن أن تبنى على أرضية ومفاهيم ومناهج تقليدية، بل فقط على أرضية ليبرالية. كما أن هذا الفكر التاريخاني يهيء الفكر الثوري في سياق تاريخي انعدمت فيه فرص تكون برجوازية حقة، استيعاب الثقافة والفتوح الليبرالية قبل / وبدون أن يعيش مرحلة / برجوازية.[2]

النزعة التاريخانية هي نزعة مادية جدلية «ديالكتيكية» ترى التاريخ كمحصلة لمجموع الصراعات الاجتماعية والاقتصادية ضمن قوانين علمية قابلة للدراسة والكشف، تعمل باستقلال عن إرادة البشر، هذه القوانين يمكن فهمها وتحويلها بحيث تلعب دوراً في صنع التاريخ. والحتمية التاريخية بهذا المعنى لا تعمل خارج إرادة البشر

---

(1) ـ أزمة المثقفين العرب ـ عبدا لله العروي ـ ص 110.

(2) ـ التجربة الفيتنامية ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة بيروت ص 17 ـ 18 1979.

وخارج وجودهم وإنما ضمن البشر المنتجين، وضمن دائرة قواهم وعلاقاتهم الانتاجية.

التاريخانية هي جعل التاريخ حاضراً في العقل يلهمه الـدروس والعبر ويحمله من حين إلى آخر على مراجعة تصوراته وفحص مبادئه وطريقة انتاجـه. التاريخانيـة الثوريـة خط صاعد لا مجال فيه للاقبال والادبار. كما أن هذه التاريخانية الثورية هي الـتي تقـدم التفسير الذي يضفي اكبر قدر من المعقولية على مسيرة التاريخ وتعني أن للتـاريخ معنـى وغاية، وترفض كل أنواع الركود التي تبرر الخنـوع لأنهـا تـبرز الحركـة والفعـل. هـذه التاريخانية تشكل مع العقلانية الدعامة الأساسية للفكر الاوروبي الحديث والمعاصر.

* * *

«الانتلجنسيا»

مصطلح من أصل روسي يعني فئة المثقفين، في بلد يعـاني مشكلة تـأخر، تلعب كتلة المثقفين، باستقلالها النسبي، دوراً حاسماً في نقل الوعي الكوني إلى شعبها، وتتضـح بالتـالي، المقدمـات الثقافيـة للثـورة السياسـية. وفي حـالات قـد تلعـب دوراً محافظـاً. والانتلجنسيا كقوة اجتماعية وكمفهوم ولدت في العصور الحديثة، فهي ظاهرة حديثة ونتاج مميز للعصر الصناعي مثلها مثل البروليتارية لأنه بظهور المجتمع الصنـاعي فحسب تولد لدى الانسان الاقتناع بقدرته على صنع تاريخه بنفسه، وبالتالي الثورة على المجتمـع وتغييره نحو الأفضل. إن أهم وظيفة للمثقف الذي ينتمي إلى الانتلجنسيا هـو ممارسـة النقد الجذري الشمولي للاوضاع القائمة. إن غياب هذه الانتلجنسيا المتنـورة في الوطـن العربي قد أدى إلى نتائج وخيمة على الصعد الاجتماعية ـ السياسية ـ القومية ـ وبالتـالي

حال دون نهوض مشروع شمولي ثوري وحديث.»(1)

* * *

«الوعي والوعي التاريخي»

الوعي أحد ميزات الانسان. ويتمثل هذا في معرفته للأشياء وتسميتها باسمائها ومن ثم السيطرة عليها. للوعي جانبان: التفكير والاحساس، وهما جانبان متصلان كوجهي عملة واحدة كما يقولون وعملها مترابط ومتداخل ولا غنى لأحدهما عن الآخر. ويتفاوت الوعي في اتساقه وعمقه تبعاً للثقافة والمجتمع الذي ينشأ فيه فضلاً عن الملكية الشخصية.(2)

أما الوعي التاريخي: هو أن يدرك الانسان ويشعر بعمق وقوة اللحظة الزمانية التي يعيشها، وأن يحس أن الزمان ليس جزراً معزولة منفصلة عن بعضها ، أو أن الزمن يمكن تقسيمه قسراً، بل أن الزمن سلسلة مترابطة الحلقات والدوائر تنبثق الواحدة من جوف الاخرى ـ ماض ـ حاضر ـ مستقبل.

وان الانسان نفسه هو القوة التي تسير التاريخ وتدفعه وتكيفه وتصنفه وفق مناهج ومقاييس اختيارية، وعلى الانسان أن يندمج في واقعه الراهن حتى يستطيع أن يعبر عن ذاته. الوعي التاريخي هو وعي نقدي شمولي، أي قومي وعالمي.

---

(1) ـ الهزيمة والايديولوجيا المهزومة ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة بيرت ـ ص 320 ـ 325.

(2) ـ انظر دراسة ـ د/سالم الحن ـ مجلة العربي عدد 317 ـ نيسان 1985.

«علم الاجتماع»

علم الاجتماع هو السعي الدؤوب الصبور لمعرفة المجتمع وفهم معضلاته بعمق، وادراك ورصد كل ظواهره المختلفة، والأداة الفعالة لمعرفة موضوعية اجتماعية هو التسلح بمنهج علمي يبعد الباحث والعالم الاجتماعي من الوقوع في مطبات التحليلات والاستنتاجات اللاواقعية والرومانسية، ومهمة هذا العلم هو معرفة الذات الاجتماعية بصورة كلية شاملة.

«إن علم الاجتماع في أبسط تعريفاته هو السعي المنهجي العلمي الدائم لفهم المجتمع بكل ظواهره ومؤسساته. ولأن المجتمع لا يكف عن التغيير فإن السعي المنهجي لا يتوقف. وفهم المجتمع لذاته هو تعبير آخر لوعي المجتمع بذاته، فالمجتمع يمكن أن يوجد وأن يستمر دون فهمه لذاته، أي دون وعيه بذاته. وقد عاشت المجتمعات الانسانية آلاف السنين قبل ظهور علم الاجتماع كما عاش الافراد قبل علم النفس، وكما وجدت السلطة والحكومة والدولة سابقة لعلم السياسة، والانتاج والتوزيع والاستهلاك قبل علم الاقتصاد. ويصدق ذلك على وجود الظواهر الطبيعية قبل ظهور العلوم الطبيعية. وعلم الاجتماع مثل كل العلوم الاخرى ـ اجتماعية كانت أم طبيعية ـ يقدم فهماً منضبطاً لمجموعة الظواهر التي تشكل في مجموعها ما نسميه «المجتمع الانساني» أو العمران البشري، لكنه يختلف عن العلوم الطبيعية في جانب أساسي، هو أن الدارس يمثل جزءاً من الظواهر المدروسة، من هنا أهميته في خلق الوعي الموضوعي بالذات، وليس بمجرد الوعي الذاتي فهذا الأخير ـ الوعي الذاتي ـ يمكن أن يقوم به كل انسان

عاقل مفكر ، دون حاجة إلى الترسانة المنهجية لعلم الاجتماع، أما الفهم الموضوعي للذات المجتمعية، أي للمجتمع ككل، فتلك مهمة هذا العلم وريادته، وإن لم يكن له فيه حق الاحتكار.

* * *

«الزمن»

الزمن في عصرنا يسير وفق ايقاع له مغزى، له هدف. وهو ينساب في وجوه عديدة، ربما طارئة ولكن ذات دلالة، هذه اللحظات تفعل سلباً أو ايجاباً لتصبح جزء من التاريخ. الزمن عند الشعوب المتقدمة ذو مضمون وقيمة اجتماعية مقياسها العمل المنتج واحترام الوقت واعتبار الشغل قيمة سامية سواء كان هذا الشغل نظرياً أو تطبيقياً. والزمن له قيمة انسانية، فالحياة التي يقضيها الانسان ويعيسسها على الارض لا تقاس بطول الوقت أو العمر المديد، إذ لا معنى للوقت إذا لم يستثمر في المجتمعات المتقدمة لا يقاس وجود الانسان بعدد السنين التي يعيشها، بل يقاس بما يقدمه للآخرين من عمل خلاق . من في المنطق الحديث له مسار لولبي صاعد نسبياً ذو طابع تراكمي ولا يعود إلى الوراء. والوقت لا يتجمد، لذا فإن الانسان الحديث يعيش بدلالة الحاضر والمستقبل ولا يستحضر الماضي إلا بقدر ما يكون حافزاً. لأن تجارب الانسان الماضوية لا يمكن أن تتكرر، لأن الزمن لا يتكرر ولا يعيد نفسه. وإذا حاولنا قسر الزمن الذي مضى على الحاضر فسوف تكون تجاربنا مخفقة، وليست اكثر من اسقاطات زمنية متخلفة على وضع معاصر محلقة فوق الزمان والمكان، ومختلف المعطيات الواقعية.

الزمن المؤلف من دهور وعصور وحقب وعقود وسنين وشهور وأيام وساعات ودقائق وثواني، لا يعني أنه بامكاننا تقطيعه أو تجزئته، بل هو سلسلة مترابطة لا تقبل التقسيم لأن كل مرحلة تولد من جوف الأخرى، وهذا يعني وحدة الزمان، إنه أشبه بدوائر الماء تنبثق الواحدة من بطن الأخرى. في البلدان المتخلفة ينساب الزمن على عواهنه دون احساس بوقعه أو اكتراث، فهو زمن بلا محتوى، بلا ثمن، وبالتالي هو زمن ثقيل ينقضي بالعطالة فلا سباق مع الزمن حيث المتسابق الأول الانسان، لا يعدو اكثر من كم حسابي بلا هدف، بلا تطلعات، عبد تسوقه عصا راع مستبد يفرض عليه الجهالة ويقتل لديه ملكة تلمس الوقت، فيتحول الوقت إلى تاريخ ميت، فاليوم مثل الأمس ولا جديد. وإذا كان الوقت عند المتقدمين من ذهب فان الوقت من تنك عند المتخلفين. فالوقت عند المتقدمين يعني ـ تنظيم ـ دقة ـ احترام المواعيد ـ انجاز ـ مسؤولية ـ أما عند المتخلفين يعني ـ فوضى ـ عدم اتقان ـ لا مبالاة ـ هدر ـ تسويف وتأجيل. الوقت من ذهب ينطوي في الواقع هذا المثل على معنيين مختلفين. الوقت كمعيار للعمل المنجز من قبل الانسان، وهو المعنى الاكثر بساطة. والوقت كمعيار للتقييم الذاتي لرأس المال، وهو المعنى الخاص الذي لا يرتبط بالعمل إلا من حيث هو وسيلة لتقييم رأس المال له الذي يخضع فيه الانسان لعامل الوقت. في معظم البلدان المتخلفة يسير الزمن في دائرة مغلقة وليس له أسس، لذا هو زمن مكرور لا يحمل في ثناياه جديداً، فهو زمن ماضي وشبه مطلق وعديم القيمة والوزن وغير تراكمي. في البلدان المتقدمة يسير الزمن باتجاه صاعداً قاعدته الحاضر وآفاقه المستقبل الرحب، وله قيمة مادية ومعنوية، وبعض هذه القيمة تتمثل باستثمار الفرص، فقد يكون عامل الوقت أحياناً غير فعال إذا لم تختر اللحظة المناسبة والتوقيت الدقيق من أجل عمل مهم وراهن. الانسان العصري لا يتحدث بلغة الماضي إذا كان الحديث عن التقدم أو التطور. فكان وكنت وكنا شيء

من الماضي ولا مجالاً جدياً للحديث عنها، وإنما الحديث يكون عن اليوم والغد ديدنه، أي الحديث عن الحاضر والمستقبل هو شاغل الانسان التقدمي. فتقديس الماضي والتشبث به في بلد غارق بالهزيمة، هو أحد عوامل الهروب أو التعويض عن النقص وعقدة القصور ازاء الغالب - المتفوق - المتقدم - حين يكون الانسان عاجزاً عن الفعل في الحاضر واقتحام أبواب المستقبل.

الزمن عنصر محايد ليس في صالح أحد، إنه عنصر محايد يكون في صالح الطرف الذي يحسن استغلاله اكثر من سواه.

«نحن العرب لم نفقه بعد وحدة الزمان، أي ترابط وتواصل وحداته أو لحظاته، كما أننا لم نفقه بعد أن هذا الرابط ذو طابع نسبي وتراكمي.

فقط عندما نرى أن الزمان مؤلفاً من وحدات تنبثق كل واحدة من جوف الاخرى، وحدات مترابطة ترابطاً ذا طابع سبي وتراكمي، يمكننا من جهة أن نكتشف عقلانية التاريخ وبالتالي استحقاقنا الجزاء الذي فرض علينا، ونعي الهزيمة أمام الصهيونية، ونعي أن فلسطين لم تسقط في أيام أو في شهور، بل انها كانت كل يوم تسقط كسرة بعد كسرة وحجر بعد حجر، منذ وعد بلفور حتى اعلان دولة اسرائيل.

ولأننا لم ندرك وحدة الزمان بدت كارثة فلسطين في كتب التاريخ العربية حدثاً لا عقلانياً، صدفة ما جاءت من الغيب، لا نتيجة متوقعة لقعودنا التاريخي الطويل حصيلة عقلانية لمواجهة استمرت نصف قرن تقريباً بين جماعة ومجتمع، بين جماعة مغلوثة ومجتمع حديث، بين جماعة ما قبل برجوازية، ومجتمع برجوازي».[1]

---

(1) - انظر الهزيمة والايديولوجيا المهزومة - ياسين الحافظ - دار الطليعة بيروت ص 76.

«الأتمتة»

«من اليونانية: automatos وتعني المتحرك تلقائياً».

تجهيز الانتاج الآلي بأدوات وأجهزة تحرر الانسان من إدارة الآلات وتتيح اجراء عمليات الانتاج بدون مشاركة الشغيل المباشرة، ولكن تحت رقابته فقط. وقد كتب كارل ماركس عن التجهيزات الاوتوماتيكية «حين تقوم الآلة العاملة. بجميع الحركات الضرورية لأجل معالجة المواد الخام بدون مساهمة الانسان، ولا تحتاج إلا إلى الرقابة من جانب العامل، قوامه منظومة اوتوماتيكية من الآلات قابلة، مع ذلك، لأن تترقى باستمرار في مقوماتها».(1)

والأتمتة ليست مرحلة من مراحل التطور الصناعي أو جزء من سيرورة طويلة لمكننة العمل بواسطة الانسان فقط، وإنما هي منعطف في بنية القوى المنتجة، وتغيير أساسي في فلسفة الانتاج وادخال نظام انتاجي من طراز جديد ينظم نفسه بنفسه. وهي ليست مجرد امتداد للمكننة، بل هي ظاهرة عصرية ذات وجه ثوري. وهي كأداة تقنية للانعطاف من الكمية نحو النوعية، لأن سيرورة الأتمتة الاجتماعية تعبر عن تغيير أدق عن تحول قوة العمل التي تصبح خلال الفترة المذكورة، المنفصلة عن الفرد، موضوعاً، مستقلاً.. وهنا سيكون السمو التاريخي نحو حضارة جديدة.(2)

---

(1) ـ المؤلفات الكاملة ـ ماركس ـ انجلز ـ المجلد 23 ص 392.

(2) ـ معجم الشيوعية العلمية ـ دار التقدم ـ ص3.

«التقنلوجيا»

علم التكنيك، أي بالدرجة الاولى أدوات الانتاج من الفأس الحجري إلى الآلة البخارية إلى الحاسبة الألكترونية إلى «الروبوت» الرجل الآلي. والتقنلوجيا علم الصناعة واحد فروع المعرفة التطبيقية، والقدرة على استخدامها بشكل مناسب تتوقف على درجة حداثة الايديولوجيا السائدة في الطبقة السياسية بوجه عام، وفي الانتلجنسيا بوجه أعم.[1]

والتقنلوجيا في أحد تعريفاتها القريبة من الشمول، هي مخزون المعرفة المتاحة لمجتمع ما في زمن تاريخي معين في مجال التصنيع والتنظيم الاجتماعي. إن علم التصنيع مهم حيث أن التصنيع هو عملية تطوير شاملة لقوى البلد المنتجة التي يجري التصنيع في سياقها بناء الصناعة الكبيرة القادرة على تزويد الاقتصاد الوطني بالمعدات الآلية والاوتوماتيكية.

«إن التصنيع هو من أهم شروط التقدم الاجتماعي والتكتيكي والاقتصادي. وطابعه وطرائق ووتائر تحقيقه، وكذلك عواقبه الاجتماعية والاقتصادية. كل هذا رهن بمجمل الظروف الداخلية والخارجية لحياة البلد، وفي المقام الأول باسلوب الانتاج وقوانينه الاقتصادية».

إن أدوات الانتاج هي العنصر الاول والاكثر حيوية في الانتاج «نظام الملكية

---

(1) ـ المؤلفات الكاملة ـ ماركس انجلز ـ المجلد 23 ـ ص 275 وما بعدها.

والطبقات» والبنية الفوقية والافكار السياسية والمؤسسات الدينية والاجتماعية الاخرى».(1)

* * *

«التخلف»

هو عدم مقدرة شعب أو أمة على استثمار طاقاتها الطبيعية والبشرية بشكل أمثل، وتوظيفها من أجل التنمية النوعية والكمية التي يصيبها الانتاج والمجتمع على طريق الارتقاء بوعي الانسان ومقدرته في تجاوز أسوار التخلف. والتخلف له أسباب ومظاهر، وقد تكون الأسباب نفسها مظاهر. وقد اقترن إسم التخلف بدول العالم الثالث التي تبلغ حوالي مائة دولة، وأول من أطلق تسمية العالم الثالث «الفريد سوفي» الذي ابتكر هذا الاصطلاح عام 1952 أثناء الحرب الباردة للاشارة إلى البلاد المتخلفة التي كان نظامها مؤسساً على اقتصاد السوق. من أسباب التخلف:

1- الخصوبة الزائدة: تتميز بلدان العالم الثالث بارتفاع نسبة الولادة 4و6٪ سنوياً ويعود كثرة التوالد لأسباب ايديولوجية دينية، كما يعزى ذلك لعدم المبالاة أو التواكل او التفاخر بكثرة الأولاد.

2- نقص التغذية: تعاني 75٪ من سكان العالم من نقص التغذية إذ لا يتجاوز عدد السعرات التي يتناولها الفرد في شبه القارة الهندية إلى ـ 2100 ـ ولا يتجاوز 2700 في أقطار المغرب العربي ـ في حين يرتفع هذا الرقم إلى ـ 3600 ـ في الدول المتقدمة على

---

(1) ـ معجم الشيوعية العلمية ـ دار التقدم.

أن عدد السعرات يجب ألا يقل عن 3000 للفرد باليوم حسب تقديرات المختصين بعلم التغذية. كما تعاني هذه البلدان من سوء التغذية ويتجلى ذلك في نقص البروتينات والفيتامينات.

3- قلة الاطباء وأسرة المشافي: حيث لا تزال دول العالم الثالث تتصف بضعف نسبة عدد أطبائها لعدد السكان الاجمالي فإذا كان يصيب كل (50) مواطناً طبيباً واحداً في الدول المتقدمة فإن نسبة الأطباء في بعض دول افريقيا «تشاد مثلاً» تبلغ طبيباً واحداً لكل (15 ألف نسمة). وفي أندونوسيا طبيباً واحداً لكل «80 ألف نسمة».

4- ضعف الانتاجية : رغم أن عدد العاملين في الزراعة في البلدان المتخلفة تشمل نسبة كبيرة 45٪ في مصر – 70٪ في الصين واكثر من 80٪ في السودان إلا أن الانتاج الزراعي في هذه البلدان وغيرها من بلدان العالم الثالث يقترن بانخفاض الانتاجية وهذا الانخفاض ناجم عن عوامل متعددة تقنية وثقافية وصحية واستعمال الأسمدة وتصحير البيئة وتخريبها. بينما في أمريكا تنخفض نسبة العاملين في الزراعة إلى 2٪ ولا تزيد عن 12٪ في معظم الدول المتقدمة، غير أن انتاجية المزارع الأمريكي الذي يعمل في زراعة القمح تصل إلى 75 – 80 طن، في حين لا تزيد انتاجية مثيله في الاقطار المتخلفة عن تأمين حاجات أسرته، أو بيع القليل كي يشتري بعض مستلزماته الحياتية.

5- ضعف القطاع الصناعي: إن الصناعة لا توفر العمل في البلدان المتخلفة إلا ل 10٪ من القوى العاملة - بينما في البلدان الراسمالية والاشتراكية توفر العمل إلى 40٪ من العمال في كل من بلجيكا وبريطانيا - و32٪ من العمال في الاتحاد السوفيتي سابقاً، فضلاً عن تعثر عملية التصنيع وفشلها لأسباب معقدة فضلاً عن ضعف انتاجيتها من حيث الكم والكيف وعجزها عن المنافسة.

ومن أسباب التخلف استفحال الأمية في بلدان العالم الثالث، فهي تتراوح بين 40 ـ 60٪ في الدول المتخلفة، وتضخم قطاع الخدمات في مختلف المجالات وانتشار ظاهرة البطالة المقنعة من غير المنتجين، وضعف الدخل القومي. فإذا كان دخل الفرد في العالم المتقدم عن ـ 3 آلاف دولار وسطياً في السنة، فإن الدخل في بلدان العالم الثالث باستثناء دول الخليج العربي بلغ أعلاه في الدخل من «2000 ـ 500» دولاراً في تركيا ومصر وسورية والعراق واقطار المغرب ومعظم دول أمريكا اللاتينية ليصل بين «250 ـ 150» دولاراً في شبه القارة الهندية ـ الهند ـ الباكستان ـ اضافة إلى استفحال الأمية في بلدان العالم الثالث فهي تتراوح بين 40 ـ 90٪ في معظم هذه الدول.*

ومن مظاهر التخلف، ازدحام الشوارع العامة، كثافة الركاب في حافلات النقل الداخلي ـ طوابير البشر على أبواب المجمعات الاستهلاكية وعلى أبواب الأفران ـ عدم نظافة الشوارع العامة ـ انتشار آلاف الباعة على قارعة الطرق وفي الساحات العامة...الخ وبرأينا أن هناك سبباً يعتبر أحد أعمدة التخلف، هو غياب الحريات السياسية والديمقراطية وهيمنة أنظمة استبدادية لا تعترف بالانسان كقيمة وهدف وأداة يصعب التقدم، بل يستحيل باحتجازها وتجميدها.

فالتخلف لم يعد مقولة اقتصادية فقط، بل مؤشراً على التطور العام لمجتمع ما ومكانة هذا المجتمع في سلم التطور البشري. وهذا يعني أن التخلف أصبح تأخراً في مثل أوضاعنا العربية الراهنة.

* * *

---

* ـ انظر مجلة الجيل ـ د/ عبد الرحمن حميدة العدد 7 ـ 1988.

«التقدم»

التقدم هو عملية تراكم تاريخية تدفع باتجاه نقلة نوعية إلى الأمام تصنعه قوى اجتماعية ضمن شروط محددة ترسم ملامحه فالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي يعلم أن التقدم يتعذر إذا أريد له أن يتجاوز المجتمع والتاريخ. هنا تبرز حقيقة تؤكد أن التقدم الحقيقي يبدأ بالانسان عبر توفيره شروط الحرية ومناخها وامكانية الابتكار والخلق والابداع. إن شرط التقدم الأساسي، وعي التخلف وتحدياته والارادة والتصميم على تجاوزه.

«التقدم بالنسبة إلى الغرب في الماضي والحاضر يعني تقدماً في امتلاك الطبيعة والسيطرة عليها. ومنذ أن ظهر مفهوم التقدم وخاصة في عصر الانوار، كان الهدف منه قدرة الانسان على اخضاع الطبيعة والسيطرة عليها. التقدم يتماشى طرداً مع تعاظم قدرة البشر على هذه السيطرة. ومن هنا كان التقدم قطيعة انفصامية متواترة وتجاوزاً له بكل ما يحمل الماضي من إرث وتقاليد تعرقل سيرورة التقدم، وذلك بقدر ما يمثل الحاضر والمستقبل تنامياً في تلك القدرة على السيطرة. بالمقابل نحن العرب فهمنا قضية التقدم من زاوية انتربولوجية فلم ننظر إلى التقدم بشكل موضوعي بل نظرنا إليه من زاوية تقدم أو تأخر بالنسبة إلى الآخر الذي هو الغرب. ومن هنا لم يأخذ شكل قطيعة مع الماضي، بل بالعكس فقد أخذ أحياناً شكل دفاع عن الماضي وحتى ارتداد نحو الماضي. نحن نريد أن نغير علاقتنا مع هذا الآخر ولا نغير نمط العلاقة القديمة مع الطبيعة. بعبارة إن الغرب يتقدم على الأرض ونحن نحلم في الذهنية أن نتقدم ميدانياً. التقدم في الغرب ما يزال معطى واقعياً، بينما عندنا ما يزال معطى ذهنياً ووجدانياً،

لذلك نحن نطلب تغيير الأحكام لا تغيير الواقع، لذا فان اشكالية التقدم والتاخر ستبقى بكل الاشكاليات المراوحة في المكان بطرح نفس الحدود والرموز ونفس الأجوبة التي طرحت بها لأول مرة من قبل مئة سنة أو مئتين سنة.(1)

نحن لم نطرح مفهوم التقدم انطلاقاً من معطيات واقعنا، بل طرحناه بشكل استطالة ذهنية للغرب. ومن هنا فإن مفهوم التقدم أخذ عندنا مدلولاً اختزالياً و لم يشمل كل الاشكاليات التي ارتبطت به تاريخياً وفلسفياً وايديولوجياً. في الغرب طرح مفهوم التقدم منذ البداية، بالارتباط مع مسألة الدين مثلاً، والموقف من الطبيعة والموقف من الانسان، أي طرح بشكل شمولي وواقعي، لا بشكل أحادي ووجداني وذهني وفقهي كما فعلنا نحن العرب. ويجب أن لا نخلط بين التقدم ومقولة التغير. فالتقدم دائماً حركة صاعدة على الصعيدين الكمي والنوعي، بينما قد يكون التغير حركة تراجع إلى الخلف على كل الصعد وخاصة السياسية فضلاً عن الحركة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

ما هو معيار التقدم؟ التقدم هو أولاً وفوق كل شيء تقدم الانتاجية مردود الشغل والانتاج «والتوابع» «مع المزدوجين» وكخلاصة بارزة — نحو حجم النوع بخلاف الأنواع الطبيعية العادية، أي نمو أعداد البشر في «أرض البشر». الانسان كائن الشغل، الانتاج، الحضارة، الاجتماع، الوعي والوجدان...الخ والتقدم هو تقدم هذه الجملة.(2)

* * *

(1) ـ اشكالية التقدم والتخلف ـ جورج طرابيشي ـ مجلة الوحدة العدد 22 ـ 23 تموز 1986

(2) ـ اشكالية التقدم والتخلف ـ الياس مرقص المصدر السابق.

«فوات»

مصطلح الماني معناه اللغوي : خارج تسلسل وتاريخ الاحداث. والشعوب المفوتة هي شعوب متأخرة آنست التلاؤم مع الماضي وانقطعت عن العصر لذلك تعيش بدلالة قيم بائدة.

والشعوب التي تعيش حالة فوات هي التي يشكل وجودها في عصر معين ضرباً من غلطة تاريخية أو مفارقة تاريخية باعتبار أنها ما تزال تعيش مرحلة تخطتها شعوب أخرى صاغت العصر وفرضت نفسها عليه. الشعوب المفوتة هي الماضي ملقى على هامش الراهن أو الحاضر، هي التي تعيش في غير عصرها.*

* * *

«التقليد»

التقليد مجموعة تراكمات يشمل مجالات عديدة على الصعيدين النظري والعملي. وهو كثيراً ما يكون راسخاً على صعيد السلوك والقيم الاخلاقية والعادات، ويجعل منها تعاقب الزمن أشبه بالأقانيم والطقوس. «التقليد إرث وتركة تنتقل من جيل إلى آخر عن طريق التواتر، وتصبح معترفاً بها، وتقر وتوطر في ايديولوجيا وعادات واخلاق

* ـ التجربة الفيتنامية ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة ـ بيروت ص 14 ـ 24.

وسلوك وتفكير هذه الاجيال المتعاقبة، فتستوحيه أو تعمل به».[1]

* * *

«الرموز»

الرموز تعني ما هو جليل ومهيب في حياة الناس. «وقد تشمل الرموز العقيدة والايديولوجية وما قد يعطيه المجتمع من أهمية لأشياء ذات قيمة خاصة للافراد كالعَلَم والمناسبات القومية الخاصة والصورة القومية للمواطن المثالي. وهذه الرموز قد تفيد في تفجير طاقات الأمة أيام المحن والازمات. وقد تستخدم الرموز كسلاح دعائي ضد مجتمع ما في صورة قبيحة «كتاجر البندقية شيلوك» كدليل على عبادة اليهود للمال، أو سخرية من مجتمع، كالمجتمع الامريكي «العم سام مثلاً»[2]

ويندر أن يوجد مجتمع في هذا الكون بلا رموز معنوية يستثمرها في شحذ العزائم والهمم زمن الحرب أو السلم. والرموز هي نتيجة تراكمات نوعية لأعمال عظيمة وحاسمة في تاريخ المجتمعات الانسانية يتفق عليها أكثر من جيل ويعطيها الشرعية وتصبح منارة لا تضيء الماضي فقط، بل يسطع نورها على الحاضر والمستقبل.

* * *

---

(1) ـ التجربة التاريخية الفيتنامية ـ ياسين الحافظ ـ مصدر سابق ص 14 ـ 24.

(2) ـ دراسة في العلوم السياسية/ د محمود اسماعيل محمد ـ مكتبة الامارات 1984 ـ ص20.

«الابداع»

الابداع هو العمل الاستثنائي أو غير العادي الذي يمكن أن يعطي طابعاً جديداً للحياة. ويتناول أسس الاشياء ويعمق الفكر فيها ويطرق مجالات لم تكن نعروفة من قبل. «هنا فقط تصبح الاشياء والحياة نفسها غير عادية، وينبثق ما يمكن أن يسمى بالابداع».

أما المبدعون هم من ينظرون إلى الاشياء بعيون وفكر غير عاديين ويكون وقع الاحساس بالاشياء بصورة تختلف عنه عند الاشخاص العاديين والمبدعون بذلك يعيدون معاني الاشياء وترتيبها بصورة جديدة تفتح آفاقاً جديدة تغير واقع الحياة وصورتها المعتادة أمام واقع جديد.[1] الابداع اضافة غير عادية وغير متعارف عليها من قبل تغني الحياة الانسانية وتجعلها جديرة بان تعاش.

* * *

«الحقيقة»

تتردد مقولة «الحقيقة» كثيراً على ألسنة المتحاورين فما هو تعريفها؟ «إن الحقيقة هي الشكل الأكمل لانعكاس الواقع الموضوعي في وعي الناس انعكاساً ذاتياً».

الحقيقة مقولة نسبية ونسبيتها نابعة من مقولة مفادها أن كل حقيقة تتألف من

---

(1) ـ انظر /د. ادريس سالم الحن ـ مجلة العربي عدد 317 نيسان 1985

مجموعة من الحقائق مركبة تنتهي بنا إلى الحقيقة موضوع البحث المراد الوصول إليه. إن نظرية النسبية ونظرية الاحتمالات جعلت العلماء يتواضعون بالجزم في يقينية الاشياء ولم تعد الحقيقة حقيقة القطع، بل هي صور وأشكال متبدلة في استمرارية تجعل إدراكها كلية في عداد المستحيلات «لكن الحقيقة عند الماركسي لها وجهان: أحدهما نسبي والآخر مطلق».

ذلك أن الحقيقة في مجرى التاريخ العام والمتدفق هي حقيقة نسبية، ولكنها في اللحظة الزمنية التي تصدر عنها وفي مزاملة قانونها العلمي هي حقيقة مطلقة، غير أن العلاقة بين الوجهين، المطلق والنسبي للحقيقة الواحدة ولمجرى الحقائق، هي علاقة جدلية دينامية وليست ثابتة «ستاتيكية» وهي العلاقة التي تفسر لنا صلة الفكر بالواقع. ولعله التركيز المطلق للحقائق هو الذي حَوَّل الماركسية على أيدي ستالين وشراحه من كونها فلسفة نقدية إلى ايديولوجيا تبريرية لسياسة معينة «والميتافيزيقيا المادية ليست أفضل من الميتافيزيقيا المثالية».[1]

* * *

«الرأي العام»

لا يقصد بالرأي العام رأي غالبية الأفراد في المجتمع، ازاء مشكلة معينة، إذا كان كل منهم أو بعضهم يبدي رأيه بمعزل عن غيره من الأفراد، إذ أن الفردية ــ مهما كانت ضخامة عددها ـ لا يمكن أن يكون لها أثر سياسي ذا وزن في حياة أي مجتمع،

---

(1) ـ انظر الماركسية والأدب /د. غالي شكري / ص 74 ـ 75.

إنما يقصد بالرأي العام الاتجاه النسبي المتقارب أو الغالب أو المتطابق للقوى المؤطرة بشكل عام في شأن قضية أو مسألة معينة، إذا حاز هذا الاتجاه تأييد معظم المواطنين، ويؤدي الرأي العام دوراً هاماً في تحقيق الاستقرار السياسي في المجتمع، ذلك أنه بتعرف الاجهزة العامة الحاكمة على ميول الرأي العام واتجاهاته، تحاول ما وسعها تعديل سياستها بما يتفق أو يقترب من مؤشراته، الأمر الذي يحمي النظام السياسي مما يمكن أن يعتريه من مفاجآت أو هزات بفعل نتيجة انتخاب أو استفتاء مثلاً، لم يكن من الممكن توقعها لعدم إدراك سلطات الحكم لاتجاهات الرأي العام، الذي لم تتح له فرصة التعبير عن نفسه سلفاً. وإذا كانت الجماعات المنظمة هي التي تحرك الرأي العام في المجتمعات التي تبيح حرية تكوين الجمعيات السياسية هي الأحزاب، فإنه في مجتمع تنعدم فيه التعددية وحرية الرأي الآخر وحظر الأحزاب تنعدم فرص ظهور رأي عام فاعل وقوي من خلال تنظيم واحد وحيد. في المجتمعات التي تغيب فيها ديمقراطية العمل السياسي ويكبح فيها تصارع الاتجاهات السياسية يتغلب الرأي العام فيها ويغيب تأثيره في اتخاذ القرارات وصنعها وتصبح الحكومة وحزبها السلطوي أقوى من الرأي العام، أي أقوى من إرادة الشعب، بينما في المجتمعات المتقدمة ذات المناخ الديمقراطي واختلاف الارادات السياسية يصبح الرأي العام في المشاكل التي تتقاطع فيها مصالح الأمة أقوى من هوى الحكومة وتوجهاتها حيث وزن الرأي العام وتأثيره وفاعليته تقيد وتحد من الاتجاهات المخالفة المتناقضة مع المصلحة العامة.

يعود اصطلاح «الرأي العام» في تكوينه إلى ظهور أول مجتمع حضاري في التاريخ حيث تطور مفهومه مع تطور المجتمعات اقتصادياً واجتماعياً، ومن أهم العوامل التي ساهمت في نمو الرأي العام واتساعه تقدم وسائل الاتصال الحديثة «الاذاعات ـ الصحف ـ ...الخ.» وانبعاث الأفكار السياسية الحديثة.وهناك ثلاث اتجاهات حول

مفهوم الرأي العام:

الاتجاه الأول يقول : إن الرأي العام هو الحكم الذي تصل إليه الجماعة في مسألة ذات شأن، وذلك بعد حوار ومناقشات صريحة وعلنية.

الاتجاه الثاني: يذهب إلى أن الرأي العام عبارة عن تعبير حول موضوع معين يكون مثار مناقشات احدى الكتل الشعبية أو بعض الجماعات .

الاتجاه الثالث: يرى أنه اتجاه جماعة من الناس نحو مسألة محددة أو قضية معينة.

من مزايا الرأي العام أنه شديد الحرص فيما يتعلق بحماية المثل والقيم الاخلاقية والروحية والعقائد الدينية والاجتماعية.

أما الرأي العام العالمي فقد تطور مفهومه في أعقاب الحرب العالمية الاولى حيث تم تأسيس عصبة الأمم المتحدة كمنظمة دولية تمثل الراي العام العالمي، وبعدها تشكلت هيئة الأمم المتحدة.. منظمة تجسد ضمير الانسانية في العالم المعاصر. وقد وقف الرأي العام العالمي ضد النازية والفاشية وضد الولايات المتحدة الامريكية صاحبة شعاري «حقوق الانسان ـ والعالم الحر» في حربها الظالمة ضد الشعب الفيتنامي وتدخلها في الشؤون الداخلية لمعظم دول المعمورة. ـ وها هو الرأي العام يقف بحزم ضد الصهيونية وضد نظام الفصل العنصري الذي مارسته سابقاً حكومة جنوب افريقيا.(1)

هل هناك رأي عام عربي؟ باعتقادي أنه لا يوجد رأي عام عربي فعّال طالما بقي سيف الاستبداد مسلطاً على الهيئات العامة من أحزاب وتنظيمات ومؤسسات وتجمعات لانها لا تمتلك أي قنوات عامة للتأثير الجمعي.

---

(1) ـ في دراسة الرأي العام استخدمنا«آ. مجلة الطليعة المصرية /تموز 1970/.ب ـ مجلة الكاتب المصرية /ايار 1971/»

«الوطن»

ليس الوطن هو الأرض الصماء التي يعيش فوقها الناس، بل أكثر من ذلك، إنه الأرض النابضة بالحياة في وسط اجتماعي ثقافي ـ سياسي معين.

«الوطن هو البيئة السياسية والاجتماعية والثقافية التي يحيا ويعمل فيها الشعب.. وهو ظاهرة اجتماعية معقدة مقولة تشمل محصلة جوانب متنوعة من حياة المجتمع ونشاطه ـ العلاقات الاجتماعية ومنظومة العلاقات والمنظمات السياسية، وأشكال وأنماط الثقافة الشائعة في المجتمع، والقيم الروحية التي اعتادت عليها الجماهير الشعبية. ومن مواصفات الوطن أيضاً الأرض ولغة الشعب»[1]

الوطن ليس حدوداً جغرافية فقط، وانما له حدود نفسية وحضارية. إن الطبيعة الاجتماعية والسياسية للوطن تتحدد، إلى درجة كبيرة، بماهية العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع وماهية الطبقة الحاملة لهذه العلاقات وتبعاً لذلك يمكن الحديث عن وطن رأسمالي ووطن اشتراكي.

إن للوطن جذوراً موغلة في القدم، تضرب بعيداً في أعماق التاريخ، وتمتد إلى نظام المشاعة البدائية القائمة على أساس الملكية المشاعية لوسائل الانتاج والروابط البيولوجية. ولقد تبلورت مقولة الوطن بشكلها النهائي عندما ظهرت الطبقات بعد تقسيم العمل، ونشأت الدولة وغدا مفهوم الوطن مرتبطاً بشدة بمفهوم كيان الدولة ثم

---

(1) ـ المؤلفات الكاملة ـ لينين ـ المجلد 26 ـ ص 365.

بمفهوم الأمة.

إن ما يربط الانسان بوطنه هو امتلاكه لحريته وشعوره بالعزة القومية المتمثلة باللغة والتاريخ والمشاعر المشتركة والمصير الواحد..الخ ثمة علاقة جدلية بين الوطن وبين الانسان، وعلاقة الانسان بالانسان الذي يعيش فوق الأرض. إن من لا يحب شعبه لا يحب وطنه، وعلى الذين يعيشون فوق أرض واحدة واجبات، أن يحافظوا على وحدة أرضه، وعلى وحدته الوطنية، وأن يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً.

* * *

«الحرب»

الحرب هي القبان الذي يزن ثقل أمة من الأمم على المستوى الحضاري، لأن الحرب هي المحك الحقيقي لمستوى التطور الذي تصل إليه الامم والشعوب في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية...الخ إنها الاختبار الفعلي والعملي للقدرات والطاقات والامكانات الذاتية الكامنة والظاهرة التي يمتلكها شعب من أجل الدفاع عن وجوده واستقلاله. هناك فرق بين القتال في معركة محدودة وبين الحرب. القتال بين عساكر ونيران مدفعية ودبابات وطائرات وصواريخ وجميع صنوف الأسلحة البرية والبحرية والجوية. أما الحرب فهي شيء آخر مختلف.. الحرب عبارة عن صراع إرادات.. تستخدم فيها كل الطاقات والموازين ومن ضمنها الميزان العسكري من أجل الوصول إلى محصلة سياسية. لقد لخص كلاوزفيتس قبل قرنين من الزمن في «عن الحرب» حين قال «إن الحرب هي مواصلة السياسة بطريقة أخرى». وهكذا فإن الحرب عمل سياسي.. تمهد له السياسة وتوجه نتائجه السياسية، وأخطر فترة بالحرب

ليس هي فترة المعارك وإنما هي فترة ما بعد المعارك، فتلك هـي الفـترة الـتي يكـون فيهـا على صاحب القرار أن يمسك بيد حازمة كل العناصر بما فيها معارك القتال لكي يصـل إلى النتائج السياسية التي يريدها.

ورغم أن الحروب لا تحمل إلا الموت والدمار إلا أنها أحد الصفات التي لازمـت الانسان على مدى التاريخ دون غيره من الكائنات. فالحروب هي أحد أدوات التراكم التاريخي وتشكله وهي تصنع التاريخ في مكان ما مـن العـالم، وتدمـره في مكـان آخـر، وأمثلـة ذلـك في التـاريخ القديـم صريحـة، حيـث قضـت حضـارات علـى حضـارات وامبراطوريـات علـى أخـرى ودول علـى دول واندثـرت شـعوب وعاشـت شـعوب. والحروب قد تكون تكتيكية مؤقتة عارضة. وقد تكـون اسـتراتيجية وتاريخيـة. فـالحرب المؤقتة تستهدف مصالح وتطويع إرادة وتدمير جزئي لقوى الخصم. أما الحـرب البنيانيـة والمصيرية والوجودية والتاريخية فتستهدف جذور الخصم وهويته وتدمير إرادته، وتتسـم هذه الحرب بطول النفس او التدمير الشامل. وبالنسبة لأشكال الحروب، هناك الحـرب الشاملة، والحرب المحدودة، والحـرب الطويلـة الأمـد، والحـرب الصاعقـة. ولكـل دولـة استراتيجيتها وعقيدتها في الحرب. إن الوضـع الطبيعـي بـين الـدول هـو السـلام، وهـذا السلام قد يأخذ أشكالاً مختلفة، فقد يكون على هيئة وقف اطـلاق النـار، أو هدنـة، أو مقترناً في معاهدة سلام أو اتفاقية تنظم العلاقات بين الدول. لكن الشـذوذ في العلاقـات بين الدول هو الحرب التي تعني استخدام العنف بكل أشكاله المادي والمعنوي، كما عبر كلاوز فيتس في كتابه «إله الحرب».

«شوفونية»

الشوفونية كلمة مشتقة من اسم أحد جنود نابليون بونابرت «تيتولا شافون» الذي يضرب به المثل في انحيازه وتعصبه لوطنه بصورةة عمياء والعداء لكل ما هو أجنبي. وشاع استخدام المصطلح في وصف الأفكار النازية والفاشية والعنصرية في اوروبا، ومنها انتقل إلى العالم للدلالة على ذلت المعنى.

وابتكر السوفييت (الاتحاد السوفييتي سابقاً) في مرحلة لاحقة، وعلى وجه التحديد أثناء الحرب العالمية الأولى صيغة شوفونية اجتماعية وهو تعبير سياسي يقصد به وصف التيارات الاشتراكية الديمقراطية التي تعطي الأهمية الاولى للصراع القومي ومصالح الوطن قبل الصراع الطبقي.(1)

وقد جاء استعمال السوفييت لهذا التعبير وهذه الصيغة عندما إنحاز قادة الاحزاب الاشتراكية والعمالية الاوروبية إلى جانب حكوماتهم أثناء الحرب العالمية الاولى، وتصويتهم في البرلمان لصالح مزيد من رصد الاعتمادات العسكرية ودعم المجهود الحربي ودعوتهم إلى الشعب بكل طبقاته للدفاع عن الوطن قبل الدفاع عن مصالح طبقة واحدة.(2)

وبذلك يكونوا قد تخلوا عن واجبهم الأممي في الوقوف إلى جانب الشعوب التي سحقتها، وانحازوا إلى جانب الامبرياليين في حربهم الظالمة من أجل اقتسام مناطق النفوذ في العالم.

---

(1) ـ انظر قاموس العربي ـ مجلة العربي ـ العدد 316 ـ مارس 1985.

(2) ـ الماركسية ـ لينين ـ ماركس ـ انجلز ـ دار التقدم ص 619.

«الشعوبية»

الشعوبية تعـني في مفهومهـا القديـم الحركـة أو الحركـات المعاديـة للعـرب كأمـة ووطن وحضارة. ويعود تاريخ الشعوبية إلى بداية تاريخ قيام الدولة العربية ـ الاسـلامية. «لقد ظهرت العصبية القبلية في الدولة العربية ـ الاسلامية إبـان حكـم الأمويـين. فقـد كان ينظر إلى الدولة الأموية في بدء نشأتها على أنهـا دولـة قبليـة استبدت علـى قبـائل أخرى. فقد كانت المعارضة في أول الأمر داخل التحالف العربي لا خارج العـرب.[1] فوجدت ضالتها في الموالي «المعارضة الصامتة» الذين كانوا على هامش الدائرة العربيـة، وجدت متنفساً بل مجالاً للحركة. من هنا أخذت تتبلور فكرة الدولة الاسلامية ـ فكـرة تريد من الدولة أن تكون دولة جميـع المسلمين، لا دولـة العـرب وحدهـم، فبـالأحرى جماعة منهم. ولمـا كـان غير العـرب يشكلون الاكثريـة في المجتمع الاسـلامي الجديـد وينتمون إلى شعوب مختلفة في مقدمتهم الفرس، ثم ضمت فيما بعد العنصر التركي، ثم شملت الأقوام والعناصر غير العربية، لذا اتخذت لمعارضـة شـكل «شـعوبية» أي حركـة شعوب إسلامية غير عربية تطالب بالمسـاواة. وقـد يطلـق عليهـم أول الأمـر إسـم أهـل «التسوية» أي المطالبون بالمسـاواة. وقـد ركبـت الشـيعة هـذه الحركـة أو علـى الأقـل استغلت هذه الحركة براية التشيع وتحولت إلى حركة سياسية دينية تزداد اتساعاً وتجذراً وتأسيس الدولة العباسية، الشيء الـذي مكنهـا مـن القيـام بـالدور الحاسـم في الاطاحـة

---

[1] ـ في الشعوبية ـ اسماعيل العربي ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ص22.

بالدولة الأموية. وبما أن الدولة الجديدة قد تسلم القيادة فيها العنصر العربي مرة أخرى...

وبما أن المعارضة العسكرية قد استنفذت قواها حين قامت الثورة على الأمويين ثم صفي ما تبقى منها في أوائل الدولة العباسية، فإن الحركة الشعوبية ستكتسي شكل صراع ثقافي يحاول اخفاء مضمونه السياسي والطبقي في نفس القوالب التي صب فيها مضمون الصراع الذي نشب داخل العنصر العربي عند قيام الدولة الأموية. وهكذا فبدلاً من الكلام، في قضايا الآخر وتوظيفها في السباق نحو المستقبل، اتجهت الحركة الشعوبية إلى مهاجمة الماضي العربي والطعن فيه كفكرة وثقافة وحضارة. وكان من الطبيعي أن يكون رد الفعل العربي هو الدفاع : الدفاع عن الماضي العربي، وعن العصر الجاهلي بالذات، أصبح يكتسي شكل الدفاع عن الهوية القومية لا بل الدفاع عن الوجود وأسباب الوجود. لقد أدرك الخلفاء العباسيون هذه الحقيقة وعملوا بوحيها - إن البناء الثقافي الشامل الذي أصبح يطرح نفسه كضرورة تاريخية.[1]

* * *

«النازية»

أصل الكلمة مشتق من اختصار لصيغة الوطنية الاشتراكية التي كان يمثلها «حزب العمال الاشتراكي الوطني» والنازية حركة اجتماعية قومية متعصبة. ولدت النازية نتيجة ظروف أهمها هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 - وشروط

---

(1) ـ انظر ـ تكوين العقل العربي / د محمد عابد الجابري ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ص 59 ـ 60.

الصلح القاسية التي فرضها الحلفاء، ففي مؤتمر فرساي الذي عقد في فرنسا في عام 1919 فرض الحلفاء على ألمانيا دفع تعويضات تناهز /120/ مليار من الماركات الذهبية، والنفقات اللازمة للشروع بعمل انتاجي يعيد الحياة إلى الاقتصاد المدمر، وحتى رواتب ضحايا الحرب حملها الحلفاء لألمانيا. وبعد عام 1919 بدأت الأزمة الاقتصادية في ألمانيا تشتد، وبمرافقة هذه الازمة نشط أعضاء حزب العمال الالماني وقدم برنامجاً تضمن عشرات النقاط عام 1920 في وقت لاحق عاد هتلر وشرح نقاطه في كتابه «كفاحي» الذي كتبه وهو في السجن «1923 ـ 1924» وأهم هذه الأفكار تفوق الجنس الآري ونقاوة العرق الالماني «ألمانيا فوق الجميع» والغاء معاهدة فرساي ـ واعادة تقسيم المستعمرات عن طريق الحرب..الخ فالنازية حركة سياسية قومية عنصرية أرست أسسها الفكرية على أرضية انتقائية من النظريات والفلسفات وبعض الافكار الأخرى ـ فقد أخذت النازية فكرة التفوق من جو بنيو التي كتبها ـ 1853 ـ 1855 ـ في مؤلفه «مقال حول عدم تساوي الاجناس البشرية» وفكرة منطق العنف والسوبرمان من أفكار «نيتشه» وتمجيد الدولة والحرب والقوة هي ابنة أفكار هيجل. فالفكرة المحورية في النازية «هي نقاوة الجنس الآري وتفوقه» وهي فكرة عصبية ليس لها اي سند علمي. وتألق نجم النازية بعد أن وظف حزب العمال الالماني بذكاء الازمة الاقتصادية التي تعصف بالبلاد، واستقطب إلى جانبه جماهير الطبقة المتوسطة وبوصول هتلر إلى الحكم بدأت الافكار النازية تأخذ طريقها إلى واقع العمل والتطبيق، وبهزيمة المانيا في الحرب العالمية الثانية «1939 ـ 1945» سحق النظام النازي الذي حاول أن يخضع العالم ويحتله.

«الفاشية»

من الكلمة الايطاليـة «fascio الـتي تعـني الجمـع أو الحزمـة» ديكتاتوريـة ارهابيـة دموية لاكثر فصائل الطبقات الاسـتغلالية رجعيـة وشـوفونية وعدوانيـة ولدتهـا الأزمـة العامة للرأسمالية. وتتكون ايديولوجيـة الفاشية مـن مزيـج مـن الأفكـار الأكـثر رجعيـة المقتبسة من الحركات المحافظة في الماضي. ومن المميز لهذه الايديولوجية العداء المتطـرف للشيوعية، والتنكر للانسانية، والمنافحة عن الضبط الشامل للحياة الاجتماعيـة ووصايـة الدولة. وتتميز ايديولوجيـا الفاشية بوصفهـا الأكثر تطرفـاً لايديولوجيـا العرقيـة. لقـد نشأت الفاشية في العشرينات مـن القـرن العشرين كـرد فعـل علـى الازمـة الاقتصاديـة والسياسية العالمية، التي كانت ثورة اكتوبـر الروسية 1917 كـأهم نتائجهـا. وهـي عـدو شرس وخطر على البشرية التقدمية بأجمعها. تشـكل الدعامـة الاجتماعيـة للفاشـية مـن البرجوازية الصغيرة في المدن والريف التي تتقـوض للفاشـية وجودهـا المـادي مـن جـراء تطور الرأسمالية، وكذلك فئات المجتمع المنفصلة عن طبقاتها.(1)

* * *

(1) ـ للتوسع انظر ـ قاموس الشيوعية العلمية ـ دار التقدم ـ ص 328 ـ 329. ـ

«نظام الأبارتيد»

يعني سياسة الفصل العنصري التي كانت تنتهجها حكومة الأقلية البيضاء في بريتوريا في جنوب أفريقيا ضد المواطنين الأصليين الأفارقة «قبل أن يصبح نيلسون مانديلا ابن البلد الأصلي رئيساً لجمهورية جنوب أفريقيا في التسعينات». ويختلف الفصل العنصري أو «الأريارتيد» عن التمييز العنصري في أن الابارتيد يتسم بالمنهجية الوحشية واقتراف أعمال غير انسانية، يكون الهدف منها اقامة وتسلط فئة عنصرية من البشر على فئة عنصرية أخرى واضطهادها. ومظاهر الفصل العنصري عديدة منها ما يتعلق بالملكية الزراعية، والتعليم والاجور، والمرتبات والحوافز اللونية، وتصاريح المرور، وشهادات التسجيل.

ويقوم الفصل العنصري الأبارتيد في جنوب افريقيا على ثلاثة أركان قانونية:

الأول: قانون الأرض الذي يعطي 87٪ من أجود الأراضي وأخصبها للبيض.

الثاني: قانون العزل الاقليمي الذي يوزع السكان البيض في مناطق معزولة عن المناطق المخصصة للملونين.

الثالث: قانون التسجيل الذي يلزم كل مواطن بتحديد العرق الذي ينتمي إليه، أما ما إذا كان أبيض أم ملوناً.

وقد صدرت عن الأمم المتحدة عدة اعلانات ومواثيق للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري. منها في 20 نوفمبر سنة1963،ثم في 21ديسمبرستة 1965 ثم سنة 1967.

غير أن نظرة القانون الدولي «للأبارتيد» أو الفصل العنصري تختلف عن نظرته

للتمييز لكل أشكاله. فقد توصلت الأمم المتحدة إلى صياغة نظرة المجتمع الانساني للفصل العنصري في الاتفاقية الدولية لقمع الفصل العنصري والمعاقبة عليها باعتبارها جريمة ضد الانسانية، والتي اعتمدتها الجمعية العامة في 30 نوفمبر 1973، ودخلت حيز التنفيذ في 18 تموز 1976 بانضمام 20 دولة إليها. وتعلن هذه الاتفاقية تجريم المنظمات والمؤسسات والأشخاص الذين يرتكبون جريمة الفصل العنصري.*

* * *

«العنصرية»

نظرية وايديولوجيا رجعيتين موغلة في القدم. نشأت منذ نشوء الملكية الخاصة، حين أصبحت فئة قليلة العدد تسيطر على سائر أدوات الانتاج ووسائله. فهي تحاول تبرير الظلم الاجتماعي، وطمس التعصب القومي وتصوير العسف الاجتماعي والانقسام الطبقي على أنه انقسام طبيعي أفرزته عوامل ذات طابع بيولوجي «عرقية ودموية» لذا فان الناس منقسمون إلى عروق ـ راقية ـ ذكية ـ ماهرة ـ متقدمة، وعروق بدائية ـ منحطة ـ غبية ـ متأخرة.

وكذلك العنصرية بمعنى آخر، هي تعبير عن طبيعة العلاقات اللاانسانية للرأسمالية والامبريالية، إذ هي تبرير فاسد للايديولوجيا من أجل السيطرة على القبائل والشعوب المغلوبة، وهي نتيجة من نتائج نظام الرق انتشرت في العصر الحديث نتيجة للفتوحات الاستعمارية والاستيطانية. العنصرية منافية للعلم في كل مظاهرها. أثبت علم الانتربولوجيا الحديث أن جميع الاجناس البشرية هي عبارة عن فئات من نوع بشري

---

* ـ للتوسع انظر مقال ـ حكومة جنوب افريقيا ـ د/ ساد الشرقاوي ـ مجلة العربي ـ العدد 370 ـ أيلول 1989.

واحد هو الانسان، وهذا الاستنتاج لا يتعارض لا مع الفرضية الأحادية ولا مع الفرضية التعددية الأصل. من الانظمة العنصرية في العالم دولة الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا، و«دولة اسرائيل» في فلسطين العربية.

***

«الصهيونية»

الصهيونية هي الحركة القومية الجديدة لاعادة اليهود من «الشتات» واسكانهم في فلسطين الأرض التاريخية للعرب. وتعتبر الصهيونية أحد نتاجات العنصرية والرجعية الاستعمارية الأوروبية التي انبثقت عن المجتمع الرأسمالي الاوروبي، بعد انكفاء ثوراته البرجوازية الديمقراطية في نهاية القرن «19م» ومطلع القرن العشرين، كما أن الصهيونية تعتبر أحد نتائج واقع المجتمعات اليهودية المغلقة والمتعصبة التي تأبى التمازج أو الانصهار مع بقية المجتمعات التي تعيش في ظهرانيها. تستند الصهيونية على مقولة التفوق العرقي «إن جنساً ما متفوقاً بشكل طبيعي على غيره من الاجناس وبالتالي يجب على الجنس المتفوق أن يسيطر على العالم». وبهذا تكون الصهيونية ايديولوجياً عنصرية، شديدة الارتباط باللاسامية والنازية والفاشية، لقد تحدد تطور الايديولوجيا الصهيونية، بعد الحرب العالمية الاولى، وخاصة بعد سحق ألمانيا الهتلرية وحلفائها، بالتغييرات الاجتماعية والسياسية المتصلة بالقوانين العامة لتطور الامبريالية في القرن العشرين، وبالأزمة الشاملة للرأسمالية فأصبح الفريق الأكثر جشعاً والأوسع ثراء من البرجوازية اليهودية. ويعتبر تيودور هرتزل المولود في القرن «19م» مؤسساً فعلياً للحركة الصهيونية التي جسدت أهدافها عملياً بإقامة دولة «اسرائيل» في فلسطين العربية.

«الغيتو»

يعتبر «الغيتو أو الجيتو» أحد أشهر الأشكال الانعزالية اليهودية في العالم، بحيث أصبح يطلق على سبيل التعميم على كل شكل من أشكال الحياة اليهودية الانعزالية وسط الشعوب التي عاشوا بينها. والغيتو عبارة عن حارة أو حي أو عدد من الأحياء المخصصة لاقامة اليهود.(1) أما بالنسبة لأصل كلمة «غيتو» فانه محاط بكثير من الشكوك. ومن المحتمل أن تكون الكلمة قد استخدمت للمرة الأولى لوصف حي من أحياء البندقية والذي يقع بالقرب من مصهر للمعادن يسمى «جيتو» كان محاطاً بأسوار وبوابات عام 1516 وخصص كمكان لاقامة الطائفة اليهودية. وهناك من وجدوا أصلاً للتسمية في العبرية من الفعل «جت» بمعنى الانفصال أو الطلاق» وفي البديشية وفي اللاتينية وفي اليونانية، وفي الجوتيه. ولكن ليس هناك شك أن مصدرها هو كلمة «الجيتونوفو» معمل سبك المعادن، وهو مكان الحي اليهودي المنعزل الأول في البندقية عام 1516. وحسماً للشكوك اصطلح على أن التسمية تستخدم لا لتعبير عن الجيتوهات الاجبارية فقط، وإنما عن المجتمع الانعزالي الاختياري لليهود. وتعبر الكلمة كذلك عن الشكل المتشابه للجيتوهات الأخرى مثل أحياء المهاجرين وأحياء الزنوج في الولايات المتحدة الامريكية، واحياء الوطنيين في جنوب أفريقيا.(2)

---

(1) ـ الموسوعة اليهودية «جودايكا» المجلد السابع ـ ص 542.

(2) ـ نفس المصدر السابق ـ ص 562.

«المعراخ أو التجمع»

المعراخ كلمة عبرية معناها «التجمع» وهو تجمع سياسي يتألف من اتحاد حزبين كبيرين - حزب العمل الموحد «مابام» وحزب العمال «ماباي» فضلاً عن بعض الاحزاب «المعتدلة» كالجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة. وهو يمثل «اليسار» في الحياة السياسية في إسرائيل. باستثناء اجتياح لبنان وغزو عام 1982 الذي تم في حكم «الليكود» فان الحروب الاسرائيلية - العربية واحتلالات الارض العربية تمت بقيادة حزب العمل الذي يتزعمه اشكول - غدلدا مائير - فقد ساهموا بالعدوان الثلاثي على مصر إلى جانب انكلترا وفرنسا عام 1956. وبقيادة حزب العمل شنت اسرائيل حرب عام 1967 على مصر وسوريا والاردن واحتلت غزة وسيناء من مصر والجولان من سوريا والضفة الغربية والقدس الشرقية من الاردن.

وبقيادة نفس الحزب خاضت اسرائيل حرب 1973. وهذا التجمع بقيادة حزب العمل يعادي الأمة العربية ويرفض الاعتراف بحقوق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم واقامة دولتهم المستقلة، كما أنه يطمح إلى التوسع خارج فلسطين واقامة دولة اسرائيل الكبرى، وليست دعوته إلى السلام تنطوي على جدية بل تنطوي على ديناميكية وتاكتيك مرنين بقصد كسب الوقت لتهويد الاراضي وبالتالي ابتلاعها بفعل ميزان القوى والحقائق القائمة على الارض بفعل الزمن. تتلخص أفكار قادة حزب العمل - اسحق رابين - وشمعون بيريز وغيرهم بالحاق المسألة الفلسطينية ومصير الاراضي الفلسطينية بالطرف الاردني والتخلص من عبء السكان الفلسطينيين في الاراضي المحتلة مع الاحتفاظ بالسيطرة الاسرائيلية الامنية ولاستراتيجية عليها..

والارض مقابل السلام معناها استعادة أجزاء من الاراضي المحتلة للسيادة الاردنية من الناحية العملية. وفي هذا الاطار طرح ما يسمى بالخيار الاردني، الذي يعني اقامة دولة الفلسطينيين في شرق الاردن، أو دمج السكان الفلسطينيين في حكم ذاتي مع النظام الاردني.

لأن الملك حسين قادر على لجم الفلسطينيين من جهة، ولكي لا تتشوه صورة اسرائيل «الديمقراطية» أمام العالم من جهة أخرى.

* * *

«الليكود أو التكتل»

«الليكود» كلمة عبرية تعني «التكتل» يتألف جسمه السياسي من ثلاثة أحزاب رئيسية - حيروت - الاحرار - حركة لاعام.

اضافة إلى بعض الاحزاب الدينية الصغيرة. والليكود في تضاريس الخارطة السياسية يمثل اليمين في اسرائيل. هذا التكتل يرى أن فلسطين يجب أن تكون لليهود فقط ويزعم أن العرب شوائب على الجسم الاسرائيلي لا بد التخلص منهم وأفضل طريقة إما إبادتهم أو طردهم، وأن دولة اسرائيل الراهنة ليست أكثر من قاعدة للوثوب إلى تشكيل الدولة الكبرى الممتدة من الفرات إلى النيل، وان اسرائيل دولة غير معتدية واحتلالها لاراضي العرب لا يعد احتلالاً أو غزواً، وإنما هو تحرير لأرض اسرائيلية توراتية التي فقدوها منذ قرون. وكل مشاريع الحلول السلمية التي طرحها ويطرحها الليكود بقيادة مناحيم بيغن سابقاً واسحق شامير ونتياهو لاحقاً ومن سيأتي بعدهم في المستقبل ليست مشاريع وإنما عقبات في وجه أي حل يمكن أن يستفيد منه الفلسطينيون. فالليكود كما هو المعراخ لا يعترف بشعب فلسطين ولا يعترف بأرض

عربية في فلسطين ولا باقامة دولة فلسطينية ولا بقرارات الأمم المتحدة. إن مشاريع الحلول السلمية التي تطرح ليست أكثر من أوهام غرضها تعفين الوضع العربي ومواصلة تفتيته وتعمق الانقسامات بين من يرفض وبين من يقبل من الرسميين العرب. ليس هناك خلافات مبدئية بين الليكود والمعراخ، بل هناك تباين في الاجتهادات والطرق الناجعة لقيام دولة اسرائيل الكبرى وتنقيتها من العنصر العربي. فالليكود يرى إبادة العرب أفضل الطرق المؤدية للغرض واقصرها بينما المعراخ اكثر مرونة، يرى أن الطرد والتهجير والارهاب والترغيب واحياناً الابادة أنجع ولا يشوه صورة اسرائيل «الديمقراطية» أمام العالم. تحت راية الليكود ينضوي معظم المتدينين اليهود من الشرق والغرب وكل المثقفين وذوي الهوى العنصري للعرب. اليسار واليمين في اسرائيل متفقان على أن بقاء اسرائيل مرتبط باستمرارها قوية متفوقة على مجموع الأنظمة العربية وان ابقاء العرب ضعفاء منقسمين إلى طوائف وعشائر هو عامل حاسم في قوة اسرائيل. كما أن هذه القوة هي الضمانة للحفاظ على مصالح الدول الامبريالية الذي يشكل سيل مساعداتها أحد عوامل بقاء اسرائيل.

* * *

«الكيبوتزات»

هي أحد أساليب التنشئة الاجتماعية في اسرائيل. والمقصود تجمعات من الاطفال الصغار يعيشون معاً تحت اشراف مجموعة من المربين في مناطق محددة شبه معزولة عن المجتمع. فهي بمثابة نظام تربوي تقوم به اسرائيل لتربية الاطفال الصغار على أسس الفكر الصهيوني. فأبناء الكيبوتزات هم النماذج والمثل التي تقدمها الصهيونية لابناء اسرائيل

لكي يقتدوا بهم. يطلق على هؤلاء الاطفال جيل «الصابرا» إن هذا الجيل بالتحديد هو الذي تبذل الصهيونية كل جهدها لكي يصبح النموذج الذي تلتف حوله الشخصية الاسرائيلية الجديدة. وهي فضلاً عن ذلك جزء من الجيل الذي تعده اسرائيل لاستيعاب الفكر الصهيوني من أجل مواجهتنا استراتيجياً بحكم السن على الأقل.

وتبين الدراسات السيكولوجية وأهمها الدراسة التي أجراها «سيبرو» أهم الخصائص لجيل الكيبوتزات كما يلي:

العدوان ـ كراهية الغرباء ـ الانطوائية ـ البرود الانفعالي ـ الحقد ـ مشاعر الدونية.

* * *

«الاشكنازيم»

الاشكنازيم كلمة تعني اليهود الغربيين، وهم من أصل أوروبي ويقابلهم «السفارديم» أو اليهود الشرقيون، وهم يهود قدموا من اسبانيا وشمال افريقيا وبلدان آسيا وافريقيا الاخرى، وكذلك البلقان والاناضول. والاشكنازيم يشكلون في الوقت الراهن أكثرية بين يهود العالم. وفي فلسطين شكل الاشكنازيم نحو 80٪ من المستوطنين في عقد الاربعينات ولكنهم لا يزيدون في الوقت الحاضر عن 30/35٪ أما اليهود السفارديم «الشرقيون» يشكلون حالياً في فلسطين 60 ــ 65٪ الاشكنازيم المستوطنون في فلسطين يعتبرون انفسهم من الدرجة الأولى ويتسنمون أعلى مراتب الحكم على الصعد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية.

أما اليهود السفارديم فيعتبرون في فلسطين من الدرجة الثانية ولا تناط بهم إلا

الاعمال التي يأنف اليهود الغربيون الاسفاف إلى ممارستها.

اليهود الغربيون والشرقيون يقفون موقفاً موحداً عنصرياً من المواطنين العرب أصحاب البلاد الاصليين ويعتبرونهم رعايا من الدرجة الثالثة.

* * *

«اللاسامية»

هي الكلمة التي ينعت بها اليهود كل شعوب العالم أو أي دولة لا تقف مع المشاريع والمخططات الصهيونية وسواء في اعتبار اليهود أمة أو عدم تأييدهم في اقامة دولة، بل امبراطورية يهودية. فضلاً عن أي محاولة تهدف إلى اعتبار اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، مواطنين حيث ان الصهيونية تعتبر اليهودي خارج فلسطين لا يعيش فـ وطنه بل يعيش في «الشتات»!!

يقول المؤرخ البرطياني ارنولد توينبي «غن الصهيونية ومعاداة السامية ليسا سوى تعبير واحد عن فكرة واحدة، وكلتا الايديولوجيتين تؤكد أن من المستحيل توحيد اليهود وغير اليهود في مجتمع واحد ولذا فان التقسيم الطبيعي هو الحل الوحيد».

«ثورة الشعب الفلسطيني عام 1936»

لقد كان استشهاد عز الدين القسام في 19 تشرين الثاني 1935 في غابة يعبد بمنطقة جنين وقعاً عظيمـاً في نفـوس المواطنين العـرب فـزاد لهيـب الثـورة الـتي بـدأت بـإعلان الاضراب العام في جميع أنحاء فلطين والـذي استمر اكثر مـن ستة أشـهر وهـو أطـول اضـراب في التـاريخ ثـم مـالبث ان تشـكلت اللجنـة العربيـة العليـا مـن رؤسـاء جميـع الاحزاب الفلسطينية برئاسة المفتي أمين الحسيني وذلك لقيـادة الثـورة، وطـالبت اللجنـة العربية العليا الحكومة البرطانية بمنع الهجرة ومنـع انتقـال الأراضـي إلى اليهـود وبانشـاء حكومة وطنية، إلا أن بريطانيا رفضت ذلك فاندلعت الثورة المسلحة وشارك فيها ثـوار من بلدان عربية أخرى.... وردت بريطانيا بعنف على هـذه الثـورة مسـتخدمة قوتهـا العسكرية الضاربة، إلا أن هذا العمـل زاد مـن نقمـة الجماهـير. وكـان موقـع بريطانيـا حرجاً جداً، فلا القوة أنهت المشكلة ولا الوعـود زحزحـت الثـوار عـن مطـالبهم لهـذا عملت على توسيط الملك عبد الله، ملـك الاردن، لحـل الخـلاف بـين العـرب وبينهـا، ولكن لسوء سمعة عبد الله ومواقفه من قادة الثورة، رفضت وساطته، فلـم تـر بريطانيـا بداً من توسيط عبد العزيز بن سعود، ذو السمعة الاسلامية الحسنة... لدى الثـوار أمـلاً في ايجاد حل مناسب، حينما اشتدت الثورة في فلسـطين، اتصلـت الحكومـة البريطانيـة بابن سعود عبر وزيره المفوض في لندن، الذي نقل إليه رغبة بريطانيـا في توسـيطه لحـل القضيبة الفلسطينية، حنها راى عبد العزيز كمايقول الزركلي - أن يقوم بمساع مشتركة مع الحكومات العريقة، لتفريج الأزمة عن بريطانيا الصديقة للعرب جميعاً!! وبعـد ثلاثـة

عشر يوماً من الاتصالات، مع ملوك العرب المتبرطنين، بعث عبد العزيز السعود ببرقية سميت نداء، عبر اللجنة العربية وباسم الملوك العرب (ملك العربية السعودية، وملك العراق وامام اليمن وامير الاردن عبد الله» إلى اهالي فلسطين، يطالبونهم فيها بوقف الاضطرابات حقناً للدماء معتمدين على رغبة الحكومة البريطانية في التعاون على تحقيق العدل!! وكان نداء قد صدر بتاريخ 11 تشرين 1936 وهذا نصه. «إلى أبنائنا عرب فلسطين، لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد إلى السكينة وايقاف الاضراب حقناً لدماء، معتمدين على الله، وحسن نوايا صديقتنا بريطانيا، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم...!!

وكان الغرض من هذا النداء هو كسر الاضراب واجهاض الثورة بذريعة حقن الدماء وفعلاً توقف الاضراب واجهضت الثورة واتجه الثوار الى طريق السلم والمهادنات والمفاوضات، وهكذا قضت الرجعية العربية على ثورة الفلسطينيين عام (1936) خدمة للمصلحة الرجعية والبريطانية المشتركتين.(1)

* * *

(1) ـ انظر تاريخ فلسطين الحديث ـ / د عبد الوهاب كيالي ـ ص 295 ـ

ـ شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز / ص 1074

ـ خطر اليهودية العالمية ـ عبد الله التل ـ رص 270.

ـ بريطانيا وابن سعود ـ محمد علي سعيد ـ منظمة الاعلام الاسلامي / ص 88 ـ 95

«يوم الأرض»

مع استمرار حملات المصادرة والتهويد للأراضي الفلسطينية منذ عام 1948، خاصة في منطقة الجليل والمثلث، وبناء المدن واحياء الاستيطان، إلا أن ذلك لم يؤد إلى تغيير جاسم في التوازن الديمغرافي بين اصحاب البلاد اللاصليين وبين الوافدين الغزاة المستوطنين حيث استمر المواطنون الفلسطينيون يشكلون 70٪ مما يعني ان حملة تهويد الجليل قد فشلت، ولهذا فقد عمدت سلطات الاحتلال الصهيوني الى وضع مشروع جديد لتسريع عملية التهويد تحت شعار «تطوير الجليل». وعن أهداف هذا المشروع. ذكرت النشرة الشهرية لوزارة الزراعة الاسرائيلية، في شهر تشرين الثاني عام 1975: «ثمة مشكلة خاصة في الجليل هي أقلية المستوطنين بالنسبة للاقليات (إلا غير اليهودية) فالسكان اليهود لا يتجاوزون 30٪ من مجموع السكان في تلك المنطقة... وان من بين اهداف المشروع الرئيسية تغيير النسبة بين السكان اليهود وغير اليهود وتحويل الجليل الى منطقة ذات اكثرية يهودية...» وصرح حاييم بارليف في المجلس العام للتوطنين في الجليل المنعقد في 1976/3/3 قائلاً: «إن المهمة الراهنة الاساسية هي شعار «لتصبح الجليل يهودية ويهودية صرفاً». وعلى اثر تلمس الاوساط الفلسطينية في الجليل خطورة المشروع عقد اجتماع في حيفا يوم 29/ 7/ 1975 حضره رؤساء المجالس المحلية العربية وشخصيات فلسطينية وتقرر في هذا الاجتماع تشكيل «لجنة الدفاع عن الأرض» وبدورها دعت الى عقد اجتماع في الناصرة يوم 1975/8/15 حيث تقررت في هذا الاجتماع الدعوى لعقد مؤتمر شعبي للمطالبة بوقف مصادرة الاراضي وشارك فيه

عشرت الالوف من الفلسطينيين، وتقر في هذا المؤتمر اعلان الاضراب العام والتظاهر أمام الكنيست إذا لم تتراجع سلطات الاحتلال عن مخططات التهويد والصادرة، لكن سلطات الاحتلال لم تأبه بكل التهديدات لذلك وضعت الترتيبات الفعلية لاعلان الاضراب العام في 30 آذار 1976، في المقابل حشدت سلطات الاحتلال من شرطتها وجنودها لافشال الاضراب، وفي 30 آذار كانت الهبة الجماهيرية التي عمت قرى الجليل ومدنه والمثلث والنقب وشاركت فيه المدن والمخيمات في الضفة الغربية وقطاع غزة وجرت اشتباكات في كل انحاء فلسطين سقط على أثرها العديد من الشهداء. وتحول هذااليوم إلى وقفة نوعية في سياق النضال الجماهيري ضد سياسة القضم والتهويد والاستيطان.

* * *

« مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين»

إن مشروع الحكم الذاتي للفلسطينيين الذي يطرحه اسحق رابين زعيم حزب العمل «اليساري» ورئيس وزارء اسرائيل وينفذه ياسر عرفات اليوم وفق اتفاق اسولو، هو نفه تقريباً مشروع الحكم الذاتي الذي طرحه مناحيم بيغن زعيم تكتل الليكود اليميني ورئيس وزراء اسرائيل السابق عام 1977، فيخطابه الذي ألقاه في الكنيست في 28/ 2/ 1977 قال مناحيم بيغن، إنه مع تحقيق السلام، سنقترح تشكيل حكم ذاتي إداري لسكان يهودا والسامرة وقطاع غزة العرب، على أساس المبادىء التالية، ويتألف المشروع من 26 بنداً معظمها شكلية وقسم منها يتعلق بالادارة المدنية، وسنكتفي بعرض أهم واخطر ما في مشروع بيغن.

البند 2 ـ يقام في يهودا والسامرة وقطاع غزة حكم ذاتي إداري للسكان العرب في تلك المناطق، بواسطة المقمين فيها ومن أجلهم.

البند 6 ـ يتم انتخاب المجلس الاداري في انتخابات المجلس الاداري في انتخابات عامة ومباشرة، وشخصية، ومتساوية وسرية.

البند 10 ـ يتولى المجلس الاداري تصريف أعمال الدوائر التالية: دائرة التعليم ـ دائرة الشؤون الدينية ـ الدائرة المالية ـ دائرة المواصلات دائرة البناء والاسكان ـ دائرة الصناعة والتجارة والسياحة ـ دائرة الزراعة ـ دائرة اصحة ـ دائرة العمل والانعاش ـ دائرة اعادة تأهيل اللاجئين ـ دائرة الادارة القضائية والاشراف على قوة شرطة محلية، ويصدر المجلس الاداري الانظمة المتعلقة بعمل هذه الدوائر.

البند 11 ـ يعهد بشؤون الأمن والنظام العام في مناطق يهود والسامرة وقطاع غزة إلى السلطات الاسرائيلية..

البند 14 ـ يمنح سكان «يهودا والسامرة وقطاع غزة» بغض النظر عن جنسياتهم وسواء كانوا بجنسين أم لا حق الاختيار الحر للحصول على الجنسية الاسرائيلية أو الجنسية الاردنية.

البند 24 ـ تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة وادراكاً منها لوجود مطالب أخرى فإنها تقترح من أجل الاتفاق والسلام ـ ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة،، وفي نهاية تقديم يبغن لمشروعه الخاص بالادارة الذاتية، قام بشرح بعض البنود المقترحة، قال : يبغن علي أن أوضح البند (11) وكذلك البند (24) من هذاللشروع.. واضاف في البند (11) من مشروعنا حددنا بالقول، ولا يمكننا ان نتصور على الاطلاق فيما لو اقترح علينا سحب قوات جيشنا من يهودا والسامرة وقطاع غزة السماح لمنظمة «القتلة» المسماة م ـ ت ـ ف ـ ...

واضاف لذا فإنه من المعروف ان من يريد الاتفاق معنا عليه أن يكلف نفسه القبول باعلاننا ان جيش الدفاع الاسرائيلي سيبقى مرابطاً في يهودا والسامرة وقطاع غزة... الخ إن بيغن يؤكد في المادة (11) أن «يهودا والسامرة» هي أرض اسرائيل قال بيغن في البند «4» جزمنا بالقول ـ تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة، ولعلمها بوجود مطالب أخرى في فهي تقترح من أجل الاتفاق والسلام ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة، واضاف : لقد قلت هذه الامور على مسمع من رئيس الولايات المتحدة كارتر، وعلى مسمع من الرئيس المصري أنور السادات لنا حق المطالبة بالسيادة على هذه المناطق من أرض اسرائيل.. وهي بالحق ملك للشعب اليهودي..

أما البند العاشر الذي نص على تصريف أعمال دوائر كل من التعليم والشؤون الدينية والمالية والمواصلات..الخ إن هذا المجلس الاداري ليس له أي حق في التعاطي بكل ما يمت للحكم والسيادة وتقرير المصير واقامة دولة بصلة، أو أن يكون لذاك الحكم أية صلات أو علاقات خارجية دبلوماسية أو اقتصادية أو ثقافية، وانما فقط اشرافه على قوة شرطة محلية تكون مسؤولة عن تنظيم حركة المرور، وتنفيذ الاستراتيجية العسكرية الصهيونية بأدوات محلية عربية، وإذا ما عجزت الشرطة المحلية فان الجيش الاسرائيلي جاهز لحسم ذلك... أما البند(14) الذي يخير الفلسطيين، ومحاولة اسرائيلية لالغاء الشخصية الفلسطينة وتذويبها والقضاء على هويتها واستقلالها.

إذن فالحكم الذاتي الاداري هو خطوة أولية على طريق القضاء على الشعب الفلسطيني وتجاهله وعلى طريق ابتلاع الاراضي المحتلة وتهويدها والحاقها كلياً بشكل قانوني إلى الكيان الاسرائيلي عبر اجراءات عديدة ومعقدة منها السياسي والاقتصادي والعسكري، ومنها الديمقراطي.

إن ما تراه اسرائيل من أهدافها صعب التحقيق من خلال العمل العسكري المباشر، تسعى إلى تمريره بواسطة المشاريع ـ التسوية ـ السلموية(1)

* * *

«حلفاء اسرائيل»

كمشة من البشر تجمع من شتى أصقاع المعمورة، تؤسس دولة وتطلق عليها إسرائيل. هذه الدولة تفتقر معظم عناصر القومية من لغة وتاريخ وأرض وحياة مشتركة، تحتل فلسطين وتطرد شعبها الأصلي وتقتل وتشرد يومياً ما تبقى منه، وتهزم العرب وجيوشهم وبترولهم وأمجادهم الحضارية التي يتغنون بها على الطالع والنازل، بل تحتل أراضيهم وتعلن عزمها على اقامة اسرائيل الكبرى. يا للعار، لو كانت امريكا أو بريطانيا أو فرنسا هي التي هزمتنا لهان الأمر، لأن هذه الدول تمتلك ذاتياً شروط القوة والتقدم والاستقرار والاستمرار سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً ـــ الخ أما «اسرائيل» فما زالت تستعير معظم مقومات وجودها من الدول الامبريالية بزعامة أمريكا. إن أهم حلفاء اسرائيل الذي يوفرون لها القوة والغلبة يمكن اختصارهم بثلاثة:

1 ـ التخلف العربي المتمثل بالتجزئة وترسيخ الدولة القطرية، وغياب الموقف القومي الموحد ضد العدو، ومعاداة النظام السياسي العربي الرسمي للشعب والانقسامات العدائية والحروب العربية ـــ العربية ـــ وتغليب الخلافات الثانوية على الصراع الرئيسي الوجودي بين الأمة واعدائها.

---

(1) ـ للتوسع في هذا الموضوع انظر «كامب ديفيد أعلى مراحل التآمر على الشعب الفلسطيني ـ قسم الدراسات الفلسطينية 1980 / ص 170 ـ 190»

2 - اللاعقلانية العربية في العمل والممارسات التي تستبدل الواقع بالوهم. فأمريكا تختصر سياستها في المنطقة بالتالي:

اسرائيل حليفتها المتميزة التي يجب أن تبقى متفوقة على كل العرب. والذي يريد من العرب العطف الامريكي عليه أن يقبل باسرائيل وبكل مخططاتها، وأن العرب ما يزالون مادة للتاريخ ورقماً وبلادهم منطقة تحتضن ثروات هائلة في مقدمتها النفط، اضافة إلى موقعها الاستراتيجي المتميز. لذا فان أمريكا تنحاز إلى اسرائيل علناً وتمدها بشروط البقاء ابتداءمن الخبز وحتى آخر صيحة في التقنية العسكرية. ومع ذلك هناك الكثير من العرب الذين تحركهم مصالحهم الضيقة عجزهم المتفاقم فيصورون أمريكا صديقاً للعرب وأنها يمكن أن تضغط على اسرائيل من أجل ان تشملهم بعطفها.

3 - المساعدات والهبات اللامحدودة التي تتلقاها «اسرائيل» من الحركة الصهيونية العالمية والدول الامبريالية بقيادة أمريكا، على اعتبار أن اسرائيل مشروعاً استعمارياً امبريالياً ومصلحة غربية أثبتت بالتجربة قدرتها على حماية هذه المصالح الامبريالية من جهة، وضرب احتمالات قيام أي دولة عربية موحدة في المنطقة

إن مواجهة أعداء الأمة العربية تتطلب ادخال الشعب المعركة، كما يتطلب إرادة عربية سياسية واعية ومتحررة وحد أدنى من التضامن، وبناء قدرة ذاتية خاصة على الصعيد العسكري بعيدة عن الارتهان والتبعية.

* * *

«المصطلح السياسي والهزيمة»

منذ الهيمنة الامبريالية على الوطن العربي عامة، وتأسيس الدولة الصهيونية خاصة والعقل العربي يتعرض لحملة ثقافية واعلامية مضادة بهدف اختراقه واحتوائه، ونلمس ذلك في حزمة من الصيغ والتعبيرات والمصطلحات التي أصبح استخدامها مألوفاً في القاموس السياسي العربي، والغاية من هذه المصطلحات هي هز بعض الثوابت القومية الكبرى وافراغها من مضمونها عبر تدجين العقل العربي واخضاعه لارادة الأعداء. ولا شك أن الماكينة الاعلامية الضخمة التي تسيطر عليها الامبريالية والصهيونية كان لها وزن كبير في التراكم التاريخي لمعظم هذه التعبيرات والمصطلحات الدارجة اليوم والايحاء وكأنها من المسلمات. فكثرة تكرارها وترديدها دفعها إلى موقع التداول والمألوف لدى معظم المهتمين بالشؤون العامة. ولقد ساهم الاعلام العربي في تحويل هذه الاملاءات المضادة إلى مصطلحات معترف بها في سياق التخلف العربي الذي أفرز الهزائم اللاحقة حيث يتم انتاجها وتعويمها، كلما تسارعت خطى العرب الى الاستسلام. ويجري التعاطي بها على الصعيد الاعلامي، بل في معظم الحركات السياسية العربية بكل تلاوينها.

حيث نقرأ «المنطقة العربية عوضاً عن الوطن العربي»

«والعالم العربي» بدلاً من «الأمة العربية» فالوطن العربي كما تراه الامبريالية الدولية وخاصة أمريكا، انما منطقة تقع بين السوفييت سابقاً وبين الغرب وهي في تحليلاتهم عمق استراتيجي لحلف الاطلسي وهو مجال حيوي للمصالح الغربية.

ويعتبرون سكان الوطن العربي كم سلبي من البشر وموضوعاً للتاريخ لا قوة فاعلة فيه. أما الأمة العربية فهي «عالم عربي» بكل ما تحمله كلمة عالم من اختلاف وتنوع حضاري في الارض واللغة والتاريخ والمصالح والآمال المشتركة. فالهدف من اصطلاح «عالم عربي» هو نفي وجود الامة العربية الواحدة وتعويم مقولة أمم عربية وشعوب عربية متنابذة (كأمة مصرية)، وأمة سورية وأمة جزائرية الخ لذا ليس مصادفة أن نقرأ في بعض الادبيات الثقافية والسياسية بعد الحقبة الناصرية مثلاً صيغة «مصر والعالم العربي» والمقصود بذلك التشكيك بعروبة مصر وعزلها عن أمتها العربية وضرب دورها الريادي وبالتالي تحييدها في الصراع الدائر بين الأمة العربية من جهة وبين الامبريالية والصهيونية. ونقرأ مصطلح «الشرق الأوسط» و«الشرق الأدنى» ويشمل الشرق الاوسط ايران وتركيا والوطن العربي الذي هو قلب الشرق الاوسط. وهذان المصطلحان ابتدعهما الاستراتيجيون الاستعماريون للدلالة على قرب أو بعد هذه الامم والدول عن الدول الامبريالية التي تعتبر نفسها المحور، وما تبقى من دول وشعوب ليست اكثر من مناطق للمواد الخام واسواقاً للصناعات الامبريالية.(1) كما نقرأ المصطلح الامبريالية الصهيوني الذي أريد من ترويجه طمس القضية الفلسطينية وانكار وجوده الشعب الفلسطيني. وعوضاً عن الصراع العربي ـ الصهيوني.

نقرأ النزاع والغرض من ذلك هو التسليم بوجود الدولة الصهيونية اعتبارها عضواً طبيعياً في الوطن العربي يمكن التعايش معه وهكذا تختزل القضية من صراع على الوجود إلى نزاع على الحدود(2) . ونقرأ مصطلح «اسرائيل» عوضاً عن الكيان الصهيوني المصطنع بما يحمله هذا التعبير من دلالة ضمنية بشرعية اغتصاب الارض

(1) ـ انظر مجلة الحرية ـ عدد تموز ـ 1989

(2) ـ انظر مجلة الهدف ـ عدد حزيران 1990 .

العربية الفلسطينية أما القضية الفلسطينية فقد اختزلت «بالصفة الغربية» وغزة عوضاً عن الضفة العربية الفلسطينة أما ما يسمى «بالمناطق» حسب زعم الصهاينة. إن محاولات اختراق العقل العربي واحتوائه قطعت مسافة بعيدة تحت مقولات «الحل الحضاري» و «العقلانية» و «المتغيرات الدولية » و«الواقعية السياسية» الخ فالهزيمة تكمن جذورها في الايديولوجيا التي نعتنق والتي تبدأ من الفكر والتصور والثقافة، الأمر الذي يطرح على كل القوى الديمقراطية والثورية وكافة المؤسسات الوطنية والقومية التصدي لهذه الظاهرة الخبيثة واجتثاثها من تلافيف العقل العربي.

* * *

«لكل قطر جنوبه»

بعد أن نفذ الاستعماريون بقوة الحراب معاهدة سايكس ـــ بيكو عام 1916 التي استهدفت تقسيم الوطن العربي جيوبولتيكياً، أمعنت الامبريالية الدولية لاحقاً في مخططاتها الخبيثة في تفجير كل قطر من الداخل عبر أدواتها وعملائها المحليين وذلك بواسطة توظيف حالة المجتمع العربي المتكون تاريخياً من قبائل واثنيات قومية ودينية لم تندمج بعد بسبب غياب الدولة الحديثة العصرية. فاليمن الواحد قسمته إلى يمنين شمال وجنوب، الشمال عمل بكل الوسائل لاسقاط النظام في الجنوب «طبعاً قبل الوحدة» وقبل حرب التوحيد الدموية عام 1994. والجنوب قبل ذلك حملت قبائله يافطة ماركسية لاسقاط نظام الحكم المحافظ في الشمال. والجنوب نفسه خاضت قبائله الماركسية فيما بينها حرباً أغرقتهم بالدماء. السودان أسست بريطانيا لتقسيمه إلى شمال وجنوب منذ عهد بعيد وعزلت الجنوب عن تأثير الشمال بقوانين ظالمة. الجنوب يقاتل الشمال

بذريعة قومية وديمقراطية ودينية قتالاً وصل إلى حد الانفصال. لبنان القائم وجوده على التوازانات الطائفية يخوض حرباً أهلية منذ 15 عاماً، بالنيابة عن أطراف اقليمية ودولية تتصارع مصالحها على ساحته، فلم ينشطر إلى شمال وجنوب فقط، بل تناثر جسمه إلى شظايا ـ الموارنة شطران «عون ـ جعجع» الشيعة فريقان متقاتلان «حزب الله ـ حركة امل». أما الطائفة الدرزية خاضت صراعات دموية تارة ضد الموارنة وتارة ضد الشيعة وتارة ضد السنة وها هو العراق يتمزق إلى شمال ووسط وجنوب. ويخطئ من يظن أن بقية الاقطار العربية في المشرق والمغرب لا يمكن أن تنتقل إليها عدوى الحروب الاهلية والانفصالية «على غرار ما يجري في مصر والجزائر من حروب داخلية بين السلطات والاسلاميين المتطرفين» فكل قطر عربي مرشح لاسباب عديدة أن يكون له جنوباً نازفاً.

إن تكسر المجتمع إلى كتل متحاربة مؤشر على حالة التأخر التي يرتكس فيها المجتمع العربي. وهذا ما يجعلنا نؤكد أن بناء الدولة القومية الديمقراطية العصرية الواحدة يجب أن تؤسس لحل واقعي لمسألة الوحدة العربية التي تنطوي على التنوع والتعددية في داخلها، والتي ستكون منابعها ومكوناتها بعدد الاديان والشعوب التي تعيش على أرضها من اسلام ونصارى ويهود واكراد وجركس وبربر وتركمان وآشوريين... الخ عند ذلك يتداخل النسيج الاجتماعي لأنه يحاك بالارادة الذاتية الحرة،عندها يصبح الولاء للدولة بدلاً من الولاء للطائفة أو القبيلة والولاء للوطن بدلاً من الولاء للأجنبي ويصبح ايثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة أمراً طبيعياً وعقلانياً.

* * *

«أركان الدولة وعناصر قوتها»

الدولة عبارة عن شخصية معنوية تكون تعبيراً عن أمة أو شعب لها أرض محددة وتمتلك السيادة النامة على مقدراتها. تقوم الدولة على دعائم ثلاثة «الأرض ـ الشعب ـ السيادة أو الحكومة».

أما عناصر قوة الدولة فهي ليست الارض الواسعة ولا القيمة الرمزية والمعنوية للدولة ولا عدد السكان. فالدول كثيرة السكان قد تكون قوية كالولايات المتحدة الامريكية، وقد تكون ضعيفة كالهند مثلاً نسبياً ولكن الدولة تمتلك من القوة ما يجعلها قادرة على فرض هيبتها في عالم لا يعترف إلى بالاقوياء، وحتى ولو امتلكت الدولة اقتصاداً قوياً فان هذا في معظم الاحيان لا يكفي لبناء قوتها. إن عوامل قوة الدولة مشروطة بمسألتين.

1 ـ وحدة المجتمع الداخلية وحماية هويته من التآكل والمحافظة على الشخصية الوطنية من الانقسام، وهذا الشرط لا يتحقق إلا عبر ثورة قومية دمقراطية ذات آفاق اشتراكية. لبنان شاهد على ذلك لأن التكسر المجتمعي الداخلي سرعان ما يدفع إلى انهيار الدولة.

2 ـ التجدد الحضاري ومواكبة العصر، فالابداع والخلق والتجدد والحضور يحول الثقافة والأرض وكل ما هو معنوي إلى قوة مادية وازنة وفاعلة بعوض عن القصور والنقص في أي عامل أو عنصر من العناصر. إن قوة الدولة في النتيجة هي محصلة لجهد الانسان وعطاءاته وقدرته على الخلق والتجدد ومواكبة حركة التاريخ. إن

الخلق والابداع مرتبط إلى حد بعيد بما يتاح من حرية للفرد والمجتمع. وقد يقال إن تقدماً ما حصل داخل دولة الاستبداد والديكتاتورية عبر التاريخ وبنيت دول مرهوبة الجانب، لكن التاريخ يشهد أن هذه الدول التي بنتها الديكتاتوريات مؤقتة وعرضة للانهيار.

إلا الابداع والتجدد الحقيقيين لا يتم في ظل الطغيان بل في ظل الحرية والديمقراطية . والحرية ليست إلا الاعتراف بالانسان كقيمة سامية شمولية في الحياة.

* * *

«اشكالية وجود الدولة العربية»

الذي يدرس حياة المجتمع العربي يلمس أن أهم مظاهره هو فقدان الدولة ــ دولة الشرعية ـ أي دولة المؤسسات. فنحن في الوطن العربي لدينا سلطات قهر قائمة بقوة الحراب ـ حراب الأمن والجيش لقمع الشعب.. ويجب التفريق بين السلطة وبين الدولة، فالقدرة على التسلط والطغيان لا تعني أن الدولة موجودة. الدولة كمؤسسة لها أهداف ووظائف محددة في حياة المجتمع، وأن سيرورة التاريخ العربي تشهد أن القيم والتقاليد الموجودة في المجتمع العربي هي تقاليد امتهان وتسلط على الانسان ترجع خلفيتها إلى أيام الجاهلية. وليس من مثال أدل على فقدان الدولة من حالة تكسر المجتمع وتذرره ولجوء الافراد والجماعات عند الازمات إلى الاحتماء بالعشيرة والطائفة. بهذا المنطق الدولة تساوي السلطة والسلطة تساوي التحكم والزجر والاخضاع وممارستها واحتكارها من قبل فرد واحد هي احدى السمات الماثلة في حياتنا العربية.

إن اشكالية وجود الدولة في المجتمع العربي معقدة لها وجوه عديدة وهي قائمة

رغم إرادة الشعب وبدون سند شرعي، ولذلك نرى الانظمة القائمة تمعن بالقمع والارهاب، فضلاً عن أن مصادرة الشرعية في المجتمعات العربية ليست متبلورة نظراً لكثرة الكيانات القطرية والاقليمية اضافة إلى أن هناك جماعات وتيارات تدعو إلى وحدة اسلامية بدلاً عن الوحدة العربية.

إن النقطة المحورية لوجود الدولة هي وظيفتها، حيث أن الغاية من انشاء الدولة بصورتها المؤسسية هي ايجاد النواظم والضوابط داخل المجتمع لكبح جماح هيمنة طبقة أو فئة اجتماعية على مقدرات المجتمع وخلق توازن سلطات مدنية لا علاقة لها باعتبارات طائفية أو عشائرية، سلطات يمارس فيها الافراد والجماعات دوراً عقلانياً مدنياً وسياسياً بغض النظر عن انتماءاتهم الفئوية والقبلية وتعمل على التطور الاجتماعي لأن مقدمات التطور تأتي عن طريق الدولة؛ عن طريق تحديث المؤسسات وينتج عن تحديث الافراد وتحديث السلوك وبالتالي إلى تطور المجتمع وإلى تطور اقتصادي...الخ إن الدولة العربية كمؤسسات تمثيلية وإدارية لا تنهج بخط التطور الاجتماعي، فهكذا دولة أهم وظيفة تقوم بها هي المحافظة على الوضع القائم، لذلك تحافظ على التقاليد القديمة من أجل الحفاظ على وجودها واستمراريته، والمحافظة على التقاليد والقيم تتحول على وجودها واستمراريته، والمحافظة على التقاليد والقيم وتتحول مع مرور الوقت إلى عنصر قمع للافراد وسحق للمعارضة كتنظيم اجتماعي إذ لا يوجد استقلال مؤسسي عن شخص الحاكم.

إن العدل والظلم في سيرورتنا التاريخية مرتبطين بأشخاص الحكام لا بمؤسسات الدولة. الشعب ينظر إلى الدولة وكأنها نازلة قدرية، واقصى ما يطلبه منها الرأفة والرحمة؛ لذلك عملياً يرغب الناس في النأي عن كل ما يمت إلى الدولة بصلة. إن الدولة القطرية اليوم رغم مظاهر العصرية الشكلية التي لبستها لم تستطع أن تكون

الدولة/ الأمة أي دولة الأمة الشرعية/ دولة المؤسسات لأن الأمة هي مصدر كل شرعية، فهي أشبه بدولة السلطان أو دولة الخليفة أو دولة الأمير، وكثيراً ما يتخذ هذا الحاكم وجه حزب أو فئة او قبيلة.

إن الدولة بمعناها الحديث والعصري لم تجد لها مكاناً لا في القاموس العربي ولا في الخطاب العربي إلا في سياق عصر النهضة.فالدولة في معاجمنا هي القوة الملحقة بقبيلة ما من أجل الجباية والخراج والجزية.

* * *

«السيادة»

هي السلطة العليا بلا منازع، وهي أحد السمات التي تقترن بالدولة فلا تذكر كلمة دولة إلا وتذكر السيادة، وهي بالتالي تمنح الدولة شرعية احتكار عناصر القوة ووسائلها، وحق استخدام القوة وتنفيذ القانون. وتفرض بالقوة الخضوع على جميع المواطنين.

وقد تعرض مفهوم السيادة للعديد من وجهات النظر التي بحثت فيه من قبل فقهاء قانون وعلماء سياسة، ولارتباط المفهوم بتطور الامم وحركة الشعوب وتطلعاتها. ويعتبر كتاب «الجمهورية» الذي نشره المفكر الفرنسي «جان بودان» في سنة 1576 من طلائع الذين ناقشوا مفهوم السيادة ، وانتهى إلى أن السيادة هي السلطة العليا المعترف بها والسيطرة على المواطنين والرعايا دون أي تقييد قانوني، إلا ما تفرضه قيود القوانين الطبيعية والشرائع السماوية. أما جروشيوس فقد حاول أن يستخدم فكرة السيادة كدعامة لتقوية السلطة السياسية مع تركيزها في يد الملك حتى يتمكن من

توحيد السلطة السياسية في الدولة. أما جان جاك روسو فقد وضع السيادة القطعية والاجتهادات في توضيح مفهوم السيادة لدى بعض فقهاء القانون والمفكرين أمثال هوبز ـ ولوك ـ وجون ستيوارت ميل ـ وجون اوستون ـ وهارولدلاسكي...الخ.

* خصائص السيادة :

للسيادة خمس خصائص هي:

1ـ **الشمول**: أي أنها تشمل حدودها الداخلية وتطبق على جميع المواطنين في الدولة ومن يقيم داخل إقليمها من أفراد ومنظمات ومؤسسات، باستثناء الدبلوماسيين والهيئات الدولية والشعارات.

2ـ **مطلقة**: بمعنى أن سيادة الدولة قطعية وليس هناك سلطة أعلى منها، أي هي الشرعية الاعلى التي لا تقف في طريقها حدود قانونية، عند ممارستها لسلطتها في التشريع وسن القوانين.

3ـ **دائمة**: بمعنى أنها باقية ودائمة ما بقيت الدولة، وأن مفعول السيادة مستمر وسار مهما تغير شكل المنظمات والمؤسسات الدستورية أو الحكومية أو الأشخاص.

4ـ **عدم التجزئة**: بمعنى عدم المشاركة أو التجزئة، أي لا يوجد في الدولة الواحدة سوى سيادة واحدة لا يمكن تجزئتها.

5ـ لا يمكن التنازل عن السيادة وإلا فقدت الدولة ذاتها ومبرر وجودها وقد تعرضت نظرية السيادة للتفنيد واهم الانتقادات أن مبدأ السيادة يؤدي إلى تهديد حقوق الفرد وحريته نتيجة لتركيز الصلاحيات بيد الدولة ـ وإن السيادة ليست مصدراً للقانون، فالقانون تعبير عن مجموعة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية السائدة داخل المجتمع، وهي علاقات خارج مؤسسة الدولة، بل الدولة نفسها يجب أن تكون خاضعة للقانون الذي يحمي الافراد. وقد رأى بعض المفكرين أن نماذج

الدولة الفيدرالية وما يستتبعه من تقسيم الصلاحيات يشكل مثالاً على تجزئة السيادة. إن هذه الخلافات تبقى في اطار تفسير المفهوم. أما المتفق عليه أن الدولة هي السلطة النهائية المسيطرة على كل شيء فوق أراضيها.

وفي المجال الخارجي فإن السيادة تعني عدم التبعية والارتباط والمساواة المعنوية** .

* * *

«الصراع الدولي»

الصراع الدولي في جوهره هو تنازع بين الارادات الوطنية للدول، وهو التنازع الذي يتولد من التناقض في دوافع الدول واغراضها وتعارض أهدافها وتطلعاتها وتصوراتها وتفاوت طاقاتها ومواردها وامكانياتها، مما يدفع الدول إلى انتهاج سياسات خارجية ساخنة فيما بينها ولكن يظل الصراع بكل مستوياته وتطوراته التصعيدية مرحلة سابقة في العلاقات الدولية على ظاهرة الحرب المسلحة.(1)

ومن أهم مسببات الصراع حقائق عامة في مجالات التعامل الدولي بصوره العديدة مثل محاولات السيطرة أو التوسع أو التحالفات الدولية بمضاعفاتها النفسية والأمنية، ومشكلات التسلح والضعف التنظيمي الدولي العام، والتوزيع الدولي غير

** في تعريف السيادة استخدمنا:

1- القاموس السياسي ص 310 وما بعد - «معجم الشيوعية العلمية»

2- مبادىء التنظيم الدولي/ د. عبد العزيز سرحان - القاهرة 1976، ص 58.

(1) - نظريات السياسة الدولية - اسماعيل صبري مقلد - منشورات ذات السلاسل - الكويت 1987 - ص 263 - 264

المتوازن للسكان والموارد والتطرف القومي وتعارض المصالح التجارية وسيطرة الشعور الجماعي بالذت، واستبعاد القيم الانسانية من مجالات التعامل الدولي.(1)

والصراع الدولي في شتى مظاهره سمة أساسية ودائمة من سمات النظام الدولي القائم على السيادة القومية المتعددة وعدم وجود سلطة مركزية عالمية الزامية بحيث تصبح كل دولة هي الحارس لمصالحها وأمنها بقوتها الذاتية.

والصراعات الدولية تتصاعد من الشكوك المتبادلة بين الدول والتي تتفاقم في تطورها إلى مشاعر عدائية عامة متطرفة متبادلة فيما بين المتصارعين. إذاً الصراع ظاهرة طبيعية ثابتة الكينونة في صميم المعاملات الدولية زماناً ومكاناً وموضوعاً، وإن اختلفت مظاهرها العملية وتنوعت طرائق التعبير عنها من عصر إلى آخر ومن دولة إلى أخرى ومن موقف إلى آخر.

***

«هيئة الامم المتحدة»

هي من اكبر المنظمات الدولية وهي منظمة عالمية ابتكر اسمها الرئيس الامريكي روز فلت في عام 1942 عندما دعا الدول التي تحارب المحور إلى توقيع اعلان عالمي اطلق عليه اسم «اعلان الامم المتحدة»

صدر في اليوم الاول من ذلك العام فاجتمع مندوبو «26 دولة» تعاهدوا على المضي في الحرب إلى أن يتم النصر على قوات المحور «المانيا ـ ايطاليا ـ اليابان» وعقد

---

(1) ـ النظرة السوفيتية الجديدة للصراع ـ درتازلي معوض ـ الفكر الاستراتيجي/25 تموز1988ص23-24./

ممثلو الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا والصين اجتماعات متوالية استغرقت نحواً من ثلاثة اشهر في عام 1944 وتوصلوا في نهايتها إلى مؤتمر ضم ممثلي «50 دولة» اجتمعوا لتحقيق التنظيم الدولي في مدينة سان فرانسيسكو في الولايات المتحدة بين 25 نيسان و26 حزيران عام 1945 وللخرروج بفكرة جديدة تحل محل عصبة الامم القديمة».

وقد ميز ميثاق الهيئة بين مجموعتين من الدول الاعضاء.

الاعضاء الاصليين وهي الدول التي اشتركت في مؤتمر سان فرانسيسكو عام 1942.

الاعضاء غير الاصليين وتتألف هذه المجموعة من الدول التي انتسبت إلى المنظمة الدولية بعد تأسيسها عام 1945 أو ستنتسب إليها في المستقبل».

من أهم أهداف المنظمة صيانة حقوق الانسان... وهذا القرار صدر 1948 - حق تقرير المصير بالنسبة للشعوب - نزع السلاح - صيانة حقوق المرأة - قضايا اللاجئين - العناية بالاطفال...الخ.

أهم هيئات المنظمة - الجمعية العامة - ويطلق عليها البعض البرلمان العالمي. وهي تعقد دورات سنوية تناقش فيها جميع المواضيع التي تدرج في جدول أعماليها.

مجلس الأمن - وهو الجهاز التنفيذي للأمم المتحدة الذي يعهد إليه بالمسؤولية الاولى في صيانة الأمن والسلام الدوليين وتعرض عليه المسائل التي يحتمل أن تعرض السلم والأمن الدوليين للخطر...

ويتألف المجلس من خمسة أعضاء دائمين هم ممثلو «الصين - فرنسا - الاتحاد السوفييتي سابقاً - بريطانيا - الولايات المتحدة الامريكية».

الأمانة العامة - «وتعتبر من الهيئات عظيمة الوزن في المنظمة الدولية نظراً للأدوار

التي يضطلع بها الأمين العام والتي جرى التوسع في تأويلها لا سيما بالنسبة لسلطته التنفيذية.(1)

واليوم تسيطر الدول الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية على هذه المنظمة الدولية وتضرب عرض الحائط قرارات هيئة الامم ومجلس الأمن وتخضعها لمشيئتها ومصالحها وهناك أمثلة صارخة على الاستهتار بالشرعية الدولية وخاصة القرارات 242 و338 و 425 وهي القرارات التي تشجب احتلال اسرائيل للاراضي العربية وتطالبها بالانسحاب من الضفة الغربية والجولان وجنوب لبنان منذ عام 1967 وحتى اليوم دون طائل.

وكذلك اصرار أمريكا والصهيونية على قتل الشعب العراقي عبر محاصرته اقتصادياً بذريعة عدم تنفيذ قرارات مجلس الامن لتدمير اسلحته الهجومية.

* * *

«الفاتيكان»

الفاتيكان دولة محايدة تقع ضمن دولة ايطاليا مساحتها 2/1 كم وعدد أتباعها لا يتجاوز ألف نسمة يتكلمون اللغتين الايطالية واللاتينية، وينتخب البابا رئيساً لها مدى الحياة. تمتلك دولة الفاتيكان إدارتها ومؤسساتها الخاصة، ولها وسائل تعبيرها الخاصة

---

(1) ـ في تعريف الامم المتحدة استخدمنا عدة مصادر.
- قضايانا في الامم المتحدة ـ خيري حماد / ص 18
- الامم المتحدة وموازين القوى المتحولة ـ كميل داغر/ ص9.
- القاموس السياسي ـ ص 302 وما بعده.

كالصحف (تصدر الفاتيكان صحيفتين) والاذاعة والتلفزيون.

تعتبر دولة الفاتيكان من حيث الحجم الشكلي من أصغر دول العالم، ولكن من حيث التأثير المعنوي تمتلك نفوذاً واسعاً على مئات الملايين من المسيحيين الكاثوليك في مختلف أنحاء العالم. ولها علاقات دبلوماسية مع العديد من دول العالم حيث يقيم في حاضرة الفاتيكان اكثر من خمسين سفيراً للدولة أجنبية يمثلون بلادهم لدى الفاتيكان.

* * *

«حركة عدم الانحياز»

كانت بعض البلدان الاسيوية والافريقية ترى اللا نحياز الطريق الأسلم للانعتاق من الاستعمار القديم والجديد. وفي اجتماع بريوني وضعت الاسس لحركة عدم الانحياز. وبالفعل دعي إلى مؤتمر عقد في بلغراد عاصمة يوغسلافيا في أوائل أيلول 1961 واعتبر المؤتمر التاسيسي الاول لحركة عدم الانحياز وقد حضره وقتها الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية العربية المتحدة.والرئيس جوزيف بروتس تيتو، رئيس جمهورية يوغسلافيا المتحدة. والرئيس جواهر لال نهرو - رئيس وزراء الهند ومندوبين عن 28 بلداً منها (25) كاملة العضوية. وأصبحت هي المؤسسة لهذه الحركة التاريخية. ولقد أصبح اعلان بلغراد في سنة 1961 المكون من خمسة مبادىء رئيسية هو حجر الزاوية لحركة عدم الانحياز في السنوات المقبلة وكانت هذه المبادىء الخمسة هي:

1- أن تنتهج الدولة «المنضمة لحركة عدم الانحياز» سياسة مستقلة قائمة على تعايش الدول ذات النظم السياسية والاجتماعية المختلفة وعلى عدم الانحياز أو أن تظهر

اتجاهاً يؤيد هذه السياسة.

2ـ أن تؤيد الدولة غير المنحازة حركات الاستقلال الوطني.

3ـ ألا تكون الدولة غير المنحازة طرفاً في حلف عسكري، ثم في نطاق الصراع بين الدول الكبرى.

4ـ ألا تكون الدولة غير المنحازة طرفاً في اتفاقية ثنائية مع دولة كبرى.

5ـ يجب ألا تكون الدولة قد سمحت لدولـة أجنبية باقامة قواعد عسكرية في اقليمها بمحض إرادتها.

اهتمت حركة الانحياز بالموضوع السياسي وهو الاستقلال الوطني ومساعدة الشعوب الاخرى للتحرر من الاستعمار ومحاربة الانضمام إلى أحلاف تخدم مصالح الدول الكبرى. لكنها أغفلت بنفس الوقت متطلبات التحولات الاقتصادية المرجوة في هذه الاقطار. عقدت الحركة مؤتمرين في عقد الستينات. وخلال السبعينات وحتى آذار 1983 عقدت خمسة مؤتمرات قمة أخرى.

لقد قفز عدد الدول المشتركة في هذه المؤتمرات من 25 دولة في بداية الانطلاقة إلى مئة دولة ودولة في نيودلهي من قارات آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية. ولقد واجهت الحركة مجموعة من الصعوبات الداخلية والخارجية في هذه الفترة.

فقد غاب مؤسسيها واحد بعد الآخر. فقد وقعت اكثر من دولة من دول عدم الانحياز اتفاقات مع دول عظمى في هذا المعسكر أو ذاك وسمحت دول أخرى في الحركة أن تستخدم دولة عظمى جزء من أراضيها لاغراض عسكرية خاصة بتلك الدولة العظمى فضلاً عن عوامل أخرى جعلت فاعلية دول عدم الانحياز تتدنى في الستينات من هذا القرن.*

---

*ـ انظر مجلة العربي/ د. محمد الرميحي العدد 293 ـ نيسان 1983.

«منظمة الأوبيك»

تأسست في أيلول 1960 في بغداد وضمت حتى عام 1975 «13 دولة». السعودية ـ فنزويلا ـ ايران ـ الكويت ـ العراق ـ قطر ـ اندنوسيا ـ ليبيا ـ ابوظبي ـ الجزائر ـ نيجيريا ـ اكوادور ـ الغابون.

جاء تأسيس هذه المنظمة نتيجة لتنامي الوعي لدى البلدان المنتجة للنفط بضرورة تعزيز سيطرتها على شركات النفط العاملة في أراضيها، التي كانت تستخدم سياسة الاسعار صعوداً وهبوطاً كأداة ضغط ضد تحقيق هذه الدول رغبتها بتحقيق استقلال اقتصادي. كانت تلك الشركات قد بلغت درجة القوة اطلق معها عليها اسم «الشقيقات السبع» خمس منها أمريكية وواحدة بريطانية، وواحدة هولندية. كانت هذه الشركات تسيطر إلى وقت متأخر على 80٪ من الانتاج النفطي العالمي باستثناء أمريكا والدول الاشتراكية السابقة، وعلى اكثر من 70٪ من صناعة التكرير العالمية، وتمتلك اكثر من 50٪ من ناقلات النفط. تأسيساً على ذلك وضعت يدها على مصادر النفط باسعار رخيصة بمعدل 10 ـ 15 سنتاً لبرميل النفط الواحد في الشرق الاوسط، مقابل 55 سنتاً للبرميل في فنزويلا وأمريكا أواخر الخمسينات. وبالتوجيهات الاقتصادية للدول المنتجة وأنظمتها وحكامها. إن فشل الاوبيك في السيطرة على الانتاج، وبالتالي في ايقاف تدهور الاسعار في نهاية الستينات الذي بلغ «1/8 دولار للبرميل»، وإن العلاقات المتباينة بين أعضائها واختلاف مستويات التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي بينهم، بالاضافة إلى خصوصية علاقة كل منهم بالدول المستهلكة للنفط في

الغرب لم تمنع المنظمة من أن تصبح المُصدِّر الرئيسي. 58٪ من النفط المنتج في العالم غير الإشتراكي وأن يبلغ نصيبها 80٪ من الاحتيلطات المؤكدة للنفط و60٪ من انتاجه و 90٪ من صادراته إلى العالم الغربي. في السبعينات احتدم الصراع داخل الاوبيك بين المطالبين بالتأميم الكلي لصناعة النفط والمطالبين بالمشاركة واعادة تقسيم الدخول، وكانت ليبيا قد طالبت بزيادة نسبة ضريبة الدخل حتى 55٪ وزيادة السعر. حاولت الدول الغربية التصدي لنهج الاوبيك عن طريق تشكيل قوة ضغط سياسية في لندن لكنها لم تفلح كما يحاول الغرب تسخير خلافات الحدود والحروب الدينية والاثنية لخدمة مصالحه النفطية واستراتيجيته السياسية لاضعاف الاوبيك وشل حركتها. ومن الاسلحة التي شهرتها الدول الصناعية في وجه الاوبيك «انشاء الوكالة العالمية للطاقة» «IEA» ثم الاعتماد على المصادر الجديدة للنفط في بحر الشمال والاسكا والمكسيك والصين. في عام 1986 انخفض سعر البرميل إلى «15 دولار» و «10 دولار» في مرحلة ما. وسقف الانتاج «16,4 مليون برميل» إلى جانب ذلك انقسمت الاوبيك محورين، محور بقيادة السعودية يتمتع بالاغلبية يدعو إلى اغراق السوق بالنفط مع ما يتبع ذلك من تدني للاسعار بهدف تركيع الدول المصدرة الاخرى الخارجة عن الاوبيك واجبارها على تخفيض انتاجها. ومحور بقيادة ليبيا وايران والجزائر، يدعو إلى خفض الانتاج لاوبيك والدفاع عن السعر الرسمي للبرميل الذي يبلغ «28 دولار» بما يفرغ السوق من النفط ويزيد الطلب ويساعد على تثبيت السعر الرسمي. لا ريب أن الغرب نجح في جعل تبعية البلدان المصدرة سلاحاً من أسلحته لاستعادة اشرافه على مسيرة الاسعار والانتاج، ولمنع الاوبيك من تنفيذ استراتيجية موحدة قد تقوض ركائز النظام الاقتصادي السائد. هذا النجاح لم يكن ممكناً لو لم يستعمل الغرب وسائل أخرى لمحاصرة الاوبيك منها «وضع القيود على تصدير المنظمة لمنتجاتها النفطية المصنعة

«حواجز ـ رسوم جمركية ـ تصدير التضخم المستشري في البلدان الصناعية ـ وبيع السلع الغربية بسعر يفوق 55٪ من مقدار المستوى العالمي ـ تدوير الدولارات النفطية عبر الشبكة القوية للموسسات النقدية في الغرب على قاعدة التشريع الوطني للدولة المستقبلية ـ دعم جهود الشركات النفطية الكبرى للاحتفاظ بسيطرتها على شبكات تسويق النفط الدائم بامكانية تجنيد الودائع والمعاملات الغربية.[1] أجهزة الاعلام الغربية عشية حرب تشرين 1973 صورت الاوبيك على أنها العدو الشرس للغرب لذا فإن هناك اجماعاً غربياً على التقليل من الاعتماد على نفط الاوبيك.

* * *

«جامعة الدول العربية»

كانت ولادة الجامعة العربية حصيلة لتفاعل مجموعة من العوامل المحلية والاقليمية، فلقد شهدت الساحة العالمية في أواخر الحرب العالمية الثانية نزوعاً ملحوظاً نحو انشاء التكتلات والتجمعات السياسية والاقتصادية والاقليمية منها والدولية، ولقد لقيت محاولة ايجاد تنظيم اقليمي عربي من قبل بريطانيا ومعظم الدول التي تهيمن على المنطقة، هذا من ناحية التأثير الخارجي، أما في الداخل فقد كان السعي حثيثاً لاحتواء المد القومي العام والاحساس الوطني المحلي، والسعي لتغيير أساليب السيطرة الاستعمارية المباشرة مع الحفاظ على مضمونها الحقيقي، ومحاولة ايجاد قنوات جديدة لاحكام الارتباط مع دولة حديثة العهد بالاستقلال السياسي الشكلي.

---

(1) ـ انظر حكاية الغرب مع الاوبيك / د. عفيف ضاهر ـ مجلة الوحدة العدد 40 كانون الثاني 1988.

وتمت في الفترة من تموز 1943 إلى شباط 1944 عدة اجتماعات بين ممثلي الحكومات العربية المشرقية انتهت بتشكيل (اللجنة التحضيرية) التي تمثل سوريا ولبنان والأردن وفلسطين والعراق وتشترك السعودية واليمن في أعمال اللجنة بصفة مراقب.

واعدت هذه اللجنة الصيغة المتفق عليها للاطار الوحدوي المطروح.

ووقعت الوفود المشتركة في اطار اللجنة التحضيرية، على الوثيقة التي أعدتها اللجنة السياسية الفرعية، وذلك في 7 تشرين الأول 1944، وسميت الوثيقة «بروتوكول الاسكندرية» وتضمنت الاسس العامة التي تقام عليها «جامعة الدول العربية». وفي 19 آذار عام 1945، تم اقرار صيغة ميثاق الجامعة العربية، وأعقبت ذلك انعقاد المؤتمر العام في القاهرة، وصدق المؤتمر الميثاق رسمياً في 22 آذار 1945. ثم وقع مفوضي الملوك ورؤساء الدول الاعضاء على الميثاق المذكور. يتألف ميثاق جامعة الدول العربية من عشرين مادة أساسية وثلاث ملاحق خاصة تبحث هذه المواد في ما هية الجامعة واغراض الجامعة واهدافها ومظاهر نشاطاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية..الخ كما أنها تبحث في هيكيلة الجامعة، وخصائص مجلس الجامعة وواجباته، وحق الحكومات الاعضاء في الاحتفاظ بشكل أنظمتها والعلاقات الثنائية بين الاعضاء، ووجود الأمانة العامة ومسؤولياتها وواجبات الامين العام والمساعد وكبار الموظفين وحقوقهم...الخ أما الملاحق - الملحق الأول: هو خاص بفلسطين وبشرح قضيتها بشكل مقتضب. أما الملحق الثاني: فهو خاص بالتعاون مع البلاد العربية غير المشتركة في مجلس الجامعة ـ والملحق الثالث فهو خاص بتعيين الأمين العام للجامعة.

* أهداف الجامعة العربية واختصاصاتها:

بغض النظر عن الظروف والارتباطات التي دفعت إلى نشوئها فإن الجامعة طرحت جملة من المبادىء والأهداف الشكلية والظاهرية التي تعمل على تحقيقها

وحسب الميثاق جاء تأسيس الجامعة «تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بعض الدول العربية وحرصاً على دعم الروابط وتوطيدها على اساس احترام استقلال الدول العربية وسيادتها. وتوجيهها لجهودها لما فيه خير البلاد العربية وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها واستجابة للرأي العام في جميع الاقطار العربية».

أما الهدف من وجود الجامعة هو «توثيق العلاقات بين الدول العربية المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها، والنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها.»

وقد حدد الميثاق اختصاصات الجامعة كالتالي:

1ـ التعاون بين البلدان العربية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية والصحية.

2ـ كفالة الأمن والسلام وتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، وذلك بالتعاون مع الهيئات الدولية.

3ـ فض الخلافات بين الدول الاعضاء والتوسط بينها للحيلولة دون وقوع الحروب والمنازعات بيد أنه لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض الصراعات بين دولتين أو اكثر من دول الجامعة.

4ـ دفع الاعتداء عن الدول الاعضاء في الجامعة سواء من قبل عدو أو معتدي داخلي من ضمن الاعضاء.

5ـ ضمان احترام كل دولة من الدول المشتركة في الجامعة نظام الحكم القائم في دول

الجامعة الاخرى ودعم وجوده وبقاءه.[1]

* العضوية:

تألفت الجامعة عند تأسيسها من سبعة أعضاء فقط زاد هذا الرقم إلى «22 عضواً» حتى عام 1977 حين وافق مجلس الجامعة على ضم «جيبوتي» لتكون العضو الـ «22» في الجامعة. ومن شروط العضوية ـ أن تكون الدولة العربية مستقلة ـ أن لا تلجأ دول الجامعة مع بعضها إلى القوة لفض خلافاتها ـ دفع كل عضونصيبه من ميزانية الجامعة ـ التزام الدولة العضوة بميثاق الجامعة.

إن قراءة موضوعية لبعض مواد ميثاق الجامعة تقدم لنا صورة عن تهافت كل المواثيق النظرية على الصعيد العملي والتطبيقي. فمعظم الدول العربية مستقلة شكلياً وخاضعة عملياً بصورة تبعية اقتصادية وبالتالي ارتهان سياسي للامبريالية العالمية. كما كرس الميثاق الاتجاهات القطرية التي رسمها الاستعمار في معاهدة سايكس ــ بيكو «حق كل دولة الاحتفاظ بنظام حكمها ولا يجوز لدولة أخرى المساس بسيادتها». فاصبحت كل دولة عالماً قائماً بذاته واصبح كل نظام يكيد لنظام الحكم الآخر ويعمل على اسقاطه. أما بنود الميثاق المتعلقة بالدفاع المشترك فلا تتمتع باي احترام أو نصيب فعلي. فقد حظي عدوان عام 1956 على مصر من قبل فرنسا وبريطانيا واسرائيل بتأييد النظام العراقي آنذاك والحث عليه. كما غزت اسرائيل لبنان عام 1982 و لم يتحرك اي نظام عربي للدفاع عنه فعلياً. وها

---

[1] ـ كتب استخلصت في هذا التعريف:

ـ الدور الاقتصادي لجامعة الدول العربية /د. عبد الحسن زلزلة ـ مجلة المستقبل العربي . عدد 32 ــ 43 ــ 44 ــ بيروت 1982

ـ مبادىء التنظيم الدولي/ د. عبد العزيز سرحان ـ القاهرة 1976 ـ ص 54.

ـ نص اتفاقية الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي ـ اصدار جامعة الدول العربية.

هي انتفاضة الشعب الفلسطيني داخل الأرض المحتلة لا تلقى أي تجاوب أو دعم من الانظمة العربية...الخ إن التحارب أثبتت أن الخلل الكبير ليس في الجامعة العربية فقط، وإنما الخلل في الحياة السياسية العربية والارادة العربية.مع ذلك تبقى الجامعة العربية رمزاً لوحدة الأمة وملاذها المعنوي عند الملمات لذا تسعى الامبريالية بقيادة أمريكا واعداء العروبة إلى نسف الجامعة واستبدالها بتجميع دولي شرق أوسطي.

* * *

«العالم الثالث»

مصطلح سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي يقصد به الدلالة على الدول التي لا تنتمي إلى العالمين الاول والثاني، وهما:

آ- الدول الصناعية الرأسمالية المتقدمة وهي - الولايات المتحدةالامريكية وكندا واوروبا الغربية واستراليا واليابان ونيوزيلندا.

ب - بلدان المنظومة الاشتراكية السابقة.

وكان أول من استخدم المصطلح «الفريد سوفيه»في عام 1956 واطلق التعبير على غرار التعبير التاريخي الشهير «الطبقة الثالثة» وهي الطبقة التي كانت تضم الذين لا ينتمون إلى طبقتي النبلاء ورجال الدين.

وانتشر المصطلح بعد ذلك وبدأت محاولات جادة لوضع تعريف محدد للمصطلح، فبينما يرى البعض أن دول العالم الثالث هي التي لم تستفد من ثورة القرن التاسع عشر الصناعية أو ثورة القرن العشرين الاشتراكية، يرى البعض الآخر أن دول العالم الثالث هي الدول النامية أو الآخذة في النمو، والدول المستقلة حديثاً والدول

المتخلفة. وبغض النظر عن التسميات فـان الـدول الـتي يطلق عليهـا المصطلـح تشـترك جميعها في أنها تعاني من التخلف الاقتصادي بمعناه العلمي كظـاهرة شـاملة مـن حيـث «تخلف هياكل الانتاج، وضعف القدرة على التصدير والاعتمـاد علـى الـذات وتعـاظم نسبة الواردات وسوء الادارة...الخ».

وقد انتشر هذا المصطلح في الادبيات المعاصرة ليوصف به موقف أو ظاهرة تنتمي إلى هذا العالم. كما تشـترك معظـم دول العـالم الثـالث بتخلـف البنـى السياسـية الـذي يصبح أساسه في هيمنة ايديولوجيا تقليدية مفوتـة تحـول العمـل والنشـاط السياسـي إلى هلوسات لا عقلانية، يضاف إلى ذلك تكسر صلبي في بنيـة المجتمـع تنعكـس سـلباً في نقص الاندماج القومـي وانقسـام المجتمـع انقسـاماً تناحريـاً، عمودياً وأفقيـاً، وعـزوف الجماهير الشعبية عن المشاركة في الشؤون العامة. لقـد نجحـت دول العـالم الثـالث في تحقيق تكتل أمام العـالمين الأول والثـاني بانخراطهـا في مجموعـة عـدم الانحيـاز سياسياً، وتكتلها في مؤتمر الامم المتحدة الأول حول التجارة والتنمية الذي عقد عام 1964، فقد نجحت دول العالم الثـالث في الوقـوف في وجـه الـدول الغنيـة باعـادة النظـر في النظـام الاقتصادي والدولي الذي يكرس تفوق دول الغرب ونهب ثروات العـالم الثـالث. يبلـغ عدد دول العالم الثالث اليوم «111بلداً»، بـدأت هـذه المجموعـة تطـرح قضايـا وافكـار رئيسية حـول مشـكلة العلاقـة بين العـالم المتقـدم والعـالم النـامي وقضيـة نقـل التقنيـة، واصلاح النظام النقدي العالمي. ومعظم هذه الدول مغرقة بالديون حيـث بلغـت مئـات المليارات من الدولارات. ورغم محاولات دول العالم الثالث لايجاد صيغة جديدة لشكل العلاقات بين الدول المتقدمة وبينها إلا أن مصالح الدول المتقدمة والاحتكـارات العالميـة ما زالت تسيطر على النظام الاقتصادي العالمي.

* * *

«حلف السنتو»

أنشئ حلف السنتو أو ما يسمى حلف بغداد عام 1955، بمشاركة دبلوماسية من جانب الولايات المتحدة الامريكية، كان هذا الحلف عنصراً هاماً في التواجد العسكري الامريكي في الشرق الاوسط.

كانت الدول المشاركة في الحلف هي - انكلترا - باكستان - باكستان - ايران - وتركيا. لم تدخل الولايات المتحدة الامريكية رسمياً في هذا الحلف انطلاقاً من حساباتها حول المخاطر التي قد تترتب على تأزيم علاقاتها مع الدول العربية. لكن أمريكا دخلت في لجنتيه العسكرية والاقتصادية، وكان هذا الامر مساوياً لانضمامها إليه وتحملها المسؤوليات الكاملة للتحالف والمتمثلة قبل كل شيء في التصدي لحركات التحرر الوطني. كان الهدف الهام لهذا الحلف ضمان المواقع العسكرية لأمريكا في الشرق الاوسط الموجهة ضد «الاتحاد السوفييتي» قبل انهياره، استخدم الحلف، في نفس الوقت للتصدي لحركة التحرر الوطني والقومي في الوطن العربي، وللتدخل في الشؤون الداخلية، ولدعم الانظمة الرجعية، وحماية مصالح الاحتكارات النفطية. كانت الاقطار الاعضاء في الحلف مرتبطة بعضها بالبعض الآخر بالتزامات حول التعاون المتبادل من أجل « الامن والدفاع».

فعلى اساس ذلك تم تسليح أيران وتركيا والباكستان. كانت تركيا حلقة هامة في حلف السنتو وترك لها دور الحاجز» الذي يعزل الاتحاد السوفييتي عن التماس المباشر مع اقطار الشرق العربي، ودور الحارس الذي يراقب بوابات البحر الاسود والبحر

الابيض المتوسط من جهة الشرق. وعبر تركيا الداخلة في حلف الناتو جرى ربط خطط السنتو العسكرية بخطط الناتو وكذلك استخدم السنتو كدعم للجناح الجنوبي لحلف الاطلسي.

بوجه عام لم تتمكن أمريكا تحويل السنتو إلى سلاح فعال للكولنيالية العسكرية. لم تستطع مثلاً جذب الاقطكار العربية كمصر وسوريا ولبنان.. الخ للمشاركة في هذا الحلف وقد واجه هذا الحلف حرباً اعلامية وسياسية بقيادة رئيس الجمهورية العربية المتحدة جمال عبد الناصر ، كما لم تتحقق كل حسابات واشنطن باستخدام السنتو لخدمة مصالح الامبريالية من خلال حالات الصراع القائمة في المنطقة.[1]

* * *

«اليونسكو»

أنشئت في 4 تشرين الثاني سنة 1946م، وهي منظمة الامم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية ومقرها في العاصمة الفرنسية باريس.

أهداف اليونسكو «الاسهام في تحقيق السلام والأمن بتنمية التعاون بين الشعوب عن طريق التربية والعلوم الثقافة حتى يزداد الاحترام العالمي للعدالة وسيادة القانون وحقوق الانسان.والحريات الأساسية بلا تمييز بسبب الجنس أو اللغة أو الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء».

ولتحقيق هذه الاهداف «تتعاون منظمة اليونسكو في العالم على تقديم المعرفة

---

(1) ـ للتوسع ـ انظر ـ السياسة الامريكية في الشرق الاوسط في السبعينات ـ يور يسيوف ـ دار دمشق ـ ص 134 ـ 136.

المشتركة وزيادة التفاهم بين الشعوب مستعينة بجميع وسائل الاتصال بين الجماهير كالكتب والدوريات والاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والمعرض والمتاحف كما تعمل على توحيد جهود العلماء والباحثين والفنانين ورجال التربية ومن أهدافها العمل على نشر التعليم الإلزامي ورفع الخبرات العلمية والتربوية وتدريب المعلمين». ولمنظمة اليونسكو مقار إقليمية «في بيروت بالنسبة للشرق الاوسط» وفي المكسيك يمثل «مجموعة دول أمريكا اللاتينية عام 1951» والثالث بقرية سرس الليان المصرية وافتتح عام 1953 ويمثل مجموعة الدول العربية. وقد لعبت المنظمة دوراً مؤثراً في اعداد المناهج التربوية والعلمية الهادفة وتهيئة الكوادر المختصة في العلوم والثقافة.

* * *

«صندوق النقد الدولي»

ولد صندوق النقد الدولي عام 1944 بولاية نيوهمبشير الامريكية، حيث اجتمعت «44دولة» لوضع نظام مالي لعالم ما بعد الحرب العالمية الثانية. واصبح لاتفاق بريتون وودز» بولاية نيوهمبشير تأثيراً أشمل وأبعد، فحددت أسعار العملات وظلت على ثباتها حتى سنة 1973. وأسس البنك الدولي لعقد قروض الانماء الطويلة الأجل للبلدان الفقيرة في حين كان دور الصندوق توفير القروض القصيرة الاجل للبلدان التي يراوح ميزان مدفوعاتها بين مد وجزر. ولسنوات حافظت قروض الصندوق على مستواها المتواضع، إلى أن هبطت أسعار النفط واستفحل الركود الاقتصادي العالمي، ولاح شبح التوقف عن الدفع، فكان الصندوق الجهاز الوحيد الذي استطاع المقرضون والمقترضون من خلاله انجاز مخططات الانقاذ الطويلة الجل، وتجاوب

الصندوق مع التطبيق لقواعد الصيرفة: يقدم بلد طلباً إلى صندوق اعتماد مالي يبلغ رأسماله 90 مليار دولار، تؤمن معظمها الدول الاعضاء وعددها 148 اضافة إلى 35 مليار أخرى يستطيع الصندوق طلبها واموال حسابات دفترية «مسماة حقوق سحب خاصة» تبلغ قيمتها 4,7 مليارات وتلتقي بعثة من الصندوق ممثلين للبلد الطالب القرض لمناقشة مشاكله وطرق حلها، وعلى البلد الرضوخ لشروط برنامج التقشف الذي يفرضه الصندوق ويحتد خلاف عاصف بين الصندوق وبين بلدان العالم الثالث حول التخفيضات التي تهدد بالتفجير.

ويقول أحد المسؤولين في الصندوق: «نحن نمنح القروض على أساس إتخاذ البلد اجراءات قد تتضمن خفض قيمة النقد، وخفض الأجور، ورفع الدعم عن بعض السلع وتقليص الاستيراد، وعندما لا يقبل البلد الأمر نوقف الدفع» وكان صندوق النقد الدولي أسس في الأصل لمساعدة البلدان التي تعاني من صعوبات في مواجهة الديون القصيرة الأجل.

وبرز الصندوق المتمركز في واشنطن كملجأ اجباري في وجه البلدان الغارقة في ديونها. فإذا لم تقبل هذه البلدان شروط الصندوق، توقفت المصارف الخاصة عن اقراضها. وهذا مكن الصندوق من نفوذ لم يسبق له مثيل. لقد تخطى دين العالم الثالث 895 مليار دولار أمريكي منها «507 مليارات» لمصارف خاصة. وتدين بلدان العالم الثالث بمعظمه إلى دائنين في أمريكا الشمالية واوروبا واليابان.*

- انظر الدراسة القيمة عن صندوق النقد الدولي د.نادل عبد الهادي ـ مجلة الكويت العدد 85 ـ أيلول 1989.

«الضريبة»

عرف المجتمع الانساني الضريبة منذ فجر التاريخ، فمع أول تجمع بشري فرض الاقوى امتيازاً ما لصالحه، ومع تعقد شكل الحياة ونموها وتطور شكل الامتياز فأصبح حيناً حصصاً عينية من الانتاج، أو ساعات عمل بلا أجرة أو نقود، بعد ما عرف عن المجتمع الانساني النقود وشاع استعمالها، وبعد أن نشأت الدولة واستقر معناها واستقرت، استمر فرض الضريبة حقاً مطلقاً للحاكم.. إذ كانت هذه الضرائب جزء من دخل الحاكم، وكانت سلطة الحاكم مطلقة في تحديد الضريبة وكماً ونوعاً، حتى استطاع البرلمان الانكليزي لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني انتزاع حق الضريبة من الملك، وقصر هذا الحق على البرلمان «ممثلي الشعب» واستقرت عندئذ قاعدة دستورية، وهي لا ضريبة بلا قانون، واصبح فرض الضريبة محكوماً بقواعد وقوانين وأسباب. والضريبة ببساطة هي مبلغ من المال، محدد سلفاً وبشكل معلن وعام، يسدده الممول إلى السلطة العامة، ممثلة في أحد أجهزتها التي تحددها هي، وتصبح بذلك هي صاحبة الحق الوحيدة في تحصيل الضريبة، وتمثل مجموع الضرائب في مجتمع ما مورد من الموارد السيادية للدولة «التي تحصلها أعمالاً بسيادتها» ويستخدم هذا المورد في تغطية النفقات العامة للدولة ويقوم الممول بسداد الضريبة بصفته عضواً في المجتمع، وعليه أن يساهم في النفقات العامة، دون النظر إلى حساب مدى الفائدة التي تعود عليه شخصياً.

والضريبة تنقسم إلى نوعين أساسيين هما: ضرائب مباشرة أو ضرائبة غير مباشرة. وتفرض الضرائب المباشرة على اجمالي الدخل العام للافراد، أو على رأس المال.

اما الضرائب غير المباشرة فتأخذ أشكالاً كثيرة، مثل ضرائب الانتاج، وهي تمثل نسبة مئوية من تكلفة انتاج سلعة ما «كالسجائر» وهي تحصل عن كل ما تنتجه المؤسسة من هذه السلع التي يتحمل ثمنها المستهلك. إذ أن المنتج يقوم باضافة هذه الضريبة إلى ثمن البيع و رسم ضريبة الاستهلاك، أو ضريبة البيع، وهي التي تفرض على بيع السلطة أو شرائها، وتتمثل في نسبة مئوية من الثمن، أو في الرسوم الجمركية...الخ وتختلف المدارس الاقتصادية والدول بالتالي في كيفية احتساب الضريبة، ومنشأ هذا الاختلاف هو تباين النظر إلى الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للضريبة، فالاقتصاديون الكلاسيكيون يرون أن الضريبة هي اسهام المواطنين في تمويل الخزانة العامة للدولة، لتمكنها من اداء بعض الخدمات، الاتجاهات الحديثة ترى أن الضرائب هي واحدة من أدوات الدولة في اعادة توزيع الدخل القومي. وهكذا تختلف وجهات النظر، وبالتالي يتباين الاسلوب الضريبي المتبع. ولكن النظم تتفق جميعها على أنه هناك، فيما يتعلق بضريبة الدخل ـ حد للاعضاء وهذا الحد ليس مطلقاً ولا موحداً كلما صغر الدخل.. ويتحدد هذا الحد وفق اسعار تكلفة المعيشة ونفقات الحياة في المتوسط العام للأسعار، وفي اطار شرائح الدخول.. فيقال مثلاً: إن ضريبة الدخل تحصل من الدخول التي تتراوح بين 1200 ـ 3000 دينار في العام بنسبة كذا..فان معنى هذا أن كل الذين يتقاضون راتباً شهرياً مائة دينار فأقل يتمتعون باعفاء من ضريبة الدخل.. ومن هذه القاعدة العامة في الحساب الضريب تم استخلاص طريقة حساب ما يسمى بالضريبة التصاعدية وهي تعني زيادة معدل الضريبة، كلما ارتفع حجم الدخل الخاضع للضريبة.

ومن الضرائب التي تطبق في معظم دول العالم بالاضافة إلى ما سبق، ما يعرف بضريبة التركات، وتستند هذه الضريبة إلى تبرير قانوني شرعه وزير مالية بريطانيا في عام 1894، إن الطبيعة لا تمنح الفرد على أمواله إلا حقاً مؤقتاً محدوداً بحياته، وتحصل غالبية

النظم الاقتصادية رسماً يمثل نسبة مئوية من اجمالي تركة المتوفى، قبل أن يتم توزيع الأنصبة على الورثة، ويمثل هذا الخصم دين إمتياز، مثله مثل الشرائب العامة اتي يكون المتوفى قد تأهر في سدادها، فتخصم من اجمالي التركة وفاء لحق الولة والمجتمع الذي عمل فيه، وأتاح له الفرصة للغنى والثراء.*

* * *

«الكومبرادور»

مصطلح اقتصادي سياسي، شاع استخدامه في الادبيات السياسية والاقتصادية خاصة في البلدان المستعمرة أو ذات التبعية للاستعمار، وهذا المصطلح ينطق به للدلالة على الرأسمالية الطفيلية ذات الطابع التجاري، والذيلية للرأسمال الأجنبي، وأول من أطلق هذا المصطلح «ماوتسي تونغ» ليصف به الصيني الممثل لشركة أجنبية عالمية في الصين، ثم شاع المصطلح بعد ذلك في أدبيات التنمية والتبعية، خاصة في كتابات مفكري أمريكا اللاتينية، وبعض الكتابات العربية، والرأسمالية الطفيلية اكثر ما تكون انتشاراً في البلدان النامية وهي راسمالية يصعب تحويلها إلى رأسمالية منتجة، وذات ميول رجعية ومحافظة في موقفها من التطور الاجتماعي، كما أنها فئة تشغل موقع الوسيط أو السمسار بين الفئات الاجتماعية. ويتمثل نشاطها الرئيسي في أعمال التوكيلات والوساطة، وتمثيل الشركات الأجنبية. وتعود جذور هذه الشريحة إلى أثرياء الريف والمدن، ولها جذور في الجهاز البيروقراطي للدولة، أي الشريحة القادرة مادياً على تمويل عمليات الأئتمان اللازمة لبداية عمليات الوساطة

* ـ انظر مجلة العربي ـ العدد 334 ـ أيلول 1986 ـ ص 122 ـ 123.

والسمسرة، وتعد هذه الشريحة أهم عائق في تطوير أدوات وطاقات الانتاج، لتعارض هذا التطور مع مصالحها المرتبطة بالشركات الأجنبية التي تهدف إلى هدم الصناعات الوطنية، وتحويل الدول النامية إلى مجرد مستورد تابع غير قادر على الاستقلال الاقتصادي.

أعمال هذه الشريحة تفسد المجتمعات بنشر قيم الاستهلاك الترفي، وقيم اجتماعية معوقة للعمل الانتاجي، كما تسهم في تخريب الاقتصاد الوطني، بالمضاربة في العقار وتجارة العملة والتهريب، بالاضافة إلى أنها تظل مهما نمت وتضخم حجم استثماراتها مجرد تابع للرأسمالية العالمية بكل أهدافها.*

* * *

«العملات الصعبة لماذا هي صعبة»

يعد الدولار الأمريكي والجنيه الاسترليني والين الياباني والمارك الألماني وغيرها كثير، من العملات الصعبة، وذلك لأنه لا توجد قيود مفروضة على التعامل بهذه العملات الصعبة، واستبدالها بعملات أخرى خارج حدود بلادها، وبذلك فان كل عملة حرة هي عملة صعبة. ولتوضيح ذلك يقول : إن العملات الحرة هي تلك العملات التي يتم التعامل بها رسمياً في عمليات الاستيراد دون الحاجة إلى اتفاقيات نقدية خاصة. وفي الغالب يكون مركز العملة ثابتاً في الاسواق نتيجة لمتانة مركز غطائها الذهبي أو الاقتصادي. أما عندما تفرض قيود على التعامل بعملة بلد ما في الخارج فانها تصبح غير حرة.، وهذا الاجراء تضطر إليه كثير من الدول النامية، لحماية

---

* استخدمنا قاموس العربي في معظم تعريف الكومبرادور - مجلة العربي عدد 329 نيسان 1986.

- كما استخدمنا معجم الشيوعية العلمية لنفس الغرض.

نقدها من التدهور، نتيجة لاختلال ميزان مدفوعاتها، ولعوامل اقتصادية كثيرة اخرى. والمعروف أن العملات الحرة أو الصعبة لها أسواق دولية، أهمها في جنيف ونيويورك وسنغافورة وطوكيو، ويتجدد سعر هذه العملات يومياً في الاسواق، فهي بين هبوط وصعود دائماً نتيجة عوامل اقتصادية أو دولية تؤثر في اسواق المال.(1)

* * *

«الأزمة الاقتصادية»

مفهوم الأزمة الاقتصادية: إن المتفق في المبادىء الاقتصادية أن مفهوم الأزمة الاقتصادية يتضمن حالة اختلال توازن بين حالتين متغيرتين هما:

1ـ التغيير الذي يطرأ على الانتاج الذي يمثل العرض الكلي.

2ـ التغيير الذي يطرأ على الاستهلاك أو التصريف الانتاجي والفردي الذي يمثل الطلب الكلي. وهو اختلال ينعكس ويظهر على صورة غلبة العرض وزيادته عن الطلب، أو ينعكس في شكل تقلص العرض أو عجزه عن تلبية الطلب.

الحالة الاولى تحدث في الاقتصاديات السلعية، وفي الظروف العادية. ومن مظاهرها انخفاض الأسعار، وهبوط معدل ومستوى استغلال الطاقات الانتاجية، وتخفيض عدد العمال أو تسريحهم. وهو وضع يعكس حالة الركود أو التقلص.

أما الحالة الثانية فتعطي نتائج مخالفة للحالة الاولى، ويعبر عنها بحالة الانتعاش أو الرواج.

---

(1) ـ مجلة العربي ـ العدد 356 ـ ص 126 ـ 1988.

ويجب أن لا يفوتنا أن العثرات الاقتصادية الطارئة لا يمكن أن نطلق عليها إسم أزمة في ديناميكية التطور الاقتصادي والتنمية يمكن أن تحدث اختلالات توازنية مؤقتة . بنما الأزمة الاقتصادية تمثل حالة اختلال توازني مزمن نتيجة عاهة في البنية الاقتصادية.

ويجب أن نميز بين الازمة الاقتصادية في البلدان الراسمالية، وبين الأزمة الاقتصادية في بلدان العالم الثالث.

1- الازمة الاقتصادية للراسمالية لها طابع عام يشمل كل جوانب العلاقات الرأسمالية: الاقتصاد وكيان الدولة والبنية الاجتماعية والسياسية والايديولوجيا. ولكن على الصعيد الاقتصادي الخاص هي أزمة أسلوب الإنتاج وازمة بنيوية هيكلية ناتجة عن حالة الصراع الطبقي لاستغلالي الذي يتسم به النظام الرسمالي. ومصدر الازمة يحدث على صعيدين:

الأول: يدور حول توزيع الناتج الصافي بين طبقة العمال وطبقة الرأسماليين.

الثاني: يدور حول التنافس على الارباح الذي يخلق حالات التضارب في قدرات الانتاج بين الرأسماليين، ويشيع الفوضى وعدم الاستقرار في سوق السلع، الامر الذي يؤدي إلى حدوث اهتزازات اجتماعية دورية تتمثل في الاضطرابات المتكررة، وتحدث أيضاً حالات الافراط في الانتاج بشكل دوري.*

وتحاول الرأسمالية أن تعالج أزماتها الاقتصادية الأول عبر تدخل الدولة - الثاني عبر تصريف هذه الازمات إلى العالم الثالث.

إن الأزمة الاقتصادية الرأسمالية الراهنة هو فائض الانتاج على صعيد انتاج وسائل الانتاج أو على صعيد انتاج وسائل الاستهلاك.

---

* - للتوسع انظر - الأزمة الراهنة والوجه الآخر / د. هشام مهروسة / دراسات عربية العدد 3 - كانون الثاني 1988.

2- إن الأزمة الاقتصادية لبلدان العالم الثالث هي أزمة شاملة ويمكن تلخيصها بالتخلف وهي أزمة بنيوية تشمل مجالات عديدة سياسية واجتماعية واقتصادية. إن طابع الازمة الاقتصادية لبلدان العالم الثالث هو عجز الانتاج في قطاع وسائل الانتاج وانتاج وسائل الاستهلاك في آن واحد. ويتمثل ذلك في أن عرض وسائل الانتاج أقل من الطلب الكلي عليها لأن البلدان المتخلفة تكاد لا تنتج في هذا القطاع إلا المواد الأولية، التي تصدرها إلى الخارج. بينما تتبع هذا الأخير في استيراد وسائل جميع وسائل الانتاج الاخرى، وعلى الأخص السلع الاستثمارية، فهي إذن بلدان عاجزة محلياً عن تغطية حاجاتها إلى المواد الانتاجية الضرورية للانتاج والتنمية، وهذا هو الشكل الأول لحالة عجز الانتاج. وكذلك عرض انتاج قطاع وسائل الاستهلاك أقل ايضاً من الطلب عليها. ويبدو ذلك من ضعف مستوى اشباع الحاجات الاستهلاكية في البلدان المتخلفة الذي ما زال أقل في الحد العادي بسبب ضعف وتيرة الاستثمار والنمو الديموغرافي السريع البالغ 3٪ سنوياً وما زال أكبر جزء من سكانها نحو 75٪ على الأقل يشكو من نقص التغذية.

* * *

«التاريخ الاقتصادي»

هو جزء من التاريخ العام. حسب المفهوم الماركسي. إن التاريخ الاقتصادي أو تاريخ الاقتصاد الوطني، تعبير عن العلوم الاجتماعية - الاقتصادية، وهو كما يدل عليه إسمه، علم يتعلق بكل من علم الاقتصاد وعلم التاريخ في آن واحد.

إن النظر إلى التاريخ الاقتصادي كعلم تاريخي خاص يجعله يدرس تطور قوة

الانتاج في وحدتها الجدلية أيضاً مع علاقات الانتاج، انما في فترة معينة، وبالضبط في الملموس التاريخي، أي في بلد معين وفي اطار فترة تاريخية معينة وعبر تتابع الاحداث للفترة التاريخية المعينة.* (1)

ويتوجب اعطاء أهمية خاصة لملاحظة ماركس في رأس المال حول معنى وأهمية أدوات الانتاج من أجل وصف وتمييز المراحل التاريخية المختلفة للانتاج الاجتماعي «فالواقع كما يقول ماركس، إن المراحل الاقتصادية تتميز، ليس فقط بما ينتج، وبأية وسائط عمل. فوسائط العمل ليست مقياساً لتطور قوة عمل الانسان، انما أيضاً المؤشر لعلاقات الانتاج التي يجري في ظلها العمل المذكور».

* * *

«العلاقة الجدلية بين البنية التحتية والبنية الفوقية»

هناك علاقة متشابكة بين البنيتين التحتية «الاساس المادي» والفوقية «الأساس السياسي». وعلى الرغم من نسبية العامل الفوقي إلا أنه في البلدان المتخلفة يلعب الدور الحاسم في كبح عملية التغيير الثوري في هذه البلدان. ذلك أن البنية الفوقية أو السقف السياسي في هذه البلدان تقف عقبة أمام كل مساعي الاستقلال الاقتصادي، والتخلص من التبعية واطلاق سيرورة التنمية الوطنية والقضاء على التخلف.

إن السقف السياسي متمثلاً ببقايا الاقطاع والبرجوازية المحلية المستغلة التي تقود الحلف الطبقي الرجعي الداخلي في بلدان العالم الثالث، هي العقبة الأولى والرئيسية

---

(1) ـ رأس المال ـ كارل ماركس ـ الجزء الأول ـ موسكو ـ 1955 ـ ص187.

* ـ في مفهوم التاريخ الاقتصادي/ د. عاطف علبي ـ مجلة العربي عدد2 ـ تموز ـ آب ـ 1978.

والسياسية التي تحول دون التحرر الاقتصادي من التخلف والتبعية للامبريالية. وهذه العقبة كما هو واضح، عقبة سياسية بالدرجة الأولى.

* * *

«الأمن الغذائي»

الأمن الغذائي هو قدرة مجتمع ما على تأمين غذائه ذاتياً، وتوفير الاحتياجات الأساسية منه بسواعد أبنائه وترابه لوطني. بشكل منتظم وفعال عبر انتاج السلع وطنياً، وتوفير حصيلة تراكمية من مردود الصادرات لتوظيفها في استيراد ما يلزم لسد أي فجوة في الانتاج الغذائي الذاتي وبدون ضغوطات أو تهديد من أي قوة خارجية. فالغذاء ليس سلعة اقتصادية فحسب، بل هو سلعة سياسية، فالأمة التي لا تأكل مما تنتج سوف تقع بالتبعية الاقتصادية، وبالتالي يتهدد استقلالها ويصبح قرارها بيد الآخرين.

نحن العرب مكشوفون غذائياً فلا يكاد انتاجنا الغذائي يسد نصف حاجاتنا. فمصر مثلاً من بين كل خمسة أرغفة خبز تنتج رغيفاً واحداً والباقي مستورد وهذا ينطبق على معظم السلع الغذائية الأخرى فقد بلغ ما يصرفه العرب على غذائهم المستورد 40 مليار دولار سنة 1988. وسيرتفع هذا الرقم إلى أكثر من 120 مليار دولار في بداية القرن الحادي والعشرين وهذا يدل على ازدياد تبعيتنا للامبريالية وسلب الارادة العربية وارتهان قرارنا السياسي للدوائر الاقتصادية الغربية التي لا تمدنا بحبة قمح واحدة دون مقابل سياسي يتعلق بحريتنا واختيارنا، واخضاعنا للمشيئة الصهيونية والامبريالية.

إن الثورة القومية الديمقراطية هي وحدها التي يمكن أن تجسر فجوة الأمن الغذائي وتتلافى عجزنا فيه.

«الاشتراكية»

لقد كتب لينين عند تحضير موضوعاته للمؤتمر العاشر في المسودة التي أعدها لنفسه «إن الاشتراكية هي نظام رأسمالي بدون برجوازية». وركز لينين دائماً على أن هناك شرطين لبدء تطبيق الانتقال إلى الاشتراكية هي:

1ـ التصنيع الاشتراكي ونشر التعاون في الريف.

2ـ الثورة الثقافية.

الاشتراكية نمط انتاج يترافق مع بنية فوقية متقدمة وحضارية ويتميز بعلاقات انتاج سلعية عادلة. إن الاشتراكية وجدت من أجل هدفين: حرية الانسان وسعادة الانسان وفي هذين الهدفين يكمن مثال الاشتراكية لكي تظهر أفضليتها على ما سبقها من التشكيلات الاجتماعية الاقتصادية.

النمط الاشتراكي للانتاج: يقضي أن تكون ملكية وسائل الانتاج بأيدي الشعب. وبزوال أو اضمحلال الملكية الخاصة.

حيث تزول الفوارق الطبقية بين أناس يملكون وسائل الانتاج وجماهير واسعة يسحقها الفقر لا تملك سوى قوة عملها. الاشتراكية هي نمط عصري ومتقدم من الحياة. إنها تمثل تتويجاً لأهم الفتوحات الحضارية التي أنجزتها البشرية، إنها مرحلة الانتقال إلى الشيوعية.

القانون الأساسي في الاشتراكية «كل انسان يأخذ حسب عمله» ويصبح العمل والانتاج هما القيم الاساسية للمجتمع الاشتراكي.

الاشتراكية هي انتاج عادل وتوزيع عادل. إنها نمط متقدم من المجتمعات المنفتحة على التصور دائماً. المجتمعات التي تنفي استغلال الانسان للانسان وتعتبر الانسان محور الكون. الاشتراكية لا يمكن أن تنهض إلا على قاعدة اقتصادية متقدمة، وعلى خلفية ثقافية وسياسية وحضارية عصرية.

«في معظم بلدان العالم الثالث ومن ضمنه الوطن العربي، اختزلت الاشتراكية إلى تأميم أو اصلاح زراعي باجراءات فوقية بيروقراطية على أرضية تقليدية متأخرة».(1)

* * *

«العمل الاشتراكي»

العمل إرادة انسانية واعية ومنظمة. في ظل الاشتراكية يصبح العمل في المقام الأول حاجة إنسانية للجسم السليم من جهة، ووسيلة للحياة سواء بالنسبة للمجتمع ككل أو لافراده، في سياق العمل تبنى وتتشكل قدرات الانسان الخلاقة وتأخذ طريقها نحو النضوج والتطور. إن العمل هو نشاط انساني يساعد على تفتح قدرة الانسان على الخلق والابداع. فتطوير كافة القوى والقدرات البشرية يشكل الهدف الحقيقي للعمل الاشتراكي.

أما صنع الخيرات المادية والروحية فليس إلا وسيلة لتحقيق هذا الهدف فالعمل يكف عن كونه أمراً تمليه الضرورة القاسية أو الدوافع والاهداف الخارجية، وانما يغدو

---

(1) ـ في المسألة القومية الديمقراطية ـ ياسين الحافظ ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ 1981 ـ ص 59.

مضموناً ومحتوى لحياة الانسان. وهنا يغدو نشاط الانسـان كـلاً متكـاملاً بطابعـه، مما يتطلب التفتـح الحر لكافـة مواهبـه واستعداداته الروحيـة والجسـديـة، ويفـترض العمـل الاشـتراكي مسـؤولية الفـرد الاجتماعيـة والانضبـاط الطوعـي، أي مستوى عالياً مـن التنظيم النابع عضوياً من مصالحه واهتماماته. أما المقدمة الموضوعيـة لتحـول العمـل إلى حاجة أولى فهي تبديل ظروف العمل المادية التكتيكية والاجتماعية، ممـا يـؤدي إلى نمـو هائل في انتاجية العمل وإلى تغيير مكانة الانسان في منظومة الانتاج. ومن هذه الظروف يأتي التطبيق الواسع لأرفع منجزات التكتيك المعاصر في كافة ميادين الانتـاج، والتنظيـم العلمي لكافة العمليـات الانتاجيـة وتذليـل الفـوارق الهامـة بـين العمـل الذهـني والعمـل الجسدي، وبين المدينة والريف، وزيادة وقت الفراغ..

إن للعمل فلسفته التي تتعدى تأمين الحاجـات الاسـتهلاكية فقـط، وهـي الحاجـة الانسـانية له، فقيمة الانسان لا ترتقي ولا تسمو إلا به، والحياة لا تتطـور إلا بمـا نبدعـه ونضيفه. إليها من علم وعمل. بالعمل يتجدد الانسان ويتعمق وعيه ويتسع أفقه ويشعر بالوجود واستمرارية الحيـاة وديمومـة التواصـل والتفـاعل بينـه مـن جهـة، وبـين الطبيعـة والمحيط الذي يحيى فيه من جهة أخرى.

* * *

«الاغتراب»

يقول هيغل «الاغتراب غربة عن الذات، ويطلق عليه استلاب، بفعـل حالـة السـلب التي تظهر فيه على شكل عوز في الحضور الذاتي، كأن الشخص المغترب شخص مسـلوب إلى آخر».

ويسوي هيغل بين الاغتراب والتموضع، إذ يرى أن الانسان يتموضع، أي يصبح موضوعاً، في نفس عملية تخارجه، إن «الاغتراب» برهة سلبية ضرورية لانتشار العقل المؤلف للواقع، وان السلب، والالم، والموت أشياء معقولة، لأنها أجزاء من المطلق، أي هي حقائق لا يمكن تعديلها.(1)

فالاغتراب أو الاستلاب هو مفهوم اقتصادي فضلاً عن أبعاده الفلسفية. لقد انطلق ماركس من مفهوم الاغتراب لينتهي إلى حتمية الثورة البروليتارية من خلال انفصال كلي عن المجتمع البرجوازي، لكن انفصال البروليتاريا الذي أشار إليه ماركس لم يتحقق كلياً وبقيت العلاقة قائمة بين البروليتاريا والانتلجنسيا بصورة جدلية. أما الاغتراب الثقافي، فهو الايمان بنظرية أو مذهب جاهز من الناحية المجردة دون مطابقتها للواقع على الصعيد العملي المستهدف تغييره. هذا الاغتراب لا نعتقد أنه يحصل للمثقف الثوري الواعي قومياً وكونياً، والمدرك لأهمية دوره في إحداث عملية التغيير الاجتماعي الذي ينطوي على تقديم فكر واقعي متطور. إن أخطر الاستلاب لم يعد أمام تفوق الآخر التقني والعسكري، بل أصبح يتصل بماهية الذات، أي بالكينونة والهوية، أي بمقومات وجود الأمة، وبتجسيدها القومي والسياسي بدولة واحدة. لقد أصبح الاستلاب ظاهرة ضمور وتدهور وانقراض الاغتراب انفصال وانغلاق وعزلة واختلال توازن بين الذات والموضوع وعرقلة لعملية التقدم التي تتطلب الانفتاح والتفاعل مع المجتمع بهدف التغيير.

* * *

---

(1) ـ انظر فلسفة هيغل ـ ولتر ستيس ـ ترجمة عبد الفتاح إمام 1975.

«حركة الأنوار»

في أواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر كانت أوروبا قد سئمت الحكم الاستبدادي الذي كان يسودها في ذلك الحين على يد الملوك والنبلاء والقساوسة الذين حطموا روح الشعوب.

وحينئذ بدأ العلماء والفلاسفة في بث آراء جديدة عن دور الدولة وعن حق الانسان في عرض رأيه في مختلف شؤون الحكم.[1] وقد سميت هذه الحركة «حركة التنوير الاوروبية». وكانت الصفة الاساسية لها هي السعي من أجل تحرير العقل الانساني من القيود السابقة الخاصة بالايمان، ومن عبث الارث التقليدي الموجود، وجعل الحياة علمانية وحرة.[2] وقد اعتبرت حركة التنوير الاوروبية أن العقل هو مضمون وغاية الانسان، وأنه الاداة الرئيسية لبلوغ الحقيقة، ومن أجل خلق مجتمع اصلاحي. وقد حارب دعاة فكر التنوير الاستبداد الخاص بمبادىء الكنيسة، وكل الاراء التي أثرت في ذلك العهد على الفكر الانساني، وحياة الفرد والجماعة والدولة، ونفثوا في نفوس وقلوب قرائهم حب الحرية. ومن هنا بدأت النزعة العقلانية تظهر وتنمو في القارة الاوروبية. وفي مواجهة الكنيسة والقطيعة معها، ومع مرور الزمن انسحب الدين من الحياة الاجتماعية وأصبح مجرد فكرة وجدانية ومشاعر شخصية. وأصبح الدين

---

(1) ـ تحطيم العقل ـ جورج لوكاتش ـ ترجمة الياس مرقص ـ دار الحقيقة1981 ج2/ص 11 وما بعدها.

(2) ـ الحضارة على مفترق الطرق ـ رادوفان ريشته ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق 1975. ص 23 وما بعدها.

الجديد العصري هو «العقل» و «المنطق» وكان أعظم رجال عصر الانوار : ـ ديدور ـ فولتير ـ جون لوك ـ جان جاك روسو وغيرهم.

* * *

«الفلسفة»

الفلسفة هي البحث في الوجود وماهية هذا الوجود وعلاقة الانسان به من ناحية التأثر والتأثير. كما هي من جهة أخرى البحث فيما وراء الوجود المادي والما ورائي. وكلمة فلسفة يونانية تعني «محبة الحكمة» «في رسالة ـ ما هي الفلسفة، وهي محاضرة القاها هيدجر عام 1955 في شمال فرنسا، ثم نشرت عام 1956 ـ قال : «أن أفضل سبيل إلى تعريف الفلسفة في نظره، هو مواجهتها من حيث صلتها بحياتنا...

إن كلمة فلسفة تدل على الرابطة التي بين الانسان والعالم، بين الفكر والطبيعة... إن «الموقف الفلسفة» في نظر هيدجر، موقف عقلاني، ولا ينبغي أن يكون عاطفياً، أو لا معقولاً.

إن الفلسفة ثمرة العقل، ومن عمله، ونحن من خلال فعالية العقل نتعرف على طبيعة العقل، والأجدر بنا بدلاً من الترسل في عقلانية الفلسفة أو المعرفة العقلية، أن نتبين صلة الفلسفة بحياتنا. يقول «برديائيف» إلى أن «الفلسفة» كي تكون واقعية صادقة، فلا بد من أن تقلع عن صب الوجود في القوالب العقلية الجامدة، من أجل الرجوع إلى خبراتنا الوجودية نفسها، وتجاربنا الشخصية. إن «الفلسفة» كما يقول «برديائيف» لا يمكن أن تكون عضوية، أو نفسية، او اجتماعية، وإنما هي أولاً، وبالذات «انتربولوجية» أي انسانية، بمعنى أنها بحث في الانسان، والمعنى، والمصير... إنها معرفة الوجود من خلال الانسان.

يذهب موريس «بلونديل» أن «الفلسفة» من طبيعتها إنسانية ليس بمعنى أن تأتي بالانسان إلى مدرسة الفيلسوف ولكن بأن نأتي بالفيلسوف هو نفسه إنسان، فلا بد من أن تتدخل حياته الخاصة والعامة في فلسفته. والفلسفة أيضاً استشفاف من مستقبل حاضر، يجعل منه حضوراً، به يتقدم السلوك، أو تتقدم الممارسة النظرية والعملية، على حد تعبير ماركس»[1] واخيراً الفلسفة كتاب الوجود وعلاقة الانسان الجدلية بهذا الوجود وحقيقة تأثر الانسان بهذا الوجود والتأثير فيه في آن واحد.

* * *

«الأسطورة»

الأسطورة قصة خيالية خصبة في التصور عن الآلهة أو القوى الخارقة «ما وراء الطبيعة» تروي صفاتها وميزاتها في وجودها، أو في ارتباطها بعضها ببعض، يذكر الدكتور بديع الكسم أن جو سدروف في كتابه الاسطورة والميتافيزيقيا يؤكد على واقعة أن «الأسطورة» هي الحقيقة، بالنسبة إلى انسان الفترة الاسطورية، وان وظيفة الوعي الاسطوري هي غرس الانسان في الطبيعة وكفالة وجوده المعرض للخطر، والشقاء والموت، وان الأسطورة هي تبرير للموجودية تؤسس الزماني على اللازماني، كما تؤلف مبدأ لمعقولية كافية، بواسطة قبلية انطولوجية، أو حقيقة سابقة في القيمة. والاسطورة أيضاً هي التجلي الفكري الأولي للانسان الذي استطاع بواسطتها تفسير الواقع وتهوينه أو تضخيمه، وهي الصورة التي تحتوي كل أفكار هذا الانسان حول

---

(1) ـ انظر الفكر الوجودي عبر مصطلحاته / عدنان بن ذريل ـ منشورات اتحاد الكتاب العرب ـ 1985 ـ ص 204.

الطبيعة وما وراء الطبيعة والمجتمع. وتعتبر الاسطورة فلسفة الانسان الأولي وان كانت فلسفته مثالية وغير علمية. والاسطورة في مفهومها البسيط، هي تجسيد لتصورات شعبية عن حادث أو شخصية في مرحلة تاريخية محددة، وهذه التصورات تأخذ حجماً تراكمياً مع مرور الزمن وتترسخ في الذاكرة الشعبية ويتدخل الخيال الشعبي ليضيف عليها مبالغات ضخمة من صور الامجاد والبطولات فتحولها من صفتها الواقعية إلى اللاواقعية.

والأسطورة تختلف عن التاريخ، فالاسطورة جامدة، بينما التاريخ حركة مستمرة.

* * *

«انطولوجيا ـ Ontologie»

معنى الكلمة الحرفي هو علم الوجود صنعها ونحت حروفها عقل أكاديمي في القرن الثامن عشر، وهي فرع من الفلسفة تبحث في واقع الوجود وتحلياته بصورة موضوعية، أي كما هو واقع وموجود. والانطلوجيا موضوع موغل في القدم، وقد عبر عنه أرسطو طاليس وكان السكولاستيون يطلقون على هذا القسم الموضوعات المتعالية، أي هذه التحديدات الوجودية المشتركة بين الموجودات.

«وقد استعمل هذا المصطلح من جديد باسم «علم الوجود» وساعد على استعماله وابداع مرتكزاته «كلوبيرج» ثم استعمله وولف، ويعني هذا العلم بالتصنيفات المجردة اكثر مما يعني بتحسس الواقع الحسي. ويقول أنطون مقدسي :«إن مشكلة الأنطولوجيا، أو بالأحرى مشكلة الوجود قديمة قدم التفكير الفلسفي، وصاغها من

جديد هيغل منطقاً كلياً، إذ وحد بين الفكر والوجود. وتجاهلها «كارل ماركس» مع أنها قائمة في الأفق البعيد من فلسفته. إن «هيدجر» ثم «سارتر» حاولا بعث «الانطولوجيا» كذلك على أسس تتجاوز الأزمة اكانطية، وتعيد للفكر الفلسفي دوره في انشاء الحضارة.(1)

* * *

«يوتوبيا»

وتعني الطوباويين نسبة إلى الكلمة اليونانية «utopia» التي تعني مكاناً غير موجود. أول من استخدم هذا المصطلح العالم الانكليزي «توماس مور 1478 - 1535» في كتابه «عمل مثمر وممتع لأفضل دولة». وقد أطلقت الكلمة على ما هو مستحيل التحقيق. والمعنى المقصود هو «المدينة الفاضلة» التي تخيل افلاطون اقامتها على الأرض. وقد تخيل توماس مور دولة تسود فيها الملكية العامة ويقوم فيها الانتاج على أساس الحرف، ويعيش الناس تحت إدارة ديمقراطية ويتمتعون بالسماواة لا فرق بين المدينة والريف أو بين العمل الذهني والعمل الجسدي. يعمل «6 ساعات» ويكرس الباقي للعلم والفن. ويجب دمج النظرية في العمل التطبيقي وهي تعني «العالم الآخر».

واستمر البحث عن نظام اجتماعي مثالي، إذ أن فلاسفة القرن الثامن عشر مثل «فيلون» انطلقوا لاكتشاف المدينة المثالية بعد أن هجروا السياسة الوضعية.

والتخيل باقامة مدينة فاضلة لم يقتصر على الاوروبيين فقد تخيل بعض العلماء

---

(1) ـ الانطولوجيا ـ مجلة العربي ـ عدد 23 / 4 شباط 1994.

العرب هذه المدينة الفاضلة ومنهم الفارابي وابن طفيل.

* * *

«الحياة»

الحياة هي الوجود الحي الواعي الفاعل على هذه الأرض والهدف من الحياة هو استمرار الجنس البشري وسعادة الانسان. وفي سبيل هذين الهدفين يناضل الانسان من أجل بناء عالم يسوده السلام وتتحقق فيه العدالة.

والحياة لا تقاس بعدد السنين التي يعيشها الانسان، وانما تقاس بما يقدم من عمل مفيد ذهني أو عضلي وما يبذل من عطاء وما يجترح من ابداعات واضافات جديدة خلال هذه السنين. فقد تمتد الحياة بانسان ما قرناً من الزمن دون أن يكون لوجوده أي معنى سوى الأخذ والاجترار والاستهلاك. بينما قد يعيش انسان آخر عمراً قصيراً لكنه حافل بالنضال والكفاح والانجازات الكبيرة والاعمال العظيمة التي تسدي خدمة جليلة للبشرية إن حياة بلا وعي، بلا هموم انسانية، بلا تفكير بالصالح العام والمشاركة في صنعه، بلا نضال وتضحيات وتعب وعطاء، هي حياة لا تستحق أن تذكر أو تعاش. وحين يكف الانسان عن البذل والعمل ودفع حركة التطور إلى الامام قدر استطاعته، يكون قد فارق الحياة الحقيقية ولو أن قلبه بقي ينبض بوجوده المادي اللا مجدي.

«الفن»

الفن ليس صوراً وألواناً وخطوطاً شكلية، بـل يجب أن تكـون هـذه بانسـجامها تعبيراً عن معاناة الانسان ومعتقداته وقيمه ونظمـه في بنـاء مجتمـع أفضـل تتجسـد هـذه التطلعات بأشكال فنية متعددة كالرسم والنحت والتصوير والعمارة وحتى الزخرفة التي تبعث في النفس التحفز للابداع والبهجة والأمل.

الفن كما عرفه ماركس «هو الذي يثير في النفس أقصى درجات الفرح».

لينين وجه أعنف نقد للفن التجريدي عند بداية ظهوره لاتجاهه غير الانساني. في معرض دولي بلوزان عام 1916 شاهد إحدى الصور تبعثرت فيها مجموعة من السيقان ورسخ وألوان مبعثرة. وفي كلمات واضحة وموجزة مع كلارازيكتن قال «لا أسـتطيع أن اعتبر مؤلفات المدرسة الانطباعية والمستقبلية والتكعيبية وغيرها مـن المـدارس المماثلـة غاية العبقرية الفنية. إني لا أفهمها وهي لا تبعث في نفسي أي شعور بالفرح.

والفن كما عرفه شلوفسكي «هو دراسة العالم، هـو امكانيـة استيقاف الانسـان بغية أن تفهم من هو، ماذا يرى وإلى أين يسير. في الفن ليس مهماً أن ثمة انسان ما، بل المهم أي إنسان هو ».(1)

الفن ليس مجافاة الواقع أو عملية فرار منه، بل هو مواجهـة الواقـع ومحاولـة تذليـل صعوباته وبالتالي السيطرة عليه والتأثير فيه، بقصد التغلب على مشـاكله وصعوباتـه. إن

---

(1) ـ الماركسية والأدب ـ دكتور غالي شكري / ص 74 ـ 75.

الفن قدرة على احياء كل الطاقات الواقعية واستنفارها من أجل التقدم وهو مفتاح كينونة تخترق الاشكالات كلها وإلا لما بقي من آثار الحضارات ينبيء عن عظمة الانسانية وبقائها في عالم من الفناء المستمر».

الفن العظيم هو القادر عن التعبير عن روح الثورة.

يقول فيلسوف الجمال الماركسي «سدني فنكلنشيم» «إن الفن يستطيع أن يقوم باكبر دور فعال في تغيير العالم وبإحلال السلام على الأرض وتطوير الشعب تطويراً لا حدود له، ذلك التطوير الذي سيجعل السلام ممكناً».(1)

* * *

«التخطيط»

التخطيط جهد إنساني جماعي واعي موجه ومخطط له سلفاً. يهدف إلى تحقيق مصلحة مشتركة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية بوسائل علمية وفنية وتقنية متعاضدة مترابطة. كذلك إرادة اجتماعية تنفذ وتتجسد عن طريق اسهامات عديدة هادفة وعقلانية معروفة مسبقاً لدى منفذيها.

إن ظروف التخطيط واساليبه وشروطه وأدواته تختلف حسب المكان والزمان، أي تختلف من دولة إلى دولة ومن مرحلة إلى مرحلة. إن المطلوب من التخطيط الانمائي هو القضاء على الفوضى الاقتصادية والاجتماعية وازالة أسباب الخلل في الانتاج، وتحقيق التوازن في اعادة توزيع عوائد التنمية بحيث تستفيد منها الفئات المنتجة، كما أن

---

(1) ـ الواقعية في الفن ـ اصدار وزارة الثقافة السورية ـ دمشق.

المطلوب من التخطيط القضاء على الفروق بين الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية. إن التخطيط اسلوب علمي منظم قابل للمعرفة، بل نستطيع أن نقول إنه معروف لأن كل من يمتلك عقلانية أصبح بقدر أو آخر ينهج هذا الاسلوب في شؤونه الحياتية. أما انتهاج التخطيط في ميادين الانتاج والادارة والاعمال المتعددة الوظائف فقد أصبح أمراً شبه بديهي، بل روتينياً. وذلك لان الأسلوب العلمي هو «التخطيط» ولا يعني اكثر من ذلك، وطبيعي أنه مع الاعتراف بالتخطيط كاسلوب علمي يحقق النجاح في كل المجالات، تختلف طبيعة الخطط وعناصر تنفيذها تبعاً لتغير المجالات التي تطبق فيها.(1)

وما دامت السياسة علماً فهي تخضع بشكل أو آخر للتخطيط فالاسلوب العلمي في العمل السياسي يتضمن عناصر ثلاثة لازمة متكاملة هي «النظرية ـ الاستراتيجية ـ التاكتيك» تلك عناصر الاسلوب العلمي في العمل السياسي التي لا بد من توافرها لتحقيق العمل السياسي الناجح على سبيل المثال.

ولا بد من القول إن عملية التخطيط إرادة سياسية أيضاً لأن التخطيط الشامل شرط مبدئي نحو التقدم.

فالتخطيط بوصلة العمل في الاتجاه الصحيح الذي لا يخطىء الهدف وان وقع الخطأ فان آثاره لا تكون كارثية كما يحصل في العديد من المشاريع العشوائية في بعض بلدان العالم المتخلف. إن حدوث الخطأ في اطار العمل المبرمج المحسوب أمر وارد لكنه ليس فاجعاً لأنه يمكن حصره والسيطرة على مضاعفاته التي غالباً ما تكون هامشية وفرعية.

---

(1) ـ التخطيط ـ نزار نجار ـ 1984 ـ ص 20 ـ 30.

«سكان لبنان»

تعيش في لبنان «15 طائفة» مختلفة على مساحة «10452كم2» وجاء في دراسة بقلم ايف كرباج وردت في كتاب «الوضع الديمغرافي في لبنان» أن عدد السكان المسلمين في لبنان عام 1975 بلغ مليون وخمسمائة وثلاثين ألف نسمة أي حوالي 60٪ من السكان. بينما بلغ عدد السكان المسيحيين مليون وعشرين ألف نسمة. واحتلت طائفة الشيعة التي تمثل 27٪ من السكان المركز الأول في قائمة توزيع السكان في لبنان. وتبعتها طائفة السنة 26٪ ثم الروم الارثوذكس 7٪ لكل منهما، ثم الروم الكاثوليك 5٪، ومسيحيون آخرون 5٪. ويقدر عدد سكان لبنان في الوقت الراهن ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة.

كما ترتفع نسبة الخصوبة بشكل واضح في مناطق الشيعة.

وتعتبر الطائفة المارونية أفضل الطوائف توزيعاً في لبنان وإن كانت اكثر كثافة في المناطق الحضرية منها في المناطق الريفية.

* * *

«الموارنة»

المارونية ليست قومية كما تفهم القومية في العصر الحاضر، المارونية هي طائفة أوكنيسة مسيحية موجودة في لبنان وبعض أجزاء من فلسطين وسوريا وقبرص. ومشكلة الموارنة مشكلة هوية لو حدثت أغلبية مفكريهم وكتابهم فسترى ان كل

واحد منهم ينفرد برأيه. فقلة منهم تقول نحن عرب ـ وفئة أخرى تقول نحن فينيقيون ـ والبعض الآخر يقول نحن مسيحيون ـ والآخر يقول نحن مرده...الخ.

تاريخياً الموارنة آراميون قدماء تابعون للأمة الآرامية التي سميت فيما بعد بالسريانية، أي بعد دخول المسيحية إلى لبنان، وهم كانوا يتكلمون اللغة السريانية، وكنيستهم كنيسة مسيحية سريانية آرامية. ولغتهم الدينية لغة سريانية كما تدل على ذلك طقوسهم وشعائرهم». الفنيقيون هم آراميون أيضاً وكلمة فينيقية هي صفة للاقوام الآرامية وقد أطلقها اليونان على بعض الآراميون الذين كانوا ينتجون الصباغ الأرجواني. والآراميون هم أقوام سامية مثل العرب والاكاديين والاشوريين كانت لهم دولة زمن التي هي دولة آرام. وآرام كانت تشمل لبنان وفلسطين والاردن وشمال العراق وجنوب تركيا. ثم تفرق الاراميون مع الزمن. فقسم منهم تعرب وصار يتكلم العربية لغة الضاد، وقسم آخر ظل على آراميته مثال سكان معلولة قرب دمشق.

إن حقائق التاريخ تثبت أن الموارنة عرب منذ ما قبل الاسلام وبعده، والعروبة ليست عرقاً بل هي كامنة في تاريخهم وتراثهم ولغتهم وقدرهم»[1] .

* * *

---

(1) ـ انظر مجلة المستقبل ـ عدد تموز ـ عام 1986 .

«المذهب الشيعي»

الشيعة فئة من المسلمين ناصرت آل بيت الرسول وعلى رأسهم علي بن أبي طالب واولاده وتعصبت في تأييدهم وحقهم في امامة المسلمين. وقاتلت في سبيل هذا الحق الأمويين والعباسيين. أسس الشيعة مذهبهم السياسي ـ الديني على القول بـ «الوصية» و «عصمة الامام» و«وراثة النبوة» و«التقية».

يؤمن الشيعة «بالوصية» والوصية معناها أن الرسول (ص) أوصى لعلي بن أبي طالب من بعده.

ويؤمن الشيعة بالعصمة، أي عصمة آل بيت الرسول من الخطأ والقوع في الفساد وتمتد هذه العصمة إلى الأئمة، وتعتبر العصمة لديهم أحد أركان الايمان.

ويقول الشيعة بالتقية، أي الموافقة على أمر معين دون القناعة به والعمل سراً بخلافه.

ويقول الشيعة بوراثة النبوة الشيء الذي يستتبع مباشرة «الأحقية في وراثة الخلافة» يساوي «الحكم».

ولقد وجد الشيعة في «الهرمسية» المعين الذي لا ينضب الذي استمدوا منه فلسفتهم «النبوية» ولذا كانوا أول من تهرمس في الاسلام حسب عبارة ماسينيون. «فلقد بدأ تهرمس الشيعة في وقت مبكر «أوائل القرن الثاني - أواخر العصر الأموي» وبالخصوص مع الغلاة، الذين وظفوا أفكار هرمسية على نطاق واسع بما في ذلك فكرة «المعلم» التي تعادل فكرة الوصي أو الامام، وفكرة التطهير والعرفان وفكرة الاله المتعالي ذاتها وإذا كان بعض

الغلاة قد استعملوا عبارات تفيد «التجسيم» في كلامهم عن الله، فلقد كان ذلك فقط من أجل نقل الألوهية أو بعض صفاتها إلى «الامام» ومعنى ذلك تأليه الامام بالمشاركة، والهدف مشاركة الامام بشكل ما في الالوهية، هو تقرير وتأكيد اتصاله المستمر بالله وتلقي «العلم» منه. وقد قال بهذا التجسيم المغيرة بن سعيد الجبلي مثلاً، وهذا التجسيم لم يكن تجسيماً بالمعنى الحرفي للكلمة وإنما كان وسيلة لبيان واستمرار الوحي في أشخاص الائمة. إنه جعل لله أعضاء على عدد حروف الهجاء وهيئتها، فكأنه يريد أن يقول إن الوحي انما هو نزول الله نفسه إلى النبي أو الامام، وإن كل كلمة يتلقاها إنما هي حلول يستمر باستمرار الوحي. لقد استنكر الامام الشيعي الأكبر جعفر الصادق المتوفي سنة 148 هـ هذا الغلو، ويعتبر الامام جعفر الشخصية العلمية الشيعية التي اشتغلت أكثر من غيرها بتنظيم المذهب الشيعي ورفع الشبهات عنه. وهكذا لم يتردد في طرد أبي الخطاب أحد تلامذته ودعاته الكبار والبراءة منه حينما أخذ يظهر الغلو بشأنه وينسب إليه «علم الغيب» ويدعي في حقه حلول الاله فيه. ورغم أن جعفر الصادق استنكر هذا الغلو إلا أنه لم ينف عنه ولا عن أئمة الشيعة «وراثة النبوة» أي الاستئثار بفهم حقيقة الدين «وباطن» القرآن، وبالتالي فهو لم يمس في شيء «العرفان» الشيعي بل أكده واضفى عليه نوعاً من المشروعية الدينية والاسلامية. لقد كان يرى للأئمة منزلة روحية سامية تقترب من منزلة النبوة إلا أنهم ليسوا أنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي، أما ما عدا ذلك فهم بمنزلة النبي نفسها (....) بل إن الكليني الذي ذكر هذا ـ يروي لنا أن الامامة حلقة في سلسلة النبوات في العالم كله» ناسباً هذا القول إلى الامام جعفر الصادق نفسه. وفي هذا المعنى يقول هنري كوربان الخبير بالفكر الشيعي «فكل الناس في الاسلام ينادون بأن دورة النبوة قد ختمت مع خاتم النبيين، أما في التشيع فان ثمة دورة ثانية هي دورة الولاية (...) وفي الواقع (...) فان ما ختم فعلاً بالنسبة للمؤلفين الشيعة ليس سوى النبوة التشريعية، أما النبوة بحصر المعنى

فتعني الحالة الروحية لمن كانوا يدعون فيما قبل الاسلام بالانبياء وندعوهم الآن فصاعدا بالاولياء، والاسم وحده هو الذي تغير أما الشيء فباق. لقد كان جعفر الصادق يرى هذا الرأي مثله في ذلك مثل جميع الائمة الشيعيين، غير أنه كان يرى ضرورة التقيد بمبدأ «التقية» في هذه المسألة التي يعتبرها سراً من الأسرار التي لا يجوز التصريح بها خصوصاً والشيعة تحت رقابة خصومهم العباسيين ومنافسيهم أهل السنة. ويروي عنه أنه قال «وددت وا لله لو أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي «النزق وقلة الكتمان» وقال أيضاً «ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته عن غير أهله». ومع جعفر الصادق تم تنظيم المذهب وصياغة اطروحاته صياغة نقية. وهنا نصادف شخصية قوية قامت بدور حاسم في هذا الشأن هي شخصية هشام بن الحكم ويذكر له ابن النديم عدداً كثيراً من الكتب منها ما هو في الامامة، ومنها ما هو في الرد على الزنادقة وأصحاب الاثنين، ومنها كتاب في التوحيد وآخر في الرد على أصحاب الطبائع وكتاب على ارسطاطاليس في التوحيد وكتب أخرى بعضها في التدبير والميزان وهما من فروع صناعة الكيمياء.(1) إلى جانب هذا التنظيم على مستوى الفكر ومع هشام بن الحكم عرفت الحركة الشيعية تطوراً على مستوى التنظيم الحزبي السري على عهد المأمون ذاته، ويتعلق الامر أساساً بتطور الفرقة الخطابية وتحولها إلى الفرقة الاسماعيلية، وبالتالي ظهور الباطنية.(2)

لقد كانت الشيعة الباطنية خصماً عنيداً للمأمون الخليفة العباسي، فقام بينهما صراع ايديولوجيا سياسياً استعمل الموروث القديم له كسلاح. فبينما لجأت الشيعة إلى الغنوص، إلى (العقل المستقيل) لتأكيد استمرارية الوحي في أئمتهم وبالتالي تأكيد

---

(1) ـ تكوين العقل العربي ـ محمد عابد الجابري ـ مركز دراسات الوحدة العربية / ص 220 ـ 249

(2) ـ الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية ـ د/ محمود اسماعيل ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان ـ ص 67 وما بعدها.

أحقيتهم في الأمامة وقيادة المسلمين دينياً وسياسياً، استعان المأمون بالعقل الكوني «اليوناني» ليعزز جانب المعقول الديني العربي كما قرره العقل المعتزلي وكرسه الواقع السياسي.[1]

أما السنة فيعتبرون الامامة مسألة اجتهادية يجوز فيها الخطأ والصواب وبالتالي ليست من أركان الايمان.

السنة يؤمنون ان الحكم شورى في الاسلام وأن ولاية الامام أو الفقيه على المسلمين شكلاً صارخاً للوصاية وان خطبة الرسول في حجة الوداع التي سمعها «100 ألف مسلم» لم يوصي في خطبته للأمام من بعده وإلا لما تنادوا فور وفاته إلى انتخاب خليفة ومن المستحيل تكفير الجميع إذ هم عادوا فانتخبوا الامام علي خليفة عليهم ورضي هو بذلك.

وأخيراً يعتبر الشيعة المسلمين السنة فقط، مسلمين لا مؤمنين وبالتالي يمكن قتالهم. وكان هذا الاعتقاد من جانب الشيعة سبباً رئيسياً لاستمرار الحرب بين ايران والعراق لمدة 8 سنوات رغم كل الوساطات التي قامت بها هيئات ودول اسلامية لاخماد نيران هذه الحرب المدمرة.

* * *

---

(1) ـ تكوين العقل العربي ـ مصدر سابق / ص 220 ـ 249.

«الخوارج»

الخوارج حزب سياسي ولد في جوف الفتنة الكبرى بعد مصرع الخليفة عثمان بن عفان، وانقسام المسلمين إلى شيع وأحزاب متنابذة، وارتبط قيام الحزب بقضية التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. وكان الخوارج من أنصار علي وشيعته المخلصين، وقد خرجوا عليه لرفض استمرار القتال في صفين وقبول ضغوط الغالبية من جنده الذين رغبوا في وقف القتال لما رفع جيش الشام المصاحف على رؤوس الرماح. ينتمي معظم الخوارج إلى قبيلة تميم التي هجرت الصحراء واستوطنت الكوفة والبصرة واسهمت بدور هام في الثورة على عثمان حين نكص عن سياسة أبي بكر وعمر وخالف انسانية الاسلام وعدالته، وسلم رقاب المسلمين لاستبداد «ارستقراطية ثيوقراطية قرشية» استحلت أموال المسلمين وثروات البلاد المفتوحة، مما أثار حفيظة القبائل الاخرى، فكان عثمان في سياسته سبباً في ايقاظ الصراعات القبلية الجاهلية خاصة بين بني هاشم وبني أمية، وانتهى الامر بمقتل عثمان، واصبح الثوار في جميع الامصار الاسلامية، عرب الأمصار من غير قريش على مبايعة علي ووقفوا ضد بني سفيان الذين يمثلون الارستقراطية بقيادة معاوية. من هنا يبدو الخوارج فئة سياسية جاءت تعبيراً عن وضع اجتماعي اقتصادي إكتسى لبوساً دينياً، و لم تكن قضية الامامة اكثر من مفجر لتلك التناقضات المادية فالخوارج ليسوا جماعة دينية فقط، بل حزب سياسي له مضامين اجتماعية حيث الرابطة بين الدين والدولة مرتبطة بعرى وثيقة في العصور الوسطى. وكان فكرهم السياسي تجسيداً لكل الفئات

الساخطة على الخلافة. ورفض الخوارج ادعاءات السنة حق الامامة على قريش، أو جعلها حكراً على آل البيت وحدهم كما يزعم الشيعة، بل رأى الخوارج أن الامامة حق يمكن أن يصل إليه أي مسلم بغض النظر عن نسبه أو عرقه، لذلك كان الخوارج أقرب إلى الديمقراطية بين الفرق الاسلامية الأخرى.

لقد تعصب الخوارج للدين والتزموا بالقرآن والسنة دون تأويل ومعتقدهم وسم خطهم بالتطرف وتفجير الثورات.

فقد ثاروا على علي بن أبي طالب وتكررت غاراتهم على البصرة والكوفة اضافة إلى ثوراتهم في الولايات الشرقية، وقد بطش علي بكل حركات الخوارج وهذا ما يفسر سبب قتل الخوارج لعلي في 17 رمضان «سنة 40هـ» على يد عبد الرحمن بن ملجم. واستمرت ثورات الخوارج ضد الأمويين في الحجاز والعراق، لكن الأمويين من أمثال الحجاج الثقفي وعبدا لله بن زياد مارسوا سياسة إبادة ضد الخوارج مما أدى إلى اضعافهم واختفائهم عن مسرح الأحداث. ومما فت في عضد الخوارج انشقاقهم إلى فرق متكايدة.

ولجأوا للعمل السري في الاطراف بعيداً عن مركز الخلافة، لكن المحن لاحقتهم فعلى سبيل المثال أحرق الفاطميون الشيعة مكتبات ودووايين الخوارج، في المغرب و لم يبق من تراثهم إلا القليل. ونتيجة لضعفهم مالوا إلى العمل السري واقلعوا عن التطرف الممثل بالأزارقة والنجدات ـ نسبة إلى نافع الأزرق ـ نسبة إلى نجدة بن عامر ــ واقبلوا على معتقدات الصفرية نسبة إلى زعيمهم زياد بن الأزرق ـ والأباضية نسبة إلى عبدا لله بن أباضي المعتدلين. وقد أجهز الشيعة على كافة المصادر الصفرية بعد سحق دولتهم التي أقاموها في المغرب وتم ذلك حوالي سنة (297 هـ).

ونكل الشيعة بالصفرية بعد فتح عاصمتهم سجلماسة واختفى من بقي منهم في

أصقاع المغرب المختلفة، وانطمر مذهبهم إلى غير رجعة. أما الأباضية فكان مركز دعوتهم البصرة ومنها يوفد الدعاة بعد تدريبهم في اطار تنظيم شديد السرية، وقد تسلل الدعاة الاباضية إلى خراسان والجزيرة العربية وبلاد المغرب. ونجح الاباضية في عمان وحضرموت وتمكنوا من اقامة دولة وفتح اليمن ثم تابعوا الزحف إلى الحجاز، لكن الجيوش الأموية أرغمتهم على الانسحاب وعادوا إلى عمان وحضرموت. ومن دولتهم في عمان هاجرت مجموعات أباضية إلى شرق افريقية كان لها شأن في نشر الاسلام بين سكانها. إن تعصب بني أمية للعرب والتفرقة بينهم وبين البربر سكان البلاد الاصليين في المغرب واعتبارهم موالي واثقاً لهم بالضرائب وعدم اسقاط الجزية عنهم رغم اسلامهم، مهد السبيل لانتشار دعوة الخوارج.

وبدأ الاعداد للثورة بالتنسيق مع مركز الدعوة الام في البصرة ولقد تأخرت الدعوة الأباضية لأن نشاطهم جرى في بلاد المغرب الادنى القريبة من مصر مما سهل مهمة جيوش الخلافة الأموية البطش بأي حركة للأباضية.

وحانت فرصة الثورة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية في البصرة 132 هـ . وبالاتفاق مع شيوخ القبائل هاجمت جيوش الاباضية طرابلس واستولوا عليها، ومن طرابلس توجهت جيوش الاباضية إلى القيروان واستولت عليها، لكن سقوط القيروان كان قمة الكارثة للاباضية حيث أنزلت بهم الخلافة في مصر ضربة شبه قاتلة. فعادوا من جديد للعمل السري بعد مصرع أبي طالب قائد الثورة. ونجح الأباضية في اقامة دولة اباضية في المغرب الاوسط بقيادة عبد الرحمن بن رستم الفارسي عاصمتها تاهرت (776 ـ 784م) وقد تعاقب على الامارة الرستمية تسعة أمراء كان آخرهم يعقوب بن الأفلج (906 ـ 908). لكن الخلاف ذر قرنه في صفوف الأباضية الذين رفضوا تحول إمامتهم إلى ملك وراثي منذ عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي حصر الملك

لأسرته، وتحول الاباضية إلى فرق وشيع داخل المذهب الأباضي، وضعفت الدولة لانعدام الديمقراطية والانشقاقات المذهبية حتى سقطت دولتهم سنة (297 هـ) على يد الشيعة الفاطميين.*

* * *

«المعتزلة»

ظهر المعتزلة في البصرة في مستهل القرن الثاني الهجري، أي منذ أواخر العهد الاموي ، ويعتبر واصل بن عطاء مؤسس فرقة المعتزلة الكلامية ، وتعددت الاراء حول سبب التسمية فمنهم من عزى ذلك إلى اعتزال واصل حلقة شيخة الحسن البصري فعرف أتباعه بالواصلية أو المعتزلة . والبغدادي ، يرى أن التسمية جاءت لاعتزالهم اجماع الأمة في موقفهم من مرتكب الكبيرة بينما ذهب المسعودي ،إلى أن قولهم بالمنزلة بين المنزلتين يعني اعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين .... الخ لقد كان للمعتزلة دورهم في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية في المجالين الفكري والسياسي والاجتماعي ، وكانوا رواداً للنظر العقلي في الاسلام، وكانت لهم الريادة في شيوع التيار العقلاني ومعاداة الحكومة الثيوقراطية المحافظة ، لذلك لم تحظ أفكار الاعتزال برضى الخلافة السنية إلا في عهد الخلفاء المستنرين كالمأمون والمعتصم والواثق. لقد أعتنى المعتزلة بالتأملات الفقهية ، وهم أول من أخضع النصوص لقراءة صاحية وجديدة ،

---

* ـ للتوسع انظر الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية / د. محمود اسماعيل ـ دار القلم ـ بيروت ـ لبنان.
ـ الملل والنحل: 55/1
ـ اليمين واليسار في الاسلام ـ أحمد عباس صالح ـ المؤسسة العربية للنشر ـ بيروت.

أنتهت بهم إلى براهين للتوفيق بين العقل والوحي أو «عقلنة الإيمان»ويقوم مبدأ المعتزلة على أصول خمسة ـ التوحيد ـ والعدل ـ والوعد ـ والوعيد ـ والمنزلة بين المنزلتين ـ والامربالمعروف ونهي عن المنكر ـ والقول بخلق القرآن ـ الاستناد إلى أحكام العقل الذي يعرف كيف يميز بين الخير والشر . وقد أعتبر اهل الحديث ورجال السلف الموالين للخلافة المعتزلة مارقين سياسياً ـ فوضويين إجتماعياً ـ ضالين دينياً.

لقد أطلق المعتزلة العنان للعقل في التأويل والاجتهاد والاختيار ورفضوا الجبرية في الفكر، وبرهنوا على ما آمنوا له من تفسير لما ورد في القرآن بشأن تلك المسائل واستفادوا من الاديان الأخرى والفلسفات القديمةالتي شاركتهم في التفكير، كالفلسفة الاغريقية ومؤلفات الجدل النصراني الهلليني. يعتبر أهم مبادئ المعتزلة هو القول بخلق القرآن واصر المعتزلة على أن القرآن كلمة الله مخلوق، وهو بالتالي لا يمكنْ أن يكون أزلي كالله كما أنه بالتأكيد دونةألوهية. ووفق هذا المذهب يجب أن يعطى العقل مكانته اللائق لاتاحة المجال أمام تطور الفكر الديني بدون حاكم موجة بوحي ديني. إن مأثرة المعتزلة التاريخية تتمثل.

1ـ العقلانية :أي اعلاء شأن العقل وتأسيسه على قواعد منطق جدلي باعتبار أن العقل هو قاعدة المعرفة، لذا أخضعوا كل شيء للنقد وحاربوا الخرافات والأساطير والشعوذة ونقدوا منها ما كان موجوداً حتى عند الصحابة.

2ـ التفكير العلمي: ومن مظاهر التفكير العلمي عند المعتزلة اعتمادهم على التجربة والشك وتفسير الظواهر الكونية على مبدأ السببية، فربطوا بين الأسباب والمسببات في ظواهر الكون وكانوا رواداً لفلسفة الاسلام كالكندي والفارابي وابن سينا كما مهدوا الطريق للحسن بن الهيثم وجابر بن حيان في تطبيق المنهج العلمي في العلوم الطبيعية.

3- ليبرالية الفكر المعتزلي، باعتباره يعلي مكانة الفرد ويدافع عن حريته في القول والعمل ويفسح المجال أمام العقل للاجتهاد والاضافة والابداع وذلك باقرار مبدأ الاختيار الاكثر ديمقراطية، على نقيض الفكر «الجبري» المرادف للاستبداد والاحباط الذي لا يقيم وزناً للفرد. ويحوله إلى فرد خانع مستسلم «للقضاء والقدر» مهزوز الشخصية يميل إلى التواكل والتجارب تثبت العلاقة الوثيقة بين الابتكار والخلق وبين احترام التفرد والشخصية الانسانية، وما التقدم في مختلف الميادين التي أحرزتها الشعوب قديماً وفي مقدمتهم اليونان إلا أحد أسباب النزعة الفردية، كما لم يكن تخلف اوروبا في العصور الوسطى إلا نتيجة مباشرة لمحاصرة الروح الفردية وقتلها على يد الكنيسة الكاثوليكية.

4- الجدلية بين الفكر المعتزلي والعدالة الاجتماعية. فقد دافع المعتزلة عن العدالة الاجتماعية والمساواة بين مختلف أجناس المسلمين. فدافعوا عن الحريات الاجتماعية وسجلوا صفحات مضيئة ضد التمايز الطبقي حتى أن المسعودي أطلق عليهم «العدلية» كما عرفوا بأهل العدل والتوحيد.

5- دافعوا عن الاسلام دفاعاً عقلانياً برهانياً بمؤيدات منطقية، لا دفاعاً عاطفياً جبرياً مستنداً على العقيدة والعقائد فقط.

إن فكر المعتزلة السياسي يؤكد طابع الاعتدال المستنير، فالقول بأن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الكفر والايمان يعني موقفاً وسطاً بين تطرف الخوارج الذين يكفرونه وبين تهاون أهل السنة الذين يجعلونه مؤمناً وبين المرجئة الذين يتوقفون في الحكم تنصلاً وهروباً من المسؤولية. لقد استقى المعتزلة معظم أفكارهم المبدئية من المقولات والاطروحات المضيئة السائدة في البصرة آنذاك، ففكرة الاختيار ومسؤولية الانسان عن أفعاله أخذها المعتزلة عن «القدرية»، وعن الجهمية أصحاب

جهم بن صفوان المرجىء، كما أخذ المعتزلة القول بنفي الصفات، وعدم رؤيـة الله بالأبصار في الآخرة، وخلق القرآن.

لقد أراد المعتزلة تطبيق آرائهم وتعاليمهم عن طريق الاصلاح والارشاد ونبذوا العنف والثورة وسفك الدماء. ومن أهم شيوخ المعتزلـة الـموالي. واصـل بـن عطـاء، وعمرو بن عبيد مؤسسا المذهب، والجاحظ العالم المعتزلي ذو الثقافة الموسوعية. لقد واجه المعتزلة بطش بعض الخلفاء الامويين لارائهم الجرئية المستنيرة واعتبروا بني أمية مغتصبين للخلافة طغاة، مبررين حكمهم بفلسفة الجبر القائمة على الطاعـة العميـاء والاستبداد، لذا لجأ اللاحقون من شيوخ المعتزلـة إلى التسـرب للخلافـة وترشـيدها واحتوائها عن طريق العمل السري المنظم، ولقد نجحوا بالفعل في كسـب واسـتمالة بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين الإوائل وأصبح مذهـب المعتزلـة رسميـاً للدولـة في عهد المأمون والمعتصم والواثق، واكثر من تعرض للاضطهاد في عصرهم الامام أحمد بن حنبل واتباعه وكل من قال «بقدم القرآن».

وفي عهـد الخليفـة المتوكـل لاقـى المعتزلـة أشـد أنـواع البطـش والاضطهـاد واحرقت كتبهم وطغى المد السـني وعـلا شـأن التطـرف الحنبلـي، وتشتت المعتزلـة وانقسموا إلى عشرات الفرق. ولكن باستيلاء البويهيين على الحكم في العـراق سـنة «334هـ» عاد المعتزلة إلى النشـاط مـن جديـد لأن البويهيـين كـانوا شـيعة وسـيطر المعتزلة على السلاطين الجـدد واعتنـق عضـد الدولـة البويهـي مذهـب الاعـتزال إلى صفوف الشيعة المعادية للخلافة السنية كالقرامطة والباطنية، وكانت الضربة القاضية للمعتزلة سنة «477هـ» على يد الموجة السلجوقية السنية الغازية التي استولت على بغداد وقضي على الاعتزال قضاء شبه مطلق، ولمع نجم الأشـاعرة والمتصوفـة وظهـر الغزالي في هذا العصر لبقضي على بقايـا المعتزلـة ويغلـب التيـار السـلفي، فانكفـأ

المعتزلة في ميداني الفكر والسياسة على وجه الخصوص وبانكفائهم ضمرت العقلانية وخبا ضوء الاستنارة الفكرية، وقضي على فكرة العدالة الاجتماعية، بل تعمقت فكرة التمايز بين الفئات الاجتماعية. ويعتبر سقوط المعتزلة بداية لنهاية الاحتكام للعقل والعقلانية واحتجاز للاجتهاد والمثاقفة مع الذات العربية من جهة، ومع الاخرين من مختلف الحضارات من جهة أخرى. وتيبس المنهج العلمي الذي رسم المعتزلة مؤشراته الاولى المتمثلة في اخضاع النصوص والروايات والكتب لأسلوب علمي قوامه الشك والدراسة والتحليل.*

* * *

«الحركة الوهابية»

نشأت في منتصف القرن الثامن عشر، كان اسمها الحقيقي حركة «الموحدين» لدعوتها التوحيد لله، وعدم وجود الوسطاء بينه وبين الناس. وسميت الوهابية نسبة إلى مؤسسها محمد بن عبد الوهاب المتوفي سنة 1793م وهو من أهل «العيينة» بنجد في شبه الجزيرة العربية. وجوهر هذه الحركة هو الدعوة إلى «السلفية» واستلهام عقائد الاسلام من القرآن والسنة كما فسرها الامام أحمد بن حنبل (855م) وابن تيمية (1243

---

* - في تعريفنا للمعتزلة استخدمنا المصادر التالية:

- الحركات السرية في الاسلام رؤية عصرية - د/محمود اسماعيل - دار القلم - بيروت - 1973.
- الملل والنحل: 55/1.
- فجر الاسلام - احمد أمين /ص 296.
- عربي يفكر - حافظ الجمالي - اتحاد الكتاب العرب - 1982. ص 165 - 170.

ـ 1328) وهو تفسير محافظ يلائم بساطة الحياة البدوية ويقلل من شأن العقل ومعطياته، خصوصاً ما يتعلق منها بالفلسفة. لقد كانت الوهابية مذهباً متطرفاً للحنبلية، حيث رفضت كل البدع في الفرائض والعبادات وطالبت بالعودة إلى الكتاب وسنة الرسول فقط «البدعة تعني رايأ أو عملاً لم يكن معروفاً في السابق و لم تجر العادة على ممارسته». ومن الناحية الاجتماعية فقد كانت الوهابية تخدم مصالح الوجهاء وموهت علاقات الظلم والاستغلال. لقد كانت الوهابية مذهباً نقيضاً مع سائر المسلمين حولهم إلى طائفة مترمتة وأصبح التعصب لديهم مما أدى إلى ضيق انتشار هذا المذهب. ولكن رغم الطابع الفكري المحافظ للوهابية فقد كانت احدى حركات الاصلاح الديني التي لعبت دوراً في النضال ضد سيطرة العثمانيين على مقدرات الأمة العربية، ولقد تكونت الدولة السعودية كثمرة لجهود هذه الحركة الدينية، وتجلى ذلك بالتعاون وبالمصاهرة بين محمدبن عبدالوهاب وبين جدالأسرةالسعوديةمحمدبن مسعود«المتوفي في سنة 1765».

* * *

«الغجر»

لقد تشكلت الجماعة الغجرية في الهند من اتحاد عدة قبائل تختلف في لهجاتها ومن المؤكد أن الغجر أو الروميين كما يسمون أنفسهم، هم من أصل آري، وقد أخذوا إسمهم من «راما» بطل ملحمة «رامايانا» وهكذا فقد وصلوا إلى اوروبا باعتبارهم «أولاد راما». بدأت القبائل الغجرية بمغادرة الهند قبل «1500 سنة» إلى بلدين «ايران وافغانستان» ومن هذه البلدان الثلاثة «الهند ـ ايران ـ افغانستان» هاجر الغجر إلى بقية أنحاء العالم. لقد توجه الغجر إلى ايران بعد مغادرتهم الهند، وكان أول

القبائل الغجرية المهاجرة أفراد قبيلة «اللور» في القرن الخامس الميلادي تبعها في القرن الحادي عشر الميلادي قبائل غجرية أخرى. أما في أفغانستان فيشتهر الغجر هناك باسم «الغرباط» أو «القرباط» وهو الاسم الذي يعرف به الغجر أيضاً في ألبانيا واليونان ويوغسلافيا والمغرب وأمريكا وحتى في سوريا ولبنان، وينقسم العلماء حول أصل هذه التسمية، فبعضهم يعيدها إلى الاصل العربي «غربة» وبعضهم يعتبرها من أصل فارسي«غوروب»، أي التغيب عن البيت أو عدم الحضور. وعلى كل حال يتفق العلماء هنا أن القرباط في أفغانستان والقاوول في ايران والقرباط في سوريا يعودون إلى قبيلة واحدة. أما الآن فلم يبق من الغجر في ايران حوالي مدينة شيراز حسب التقديرات ما بين «12 ـ 100 ألف نسمة، وفي أفغانستان حوالي ألف عائلة».

لقد تحول الغجر إلى ضحية في أوروبا إذ وقف الجميع ضدهم ، الدولة والكنيسة ـ القياصرة ـ البابوات ـ الاقطاعيون والفلاحون والرأسماليون. وهنا تجدر الاشارة إلى أن الغجر بطبيعة تكوينهم «الاثني النفسي» واسلوب حياتهم يتجرؤون على اقتحام المخاطر والدخول في مناطق ممنوعة يتخوف الناس من ولوجها، مما يتعارض أحياناً مع قوانين الدولة واعراف المجتمع وبذلك يصبح كل ما يقوم به أو يمارسه الغجر مشبوهاً، لذلك جرت محاولات عديدة في اوروبا لاستئصال أسلوبهم الحياتي مما يعني في الواقع استئصال الهوية الاثنية للغجر.

الكنيسة منذ القرن الثالث عشر تتهم الغجر ككفار أو كسحرة أو حتى كمساعدين للشياطين!! لهذا فقد وجد كثير من الغجر أنفسهم على المحارق، وخاصة في عهد محاكم التفتيش، ولقد استمر اضطهاد الغجر حتى نهاية القرن الثامن عشر. وعلى الرغم من كل المآسي التي لحقت بالغجر عبر التاريخ إلا أن أبشع كارثة تعرضوا لها كانت دون شك محاولة الافناء في مرحلة الحكم النازي في ألمانيا والحرب العالمية

الثانية حيث تقدر عدد الغجر «15 مليون نسمة» ينتشرون في مختلف أنحاء العالم.

إذ بعد شهور من الحرب العالمية الثانية بدأت الكارثة تلتهم آلاف القوافل من الغجر الذين كان يتم انتزاعهم من بيوتهم وتجميعهم في معسكرات خاصة، إلى أن يأتي دورهم لتقبل الخيار الوحيد: الموت، لا لشيء إلا لأنهم ولدوا غجراً. بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا 1917 برزت عدة محاولات للقيام بعمل ما لصالح الغجر إلا أن هذه المحاولات لم تحظ بالتأييد ومنذ ذلك الحين تأسست منظمات للغجر في عدة أماكن من العالم «الاتحاد الروسي للغجر» كما تأسس في هنغاريا سنة 1958 «اتحاد الغجر» ثم تأسست منظمات مشابهة في بقية [1] الدول كألمانيا الغربية واسبانيا وفنلندا والسويد وفرنسا...الخ.

إلا أن تلك المنظمات لم يكن لها برنامج مشترك. يشتهر الغجر بقراءة الكف والفنجان ويعزفون على بعض الآلات الموسيقية، لديهم مهارة خاصة في تدريب الحيوانات. أسلوبهم فريد ومتغير في الحياة، ويعتقد الغجر أن حياتهم جميلة ومفعمة بالحرية كما يعتقد البعض أن للغجر ملكاً. إن قصة الغجر هي قصة المعاناة والحزن، ولكنها أيضاً قصة تحكي انتصار روح الانسان على كل ما يضغط عليها.[2]

* * *

(1) ـ رحلة الغجر عبر التاريخ ـ وايكو جوريتس ـ العربي عدد 364 ـ آذار 1989.

(2) ـ حديث عن الغجر ـ مسجل عن الاذاعة البريطانية ـ عام 1986.

«كردستان»

إن تسمية كردستان غير موجودة على خارطة العالم السياسية. فهذا مفهوم أثني جغرافي يشمل المنطقة الجبلية في آسيا الغربية التي يقطنها الاكراد بصورة أساسية. والقسم الكبير من أراضيها يقع في حدود الجبال الايرانية. ونتيجة حروب عديدة جرى في عام 1514 تقسيم كردستان بين الإمبراطورية العثمانية وايران. وبعد الحرب العالمية الأولى وانهيار الامبراطورية العثمانية جرى ضم المناطق المأهولة بالاكراد إلى الدول التي نشأت على أراضيها: «تركيا والعراق وسوريا». إن الاكراد شعب عريق في الشرق الادنى، وهم يقطنون ايران والعراق وتركيا وسوريا وكذلك بعض البلدان الاخرى «الاتحاد السوفيتي سابقاً لبنان افغانستان»ويتراوح عددهم اليوم بين «20 ـ 25 مليون نسمة»واللغة الكردية من المجموعة الغربية للغات الايرانية ، ولها بضع لهجات : كورمانجي ،سوراني ، بهدينانى وغيرها ويعود أصل الاكراد إلى العرق الآري تميزت مصائر الاكراد التاريخية بالتعقيد فقد نهضوا عدة مرات للنضال ضد الظلم ، وظلم ملوك إيران وسلاطين تركيا وغيرهم من الحكام الطغاة . إن حركة الاكراد في سبيل تقرير المصير ليست متجانسة في الوقت الحاضر ، فثمة عشرات من المنظمات والاحزاب السياسية التي تتخذ مواقف مختلفة من القضية القومية . وبدايةالستينات شن النظام العراقي حملة عسكرية على الشعب الكردي «عدد الاكراد في العراق «3 ـ3,5 مليون انسان »وبعد التوصل إلى اتفاقية عام 1970 حول الحل السياسي للقضية الكردية واعلان بيان 11 أيار توقفت الحرب ،وعلى أساس هذا البيان صدر في آذار 1974 قانون الحكم الذاتي في كردستان العراق وتشكلت وفقاً له الهيئات

التشريعية والتنفيذية في منطق الحكم الذاتي الكردية ، ولكن الوضع تأزم من جديد في نهاية السبعينات وتجدد القتال بين قوات الحكومة والفصائل الكردية الثائرة ، وأضافت الحرب العراقية ـ الايرانية تعقيدات جديدة إلى الوضع . كما أن عدم حل القضية الكردية في إيران ورفض حكومة الجمهورية الاسلامية الاستجابة لمطالب الاكراد والأقليات القومية الاخرى حول منح الاستقلال الاداري والثقافي أديا إلى صدامات مسلحة بين الاكراد وقوات نظام طهران في كردستان إيران .وتردد كل يوم فترة في الصحافة العالمية أنباء عن قيام الجيش التركي بعمليات مسلحة ضد السكان الاكراد في مناطق البلاد الجنوبية الشرقية في السنوات الاخيرة . إن الرأي العام التقدمي يطالب بحل القضية الكردية ومنح حق تقرير المصير لهذا الشعب الذي عانى ويعاني كثيراً من الويلات والحروب . وكما أن الاوساط التقدمية تضع أمام حركة التحرر الكردي المهمات الآتية : انتهاج سياسة وطنية قومية مستقلة ،وقطع العلاقات مع الرجعية ، ألا تكون ورقة في اللعبة السياسية لدى الانظمة الحاكمة ، وتجنب الانجرار إلى صراعاتها على الاراضي لأن هذا لايخدم مصالح الاكراد الفعلية ، عدم الارتهان لأية قوة امبريالية ، والتركيز على ما هو رئيسي ، تعزيز التضامن مع الشعب العربي من أجل تعبئة كل القوى للنضال في سبيل الديمقراطية والعدالة وتقرير المصير. [1]

إن حل القضية الكردية لا يمكن أن يتم الاعلى أرضية ديمقراطية علمانية تتضافر فيها جهود كل قوى التقدم والحرية والسلام في البلدان التي يعيش الاكراد على أرضها. فانغلاق الاكراد وتعصبهم القومي واستخدام لغة السلاح. بديلاً عن لغة الحوار يجلب الضرر لقضيتهم اكثر مما يجلب لها النفع.

---

[1] ـ حول الوضع في كردستان ـ مجلة الوقت /عدد 1 1989 ـ ص 173 ـ177 .

الفهرس